# الدول الإسلامية المستقلة فى الشرق
## وعلاقاتها بالخلافة العباسية

دكتور/ محمود عرفة محمود
كلية الآداب ـ جامعة القاهرة

دار الثقافة العربية
٣ ش المبتديان ـ السيدة زينب



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾

صدق الله العظيم



# المقدمـــة

## المقدمة

على الرغم من التاريخ الطويل والحضارة العريقة التى شكلت ملامح الخلافة العباسية ، فإن السلطة المركزية فى بغداد التى كانت تحكم إمبراطورية إسلامية مترامية الأطراف لم تستطع الحفاظ على وحدة العالم الإسلامى ، فاستقلت عنها ولايات فارسية وتركية حتى عربية من الشرق والغرب ، كانت خاضعة لسلطاتها ويدين حكامها بالولاء التام والخضوع لإرادة الخليفة العباسى منذ قيام الدولة العباسية سنة١٣٢هـ/ ٧٥٠م حتى انهيار الخلافة وسقوطها فى منتصف القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى ، وأخذت عوامل الضعف تلعب دورها فى تفتيت وحدتها وتقطيع أوصالها وبدت عليها علامات الشيخوخة المبكرة ، بعد انتهاء عصر الخلفاء العظام بنهاية عهد الرشيد ١٩٣هـ/ ٨٠٩م ، حين نشبت الحرب بين ابنيه الأخوين الأمين والمأمون والتى انتهت بمأساة قتل الأمين الخليفة الشرعى للدولة ، مما أدى إلى بداية ظهور عوامل التفكك والتى تتجلى فى قلة الرهبة والتطاول على الخلفاء ، أى أن عصر القوة الحقيقية للخلافة العباسية لم يستمر لأكثر من ستين عاما ، على الرغم من امتداد تاريخها على مدى خمسة قرون وربع القرن (١٣٢ ـ ٦٥٦هـ/ ٧٥٠ ـ ١٢٥٨م) .

إن هذه الظاهرة الغريبة فى تاريخ الإمبراطورية الكبرى لتدعونا إلى التوقف ، والتأمل ، والبحث عن الأسباب والمسببات التى أدت إلى هذا الانهيار ، والذبول السريع للعباسيين ، على الرغم من بطء حركة التاريخ الإنسانى ، وطول العصر العباسى فى مسيرة التطور البشرى .

لقد تضافرت عدة عوامل على الصعيدين الداخلى والخارجى ، لكى

تقوض أركان هذا البناء الشامخ ، الذى وضع لبناته الأولى دعاة العباسيين تحت إمـرة وزعـامـة أجـداد الخلفـاء الأوائل ، الذين صنعـوا صـرح الإمبراطورية العظيمة ، ومن العجب حقا أن تظل الخلافة العباسية قائمة لأكثر من أربعة قرون مع بداية الاضمحلال ، غير أنها فى جميع الأحوال، صارت كالجسد الدامى الذى ينزف بلا رحمة ولا توقف من أطرافه التى تمزقت حتى تم الإجهاز عليه وإعدامه ، بعد تقطيعه إربا بلا هوادة وإغراقه فى بحر الدماء ، فكانت النهاية الحتمية على أيدى المغول .

الواقع أن المتأمل لأحداث تلك الفترة لا يمكنه فهم ما جرى من استقلال الأقاليم وتحولها إلى دويلات ، إلاّ فى ضوء دراسة تلك العوامل ، والتى تتجلى فى الصراع الداخلى المرير فى البيت العباسى ذاته بعد وفاة الرشيد ، والذى انتهى بمأساة مريرة حالكة السواد ، وما ترتب عليه من تبعات صبغت تاريخ الدولة بالتلوث الدموى ، فضلا عن ضعف السلطة المركزية وتدخل العناصر الأجنبية فى شئون حاضرة الخلافة ذاتها ، وذلك على الصعيد الداخلى .

وفى الجانب الآخر نشأت تلك الدويلات المستقلة فى الشرق ، التى كانت بالأمس القريب ولايات تابعة لزعامة العباسيين ، لكنها لم تجرؤ فى بداية نشأتها على الانفصال التام عن حاضرة الخلافة العباسية، بل كان استقلالها يعد بمثابة استقلال أو تمرد على الوصاية العباسية ، بعد أن أحست بكينونتها ورغبتها فى تجاوز مرحلة التبعية التامة والخضوع الكامل ، فقد قويت شوكتها بعد أن شبت عن الطوق ، وعبرت مرحلة الارتباط بالأمومة والوصاية مثلها فى ذلك مثل سائر البشر ، فالدول مثل الأشخاص نشوءاً وتطوراً وارتقاءً ولكنها فى فترة المراهقة السياسية لم

تستطع الانفصال التام ، ولذا فقد احتفظت بتبعية إسمية للخلافة العباسية الأم ، تستمد منها عوامل بقائها الروحى وتطورها الحضارى ، ولم يجرؤ أىٌّ ممن ادعو الاستقلال أن يعلن نفسه خليفة مناوئا للحاكم الشرعى للخلافة الإسلامية ، حتى حكام الدولة الزيدية فى طبرستان الذين أعلنوا الانفصال التام بل والعداء السافر للخلافة العباسية ، وتأليب المناوئين عليها، لم يعلن أحد منهم نفسه خليفة للعالم الإسلامى أو حتى فى إمارتهم ، وكان الإبقاء على ألقاب الخلفاء العباسيين على مسكوكات أولئك الحكام ، هو شريان الحياة ، وسبب البقاء والوجود ، واحترام الشرعية ، وطاعة رعاياهم لهم .

يتناول هذا الكتاب البحث فى تطور النظام السياسى فى الدولة الإسلامية ، والعوامل التى ساعدت على ظهور الدول المستقلة فى الشرق ، وما أدى إليه من ضعف السلطة المركزية للعباسيين ، وكيف حافظت هذه الدول على كيانها من خلال دراسة علاقاتها مع الخلافة العباسية .

يبحث الفصل الأول فى عوامل ظهور الدول الإسلامية المستقلة فى الشرق ، فيتناول الظروف التى أدت لظهورها والتى كان من أهمها ضعف السلطة المركزية للخلافة العباسية ، وازدياد نفوذ الأتراك وسيطرتهم على حاضرة الخلافة ، والصراع بين أمراء البيت العباسى ، وما ترتب عليه من أحداث دموية أدت بدورها إلى قلة الهيبة من شخص رمز الإمبراطورية الإسلامية .

أما الفصل الثانى فيتناول الدولة الطاهرية ويبحث فى قيام هذه الدولة، والتى تعد أولى الدول المستقلة فى الشرق الإسلامى ، حيث قامت فى خراسان فى وقت مبكر وخلال عصر القوة العباسية ، وعلاقة أفراد البيت

الطاهرى بالخلفاء العباسيين والتى تميزت بالتبعية المطلقة لهم، وعوامل ضعف وسقوط الطاهريين .

بينما تناول الفصل الثالث بالدراسة الدولة الصفارية ، فيختص بالبحث فى بدايات ظهور يعقوب بن الليث الصفار الذى تنسب إليه الدولة ، وتدور أحداثها فى فلك شخصيته ، وعلاقة أمراء الأسرة الصفارية بالخلافة العباسية ، والتى تتميز فى مجملها بالاستقلال التام عن الخلافة ، والأحداث التى أدت إلى ضعف وانهيار الصفاريين .

أما الفصل الرابع فيتناول الدولة السامانية ، فيبحث فى أصل السامانيين ، وقيام دولتهم بعد زوال الصفاريين ، وذلك فى أقاليم خراسان وما وراء النهر ، والعوامل التى أدت إلى حفاظهم على دولتهم ، وعلاقاتهم المتباينة بالخلافة العباسية وأسباب ظهور بوادر الانحلال فى دولتهم ، وزوالها .

بينما يتناول الفصل الخامس الدولة البويهية ويختص هذا الفصل بدراسة دور البويهيين فى السياسة العباسية ، وبخاصة بعد أن تمت لهم السيطرة على العراق وفارس والرى وهمذان وأصبهان وبلاد الجبل ، وكيفية إدارتهم لتلك البلاد من خلال اقتسام السلطة بين أمراء أسرتهم ، وعلاقاتهم المتغايرة بالخلفاء العباسيين ، وسقوط دولتهم على يد السلاجقة .

أما الفصل السادس فيتناول الدولة الغزنوية ويبحث فى ظهور الغزنويين واتساع سلطانهم وامتداده إلى بلاد الهند ودورهم فى نشر الإسلام فى عهد السلطان محمود الغزنوى وخلفائه ، ومدى إسهام خلفائه فى الحفاظ على كيان الدولة ، وانحلال دولتهم وانهيارها على يد السلاجقة والقضاء على النفوذ الغزنوى فى لاهور .

يبحث الفصل السابع فى الدولة السلجوقية فيتناول هذا الفصل أصل السلاجقة ، ومناطق هجرتهم ، وانتشارهم فى العالم الإسلامى ، ودور طغرلبك فى ازدهار دولتهم ، وتطور علاقة السلاجقة بالخلافة العباسية ، وبخاصة خلال عهد ملكشاه ، وتوطيد أواصرها ، وعوامل ضعف وسقوط السلاجقة .

أتقدم بخالص شكرى وامتنانى لصديقى السيد/ **عاطف عيد** بالمكتبة المركزية بجامعة القاهرة على ما بذله من جهد كبير فى مراجعة نصوص الكتاب وتصويبها باقتدار .

**والله أسأل أن يوفقنى فى البحث فى تاريخ الدولة الإسلامية وحضارتها عبر العصور .**

**المؤلف**

**الهرم فى : المحرم سنة ١٤٢٩هـ**
**يناير سنة ٢٠٠٨م**



# الفصل الأول

## عوامل ظهور الدول المستقلة

خليفة فى قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له كما تقول البغا

# الفصل الأول

## عوامل ظهور الدول المستقلة

كانت الخلافة العباسية فى عصرها الذهبى قوية مهيبة ، فتصدى خلفاؤها الأقوياء للحركات الثورية التى حاولت الخروج على السلطة ، فأخمدت فى مهدها بالحزم والشدة ، والضرب على أيدى زعمائها ، والتنكيل بهم ، من ذلك قتل أبى سلمة الخلال ، ثم أبى مسلم الخراسانى الذى كان بمثابة سند الخلافة الملقب « أمين آل محمد »[1] فى خراسان ، وتخلص الرشيد من البرامكة على الرغم من نفوذهم المتنامى وسلطتهم اللامحدودة، وهو ما عرف فى التاريخ بنكبة البرامكة ، إلا أن ضعف السلطة المركزية للخلافة على ولاياتها أدى إلى استيلاء حكامها على مقدراتها ، وتشجيع أعدائها على تفكيك أوصالها ، والاستيلاء على أراضيها وإقامة دويلات مستقلة .

لا شك أن الصراع العنصرى بين العرب والفرس ، والنزاع بين أقطاب البيت العباسى الذى تجلى بين الأمين والمأمون وما انتهى إليه بمقتل الخليفة الشرعى ، فضلا عن كارثة ازدياد النفوذ التركى فى حاضرة الخلافة وبعض ولاياتها ، تعد من أهم عوامل ضعف وذبول الخلافة العباسية وما ترتب عليه من ظهور الدول المستقلة .

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، دار المعارف بمصر ١٩٦٧ ، جـ٧ ، ص٤٥٠ .

## ١ ـ الثورات الدينية الفارسية :

لم تخب نيران الحقد الفارسي يوما على العرب منذ ضياع إمبراطوريتهم على أيدى المسلمين بعد فتح الفتوح (معركة نهاوند) ، وظلت الأحقاد كامنة تحت الرماد حتى انطلقت كالمارد بعد مقتل أبى مسلم الخراسانى ، الذى كان قد وجد زهوا فى نفسه ، وتطاول على شخص الخلفاء لدرجة أن أبا جعفر المنصور قال لأخيه الخليفة السفاح : « يا أمير المؤمنين أطعنى واقتل أبا مسلم ؛ فوالله إنّ فى رأسه لغدرة »[٢]، وقد عرفت تلك الحركات الثورية عند المؤرخين بالشعوبية ، وهى فرقة تتعصب على الأمة العربية وتحتقرها[٣]، ولا ترى للعرب فضلا على العجم ، وتقوم فى ظاهرها على ما جاء بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ؛ من الحث على المساواة ، ولذلك أطلق من قاموا بها على أنفسهم بأهل التسوية ، بينما هى فرق حاقدة تتبنى الأفكار الفاسدة التى تشكك فى الدين[٤].

والشعوبية ثورة دينية ذات طابع سياسى اجتماعى ، اتخذت من الدين الإسلامى قناعًا لتحقيق أغراضها فى القضاء على السيادة العربية ، واستعادة المجد الفارسى ، وهى تتبنى اتجاهات إلحادية وأفكاراً شيطانية تقوم على الزندقة[٥].

هكذا ظهرت النعرات القومية على سطح الأحداث بصورة سافرة

---

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٧ ، ص٤٦٨ ـ ٤٦٩ .

(٣) المقريزى : النزاع والتخاصم ، القاهرة ١٩٣٩ ، ص٨٣ .

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، القاهرة ١٩٢٨ ، جـ٢ ، ص٢٥٨ .

(٥) Wellhausen , Arab Kingdom and its fall, Calcutta, 1927, P. 535 .

علنية ، بعد أن ظلت محبوسة مكبوتة فى الصدور خوفًا من العصف بها بقوة بطش الخلفاء العظام ، فلما سنحت لدعاتها الفرصة تفجرت ، وأعلنت عن نفسها ، ولعبت دورها فى خضم الأحداث التاريخية الكبرى ، ليس أدل على ذلك من أن مرداويج مقدم الديلم بأصفهان كان يقول : « أنا أرد دولة العجم وأمحق دولة العرب »[٦]، فكان يريد أن يأخذ بغداد ، وينقل الدولة إلى الفرس ويبطل دولة العرب[٧].

هكذا أدى ضعف السلطة المركزية وانحلال الخلافة العباسية واستخدام غير العرب وإعلاء شأنهم ، إلى تقوية جانب الشعوبيين الذين شنوا كل صنوف العداء على سيادة العرب أدبياً وعسكرياً ، مما أسقط هيبة الخلافة ، وجعل ولاة الأمصار يجنحون إلى الاستقلال بقوة ، مع الإبقاء على ولاء زائف للخلافة ، فتفككت أوصالها وتحولت الولايات إلى دويلات مستقلة .

الواقع أن التعصب الأموى للعنصر العربى كان له دوره فى حقد العناصر غير العربية ، على الجنس العربى ، ووجد الموالى فى ذلك فرصة سانحة لإظهار أحقادهم المكبوتة ضد العرب الذين قضوا على أمجادهم السالفة ، وهذه العصبية العربية التى ترجع جذورها إلى الماضى القبلى أدت إلى التعجيل بظهور الشعوبية بصورة سافرة ، تتجلى فى احتقار الفرس للعرب الذين كانوا يعدونهم عبيدا لهم ، لأنهم كانوا يعتقدون أنهم الأسمى منزلة ، والأرفع مجداً من سائر الشعوب الأخرى وبخاصة العرب[٨]، وهم الذين كانوا يطلقون فى السابق على الفرس والروم الأسدين لقوتهم

(٦) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، القاهرة ١٣٥١هـ، ص١٢٨ .

(٧) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص٢٨٠ .

(٨) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، المكتبة المرتضوية بالنجف ، ١٣٥٨هـ، جـ١ ، ص١٦٢ .

ومنعتهم، وما كان يتمتع به الفرس من الكبرياء ، ومحاولة العودة إلى ما قبل القادسية (١٦هـ/ ٦٣٧م) التى انقلب بعدها العرب أسياداً للفرس ، لأن القادسية كانت مفتاح سقوط المدائن حاضرة الإمبراطورية الفارسية[٩]، وما تركته معركة نهاوند من أثر بالغ وجرح عميق فى نفوس الفرس الذين اعترفوا بعدها بالهزيمة النكراء ، وقالوا : «لقد غلبنا على بلدنا ونالنا الذل فى دارنا»[١٠]، وهى المعركة التى عرفت فى التاريخ بفتح الفتوح .

ويتجلى الحقد الفارسى السياسى – فى أبشع صوره، وفى فترة مبكرة – فى قيام أحد الفرس وهو أبو لؤلؤة المجوسى بقتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، الذى حدثت فى عهده كل المعارك الفاصلة التى أودت بالمجد الفارسى ، وما ترتب عليه من ضياع لهيبتهم وقوتهم ، وما يزال المتعصبون من الفرس الشيعة يحتفلون بيوم مقتل الخليفة عمر ابن الخطاب[١١].

إن هذه البذرة التى زرعها الفرس على يد أبى لؤلؤة فى أرض الحقد الفارسى ، نمت بعد أن ترعرعت فى العصر الأموى متمثلة فى الموالى الذين ثاروا وأعلنوا انحراف الأمويين عن تطبيق المساواة ، التى جاءت فى القرآن والسنة ، وحشدوا إمكاناتهم فى هذا الاتجاه حتى يظهروا بمظهر الضعفاء المغلوبين على أمرهم ، واستثمار تعاليم الدين فى إظهار العرب بالمتعصبين لجنسهم ضد الأجناس الأخرى من الداخلين فى الإسلام، واحتجوا فى ذلك على تلقيب العرب للموالى بالهجين ، وأنهم كانوا يعيرون

(٩) البلاذرى : فتوح البلدان ، القاهرة ١٩٣٢ ، ص٢٧١ .

(١٠) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ، ص١٤٤ – ١٤٥ .

(١١) براون : تاريخ الأدب الفارسى ، نقله إلى العربية إبراهيم أمين الشواربى ، ص٢٠٣ .

المولود من أب عربي وأم فارسية كأنه نقيصة من النقائص ، ويقولون : لا يبطل الصلاة إلاّ ثلاثة حمار أو كلب أو مولى[١٢] ، وأن دية المولى نصف دية العربى[١٣] ، ويحتقرون الأعاجم ويسمونهم بالعلوج[١٤] .

ظهرت الشعوبية بعد أن أثمرت شجرتها فى هذا المناخ المشحون بالعصبية بطريقة سافرة علنية على يد إسماعيل بن يسار ، وهو مولى فارسى عرف بتعصبه الأعمى للعجم ، وقد أظهر حقده فى العصر الأموى[١٥] ، واتخذ من تعاليم الدين الإسلامى السمحة سلما إلى أغراضه وذريعة لضرب العنصر العربى ، بأقذح الكلمات والعبارات ، وقد تصدى له الخليفة هشام بن عبد الملك وأمر بإخراجه من الرصافة إلى الحجاز[١٦] .

مما تجدر الإشارة إليه أن هذه الحركة التى ظلت كامنة طوال العصر الأموى ، وتم قمع ما ظهر منها ، قد تبدلت أحوالها باشتراك الموالى الفرس فى الدعوة العباسية ، ونجاح العباسيين فى إقامة دولتهم ، اعتمادا على جهود موالى خراسان على وجه الخصوص ، مما أعطى لهم فرصة سانحة لتولى المناصب العليا فى الدولة ، والتفوق على العنصر العربى الذى ظل سائدا طوال عهود ما قبل قيام الدولة العباسية ، وترتب على ذلك جهر الفرس الجدد بعدائهم للعرب وتحقير شأنهم ، فكانوا يدفعون العربى عن كل فضيلة وإلحاق كل رذيلة بهم ، ثم قدحوا فى أنساب العرب قائلين: إن العرب فى الجاهلية كان ينكح بعضهم نساء بعض فى غاراتهم بلا عقد نكاح ، ولا استبراء من طمث ، فكيف يدرى أحدهم من أبوه[١٧] ، وأردفوا :

---

(١٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ٢ ، ص٢٦٠ .

(١٣) الأصفهانى : الأغانى ، القاهرة ١٢٨٥هـ ، جـ٢ ، ص١٦٧ .

(١٤) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، مصر ١٣٤٣ ـ ١٣٤٩هـ ، جـ٤ ، ص١٢٣ .

(١٥) الأصفهانى : المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص١٢١ .

(١٦) الأصفهانى : المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص١٢٥ .

(١٧) ابن عبد ربه : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٢٦٠ .

فما الذى تفخر به العرب على العجم ، إنهم كالذئاب العادية والوحوش النافرة ، يأكل بعضها بعضا ، ويغير بعضها على بعض[١٨] .

ومهما يكن من أمر فقد لخص ابن عبد ربه رأيه فى حركة الشعوبية بأنها نتيجة حسد وحقد ، وأن الذين حملوا لواءها هم السفلة والحشوة من العجم ، بينما لم يتورط الأشراف منهم فيها قائلاً : « ولم أر فى هذه الشعوبية أرسخ عداوة ولا أشد تعصبا من السفلة والحشوة ، وأوباش النبط وأبناء أجراء الفرس ، فأما أشراف العجم وذوو الأخطار منهم وأهل الديانة فيعرفون ما لهم وما عليهم »[١٩] .

تتجلى النزعة الشعوبية فى أوضح صورها من موقف أبى مسلم الخراسانى من الخلفاء العباسيين ، فكان مزهوا بولاء فرس خراسان له فلما أحس أبو مسلم بتغير الخليفة أبى جعفر المنصور عليه ، اتجه إلى خراسان معقل الشعوبية ، ولما حاول المنصور أن يصرفه عنها وكتب إليه بولاية الشام ومصر ، قال : « هو يولينى الشام ومصر ، وخراسان لى »[٢٠] . وهكذا كان أبو مسلم يهدد بالالتجاء إلى خراسان لتغلب العصبية الفارسية هناك ، ويعقب مالك بن الهيثم على ذلك بقوله لأبى مسلم : « فإنك إن رجعت إليه قتلك ، لكنك تمضى على طريقك حتى تصل إلى الرى وهم جندك ، فتقيم وتنظر فى أمرك فإن حدث لك حادث ، كانت خراسان من ورائك[٢١] ، فكانت خراسان هى الملجأ والحماية لأبى مسلم بسبب العصبية والنعرة

---

(١٨) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ٢ ، ص٢٥٥ .

عبد الحميد الكاتب : رسائل البلغاء ، كتاب الرد على الشعوبية ، نشر كرد على ، سنة١٣٣١هـ ، ص٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

(١٩) كتاب العرب أو الرد على الشعوبية ـ رسائل البلغاء ، ص٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

(٢٠) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٧ ، ص٤٨٢ .

(٢١) ابن طباطبا : الفخرى ، ص١٦٩ .

الشعوبية ، لأن أبا مسلم منذ ظهور أمره كان يتقرب إلى العنصر الفارسى ويقربه إليه(٢٢)، مما زاد من سلطته ونفوذه على أهل خراسان . هكذا كان أبو مسلم ممثلا للنزعة الفارسية الشعوبية ، فأفضى قتله على يد الخليفة العباسى إلى قيام الثورات والحركات الاستقلالية وتكوين الفرق للثأر له ، وتحول النزاع والتخاصم بين العنصرين العربى والفارسى إلى صراع شعوبى عنصرى(٢٣).

من ناحية أخرى أدت حركة الشعوبية إلى ظهور الزندقة(٢٤)، فلما لم يحقق الشعوبيون أغراضهم ضد العنصر العربى ، حاولوا جهدهم توجيه حملاتهم وهجماتهم إلى الدين ، واتخذوا من الانحلال والمبادئ الفارسية الهدامة أسلحة لهم ، فارتبطت كل من الزندقة والشعوبية بعضها ببعض وكانت الزندقة فى الأصل تطلق على من يعتنقون مذهب المانوية ، ثم شملت أصحاب البدع والملحدين وكل من ينغمس فى الملذات ويعيش حياة ماجنة(٢٥).

وعلى الرغم من ظهور الزندقة أواخر العصر الأموى فى حركة الحارث بن سريج فى خراسان وبلاد ما وراء النهر ، وقيام عمار بن يزيد والى خراسان ـ من قبل بكير بن ماهان ـ بتغيير اسمه وتلقب بخداش وأظهر دين الخرمية، فإن هذه الحركة دخلت فى منحى جديد خلال العصر العباسى ، فوجد بين الشعوبيين من يروج لعقيدة الباطنية ، والذين يفضلون العجم على العرب ويلهثون وراء عودة الملك للأكاسرة ، وتصدى بعض الخلفاء للزنادقة وطاردوهم واجتثوهم بيد من حديد، أمثال المهدى الذى

(٢٢) Osborne : Islam under the khaliphs of Baghdad, London 1977, P.156 .

(٢٣) زاهية قدّورة : الشعوبية وأثرها الاجتماعى والسياسى، بيروت ١٩٧٢ ، ص٢١٨ .

(٢٤) المقريزى : النزاع والتخاصم ، ص١٠١ .

(٢٥) عبد الرحمن بدوى : الإلحاد فى الإسلام ، مصر ١٩٤٥ ، ص٢٤ .

ولى رجـلا شـديد البـأس ديوانا لمطاردتهم ولقبـه صـاحب الزنادقـة(٢٦)، والخليفة الهـادى الذى أعلن : « لئن عـشت لأقتلن هذه الفرقة كلها »(٢٧)، على أن حياة اللهو والمجون التى انتهجها بعض الخلفاء الآخرون شجعت على انتشار الزندقة ، والبحث عن العادات الفارسية التى تقوم على المساواة فى الأمـوال ، وإباحـة شـرب الخـمـر ، والزنا ، من خـلال إباحـة النسـاء والممارسات الجماعية(٢٨).

يذكر الشهرستانى أن الزنديق فريد الزمزمى المجوسى كان من رستاق نيسابور ، ظهر فى عهد أبى مسلم الخراسانى ، وادعى أنه نبى يوحى إليه بعد أن زاد أتباعه ، وكان فى بداية حركته يقول بنبوة زرادشت(٢٩)، كما كان يقدس النار ، وأمر أتباعه باستقبال الشمس عند السجود على ركبة واحدة ، وحرم عليهم ذبح الحيوان حتـــى يهـرم ، وقد قتل على يد أبى مسلم(٣٠).

أدى التـخلص من أبى مـسلم الخـراسانى على يد الخليفة أبى جـعفـر المنصـور ومقتله ، إلى قيام ثورة عارمـة فى خراسان ، أفرزت حـركات

---

(٢٦) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، القاهرة ١٩٣٨م ، ص١٥٦ .

(٢٧) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٨ ، ص١٦٧ .

(٢٨) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ، مصر ١٩٤٥م ، جـ٢ ، ص١٠٥ .

(٢٩) كـان الدين الزرادشـتى هو الأصل فى إيران قـبل الإسـلام ، وهو دين زرادشت بن يورشب، والذى تقوم فلسفته على النور والظلمة ، وأن البارى خلقهما وأبدعهما ، وهو واحد لا شريك له ، ولا يجوز أن ينسب إليه وجود الظلمة ، وهما يمثلان الخير والشر ، ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم ، وهما متغالبان ، إلى أن يغلب النور الظلمة والخير الشر ، وقد عظمت النار فى الدين الزرادشتى ، لأنها مصدر النور الذى يمثل قوى الخير فى العالم.

البيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، بغداد ، مطبعة المثنى (د. ت)، ص٢٠٨ .

(٣٠) الشهرستانى : الملل والنحل ، القاهرة ١٣٢١هـ، جـ٢ ، ص٨٠ .

دينية سياسية ضد العرب والمسلمين ، فظهرت فى جبال خراسان فرقة الخرمية بزعامة سنباذ ، والتى انقسمت إلى المسلمية وتقول إن روح أبى مسلم انتقلت إليه وأنه لم يمت ، وطائفة الفاطمية التى أقرت بمقتله وإمامة ابنته فاطمة(٣١)، وكان سنباذ أحد القواد المقربين من أبى مسلم ، وكان من أشد المطالبين بالثأر له ، وادعى سنباذ أن أبا مسلم حى لم يمت ، ولكنه تحول إلى عمود من نور ، وتبعه خلق كثيرون ، ثم تحول إلى الثورة المسلحة ، فاستولى على قوص والرى ، وظل يتنقل فى البلاد ويدعو إلى المجوسية حتى قتل فى طبرستان(٣٢).

كذلك ظهرت الراوندية وهى فئة تزعم التفانى فى الإخلاص للعباسيين، ويتبرأون من إمامة أبى بكر وعمر، ولا يجيزون إلا إمامة على ابن أبى طالب ، وهم يقولون بالإباحية المطلقة للأتباع ، وألوهية المخلوقات عن طريق تناسخ الأرواح(٣٣)، واتخذت هذه الفرقة من الإخلاص لبنى

---

(٣١) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٣٥٧هـ ، جـ٣ ، ص٢٢٠ .

(٣٢) ابن طباطبا : الفخرى ، ص١٧١ .

يقول نظام الملك : لقد كان للباطنية ، فى كل وقت خرجوا فيه ، اسم ولقب يختلف عنه فى وقت آخر ، وعرفوا بأسماء وألقاب متفاوتة فى كل مدينة وولاية ، وإن كانت واحدة فى معناها ، فقد كان يقال لهم « الإسماعيلية » فى حلب ومصر ، و« السبعية » فى قم وكاشان وطبرستان وسبزوار التى تقع بين نيسابور وشاهرود بالقرب من مدينة مشهد بخراسان ، و«القرامطة» فى بغداد وما وراء النهر وغرنين ، و «المباركية» فى الكوفة ، و «الراوندية » و « البرقعية » فى البصرة ، و « الخلفية » فى الرى ، و«المحمرة» فى جرجان ، و«المبيضة» فى الشام ، و «السعيدية» فى المغرب ، و«الجنابية» فى الإحساء والبحرين ، و«الباطنية» فى أصفهان . وكان هدفهم تقويض دعائم الإسلام والمسلمين والعمل على غواية الخلق وضلالهم .

نظام الملك : سياست نامه ، ص٢٨٣ ـ ٢٨٤ .

(٣٣) الأشعرى : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، استانبول ١٩٢٩م، جـ١ ، ص٢٢ .

ابن طباطبا : المصدر نفسه ، ص١١٦ .

العباس وسيلة للطعن فى المسلمين ، والقضاء على انتشار الإسلام ، وإحياء دينهم القديم .

يقول نظام الملك : « ويبدو أن أصل المذاهب الثلاثة : المزدكية ، والخرمية ، والباطنية ، واحد ، وأنهم كانوا يسعون دائمًا لتقويض دعائم الإسلام . لقد كانوا يتظاهرون بالصدق والزهد والعبادة والتقوى ومحبة آل الرسول ﷺ أمام المسلمين ، بادئ ذى بدء لإيقاعهم فى حبائلهم ، لكنهم كانوا يسعون ، بعد أن يقوى عددهم ويكثر أتباعهم ، إلى الإطاحة بأمة محمد ﷺ ودينه ، وتقويضهما »[٣٤] . فإذا ما قويت شوكتهم انتقلوا إلى القضاء على الحكم العربى .

وحاولوا استمالة الخليفة العباسى بادعاء ألوهية أبى جعفر المنصور ، إلا أنه سارع بالقبض على عدد كبير من زعمائهم ، وأودعهم السجن ليقضى على حركتهم ، لكن الأتباع قاموا بالثورة وهاجموا السجن ، وأخرجوا الزعماء واتجهوا إلى قصر الخلافة ، وطلبوا بثأر أبى مسلم ، فتصدى لهم معن بن زائدة الشيبانى، وعثمان بن نهيك رئيس حرس المنصور ، والقعقاع بن ضرار رئيس الشرطة، واستطاعوا رد الثوار ، غير أنهم أعادوا تجميع صفوفهم وخرجوا مرة أخرى سنة ١٤٢هـ/ ٧٦٠م، أثناء غياب الخليفة فى البصرة ، ولم يردعهم إلا القائد حازم بن خزيمة الذى شتت شملهم ، فتفرقوا فى الأمصار[٣٥] . والراوندية قامت فى أساسها كحركة شعوبية اتخذت من التعصب للفرس طريقا وهدفا لها[٣٦] ومن المطالبة بثأر أبى مسلم قناعاً وهدفا لتحقيق مآربها .

---

(٣٤) سياست نامه ، ترجمة يوسف حسين بكار ، دار الثقافة ، قطر ١٩٨٧م، ص٢٩٢ .

(٣٥) الدينورى : الأخبار الطوال ، ليدن ١٩٨٨م ، ص٣٢٤ .

(٣٦) Muir : The Caliphate , its Rise , Decline, and Fall, London 1924, P. 452 .

لم تهدأ خراسان بتشتيت شمل الراوندية ، بل قامت حركة أخرى تزعمها رجل يدعى أستاذ سيس ، الذى اختصر الطريق، وادعى لنفسه النبوة ليجذب إليه العامة والجهال ، فاستجاب له عدد هائل من هراة وباذغيس وكنج سنان ، وانتشرت ثورته كالنار فى الهشيم ، وتصدى للجيوش العربية المرابطة فى خراسان ، وهزمها ، ولم تخمد حركته إلاّ بعد أن أرسل إليه الخليفة المنصور جيشًا كبيراً فقضى عليه ، وتفرق أتباعه الذين كانوا يعتقدون أنه نبى لا يهزم(٣٧).

منذ مقتل أبى مسلم الخراسانى ، لم تهدأ ثورات أهل خراسان ضد الخلفاء العباسيين حتى بعد القضاء على حركاتهم الأولى ، ففى عهد المهدى خرج رجل من قرية كره إحدى نواحى مرو يدعى المقنع الخراسانى وكان يعرف بحكيم أو عطا أو هاشم ، ولقبه المؤرخون بالمقنع ، لأنه كان يخفى وجهه القبيح الدميم بقناع من ذهب، ويضع قطعة من حرير أخضر على منطقة العينين فى القناع.

وانضم إليه خلق كثير من شتات الحركات الأولى التى تم القضاء عليها ، من أتباع أبى مسلم والراوندية وأستاذ سيس ، وبخاصة أنه ادعى فى بداية حركته أن أبا مسلم الخراسانى لم يمت ، وزاد على ذلك أن الإمامة لم تنتقل من أبى العباس السفاح إلى أبى جعفر المنصور بل انتقلت إلى أبى مسلم الخراسانى، وبذلك يكون أبو جعفر المنصور مغتصبا للخلافة من أبى مسلم ، طبقا لتعاليم المقنع ، ولذلك قد عجل بالتخلص منه ، وأن أبا مسلم طلب من الحكيم بطريق الوحى الثأر لمقتله . وبعد أن زاد أتباعه غير آراءه وقال إن روح الآلهة كانت فى آدم، ثم تحولت إلى ابنه شيث، ثم إلى نوح، ثم إلى إبراهيم، ثم إلى عيسى، ثم إلى محمد ﷺ ، ثم إلى على

---

(٣٧) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٧ ، ص٥٠٧ .

ابن أبى طالب، ثم إلى محمد بن الحنفية ، ثم إلى أبى مسلم الخراسانى ، وأخيرا استقرت فى المقنع .

ومن أجل زيادة أعداد أتباعه منحهم المغريات التى تتجلى فى إسقاط التكاليف، فأبطل الصلاة والصوم وأباح لهم الأموال والنساء ، واكتفى منهم أن يسجدوا له لدى رؤيته فى كل مكان فأطاعوه ، وكانوا يسجدون له وينادون يا هاشم أعنا[٣٨] بعد أن أقنعهم بذلك من خلال زعمه بتأويل الآية الكريمة ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾[٣٩] ، ويفسر ذلك بقوله إن الشيطان استحق لعنة الله لأنه لم يسجد لله المتحول فى صورة آدم التى انتقلت إليه بعد مقتل أبى مسلم ، فوجب له السجود، وإلاّ تعرض الرافض للسخط واللعنة وسوء الطالع[٤٠]، فانضم إليه كثيرون من الصغد وبخارى وغيرهما، مما وراء النهر .

فلما اشتدت شوكته قام على رأس أتباعه بالخروج على الخلافة العباسية، وسار إلى سجستان فاستولى على بعض قصورها ، وقتل حسان ابن نصر بن سيار، فأنفذ إليه المهدى جيشاً كبيراً ألحق به وبأتباعه الهزائم المتتالية ، فلما لم يجد حيلة وأيقن بالهلاك، قام وأهله بالانتحار الجماعى عن طريق شرب السم ،ثم ألقى بنفسه فى النار التى أعدها لذلك اليوم، فاحترق واختفى وادعى أصحابه أنه لم يمت بل رفع إلى السماء[٤١] .

تعد الخرمية من أقوى الحركات الثورية التى كانت ترمى إلى الطعن

---

(٣٨) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٨٠ .

(٣٩) سورة البقرة : آية ٣٤ .

(٤٠) البغدادى : الفرق بين الفرق ، مطبعة المعارف بالقاهرة ، ١٣٢٨هـ، ص٢٤٣ .

(٤١) البغدادى المصدر نفسه ، ص٢٤٤ ،

فى الدين الإسلامى والقضاء على النفوذ العربى ، والخرمية ينتسبون إلى رستاق خرم بأردبيل(٤٢)، وهو الموضع الذى كان يمارس فيه الناس اللذة والسرور ، وصار علما لإباحة جميع الملذات والشهوات طبقا لمبادئ الخرمية من إسقاط التكاليف وإغراء الناس بالانضمام إليهم(٤٣).

ليس أدل على انضمام أتباع الفرق المنحلة السالف ذكرها إلى الخرمية، من أن هذه الحركة اتخذت من التعاليم السابقة دستورا لها ومنهجاً دينيًا ، فقالوا بتناسخ الأرواح مع تغيير الاسم، وتبديل الجسم ، والوحى لا ينقطع بمرور الزمان ، وهو دائم حتى مع عدم وجود أنبياء أو مرسلين ، ويعظمون أبا مسلم الخراسانى، ويلعنون قاتله أبا جعفر المنصور ، ويصلون على مهدى بن فيروز حفيد أبى مسلم الخراسانى من ابنته فاطمة ، ويطلقون لقب فرشتكان على مرجعهم الدينى ، وهم يتبركون بالماء المقدس، وهو عندهم الخمر، وكافة الأشربة المسكرة التى تذهب العقل ، كما يعتقدون بالنور والظلمة ، وقامت ثورتهم الكبرى فى عهد الخليفة المهدى العباسى سنة١٦٣هـ/ ٧٨٠ م(٤٤) واستمرت حتى زمن هارون الرشيد ، وامتدت ثورتهم لتشمل نواحى خراسان وأصبهان وأذربيجان والكرخ ، وقد وجدت هوى فى نفوس رعايا هذه النواحى، لأن أساس دعوتهم قامت على تحويل الملك من العرب المسلمين إلى الفرس المجوس(٤٥)، وقد طاردهم جيش الخلافة وتم القضاء على حركتهم، وقتل زعيمهم عمر بن محمد العمركى فى عهد الرشيد(٤٦).

---

(٤٢) ياقوت : معجم البلدان ، بيروت ١٩٧٩م ، جـ٣ ، ص٤٢٤ .

(٤٣) ابن الجوزى : تلبيس إبليس ، القاهرة ١٩٢٨ ، ص١٠٦ .
نظام الملك : سياست نامه ، ص٢٨٧ .

(٤٤) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ٣ ، ص١٣٠ .

(٤٥) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ، جـ٢ ، ص٩٩ .

(٤٦) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٨ ، ص٢٣٢ .

لما قتل العمركى تزعم بابك الخرمى خرمية أذربيجان، وقام بحركة ثورية خطيرة أقلقت بال الخلافة نحو اثنين وعشرين عاما ، وبخاصة أن بابك اختصر الطريق وادعى الألوهية ، وكان يقول بالحلول والتناسخ والرجعة[٤٧]، هذه المبادئ وجدت هوى فى نفوس الفرس الذين كانوا يتوقون لعودة المجد الفارسى، والقضاء على النفوذ العربى ، ووجدوا فى شخصه الزعيم المخلص والقائد المنقذ[٤٨]، لا سيما بعد أن فشلت جيوش الخلافة العباسية على عهد المأمون فى القضاء عليه ، الأمر الذى أدى إلى زيادة أتباعه بصورة كبيرة، بخاصة من إقليم الجبال وهمدان وأصفهان[٤٩]، وانضم إلى حركته كثير من أذربيجان والأكراد والأرمن ، فلما استفحل خطرهم أرسل إليهم المعتصم الجيوش تلو الأخرى حتى أوقعت به وأسر وصلب سنة ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م .

وإن كان قد تم القضاء على بابك الخرمى فإن أحد أتباعه الأقوياء ثار على الخلافة العباسية ، وقطع الخراج وخرب القرى المستولى عليها ، وهو المازيار والى طبرستان ، وقام بحركة لنشر دعوته الخبيثة التى قصد بها الخروج على الدولة والتآمر على الدين والعرب[٥٠]، غير أن سوء معاملة المازيار لأتباعه أدت إلى خيانتهم له وتخليهم عنه ، فاتجه إلى الاعتداء على المساجد ليفصح بذلك عن أغراضه السرية ، والتى تتجلى فى إبادة الحكم العربى والطعن فى الإسلام لمحوه وإعادة الدين الفارسى .

وكان المنسق والمحرك للمازيار هو حيدر بن كاوش الملقب بالأفشين

---

(٤٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧٨م ، جـ٥ ، ص١٨٤ .

(٤٨) زاهية : الشعوبية ، ص١٤٥ .

(٤٩) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ٨ ، ص٣٧ .

(٥٠) البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص٢٥٢ .

الذى ينتمى للعائلة الملكية فى أشروسنة ، وانكشف أمر الأفشين، بعد أن ولاه المأمون قيادة الجيش ضد بابك الخرمى ، لكنه كان يهرب الأموال المستولى عليها من الحروب إلى بلاده، ولم يرسلها إلى حاضرة الخلافة . فلما ولى المعتصم وشى أعداء الأفشين به لدى الخليفة الذى أمر بالقبض عليه، وعقد له محاكمة علنية لفضح أمره ، واتهمه بادعاء الألوهية لأن أهل أشروسنة كانوا يكتبون إليه « إله الآلهة من عبده فلان »(٥١)، وأنه قال للمازيار إذا انتصر فسيمحو دين الإسلام، ويظهر الدين الأبيض، ويعود إلى دين الآباء والأجداد(٥٢)، واتهمه كذلك بأكل المخنوقة، ورفض الاختتان ، واحتفاظه بالكتب الوثنية وما فيها من الشرك ، وتنكيله بالمسلمين لتحطيمهم الصور والأيقونات ، واتخاذه تمثالا لإنسان من الخشب وعاءً لديانته .

كما أن الأفشين كتب إلى المازيار يحرضه على التمرد والعصيان ، ومما جاء فى رسالته : « لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيرى وغيرك وغير بابك ، فأما بابك فإنه قتل نفسه بحمقه ولم يبق أحد يحاربنا إلا الآتى: «العرب والمغاربة والترك ، والعربى بمنزلة الكلب أخرج له كسرة ، ثم اضرب رأسه بالدبوس، ويعود الدين إلى ما لم يزل عليه أيام العجم»(٥٣)، فلما ثبتت عليه التهم صلب سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤١م، وأحرقت جثته وأطرح فى نهر دجلة .

ومع أن الأفشين كان تركيا فإنه كان فى عقيدته فارسيا(٥٤)، وهذه

---

(٥١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٩ ، ص٧٦ .

(٥٢) الطبرى : المصدر نفسه ، جـ٩ ، ص٧٧ .

(٥٣) الطبرى : المصدر نفسه ، جـ٩ ، ص٧٩ .

(٥٤) Browne : A Literary History of Persia, From the Earliest Times until Firdawsi, London 1909, P. 335 .

الحركة وغيرها مما قام به الزنادقة إنما تدل على أن المنافقين من أهالى البلاد المفتوحة إنما دخلوا فى الإسلام ظاهريا ، وأنهم كانوا يتحينون الفرصة السانحة للإرتداد عن الإسلام ، والعودة إلى دينهم القديم ، واسترجاع مجدهم الزائل وسلطانهم الفائت ، وأن الشعوبيين هم المبغضون لآل النبى ﷺ وأصحابه ، بعد فتح الفتوح وقتل المجوس ومجىء الإسلام(٥٥) . وهذه الثورات العارمة ضد الحكم الإسلامى والجنس العربى ، كان هدفها النهائى هو الاستقلال والانفصال عن هذا الحكم المتمثل فى الخلافة العباسية ، وليس أدل على ذلك من أن هذه الحركات كانت بمثابة الإرهاصات والمقدمات للحكومات الانفصالية ، مثل الدولة الطاهرية فى خراسان ، والصفارية فى سجستان ، والسامانية فى سمرقند ، والتى اهتم زعماؤها بإثبات نسبهم الفارسى لإضفاء الشرعية على حكمهم أمام أتباعهم الفرس ، الذين ظلوا على إسلامهم مع حنينهم لعودة الحضارة الفارسية ، والمجد الفارسى الغابر ، يعقب الثعالبى على ذلك بقوله : « هذا ظاهرهم ، والله أعلم ببواطن أمورهم »(٥٦) .

ساعد على انتشار الزندقة التى تعد من المظاهر التى نتجت عن الشعوبية ، قيام بعض مشاهير الشعراء بالترويج لها من خلال أشعارهم ، التى كانت تلقى قبولا واستحبابا من عامة الناس ، من أمثال بشار بن برد ، وحماد الراوية ، وحماد عجرد ، وحماد بن الزبرقان، وأبى نواس ، وابن المقفع ، الذين كانوا مستترين فى شعوبيتهم ، مما دعا بعض الكتاب للتصدى لهم وتفنيد مزاعمهم مثل القاسم بن إبراهيم الذى ألف كتابه المعروف : « الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع » ، وكان ابن المقفع على

---

(٥٥) الجاحظ : البخلاء ، ص٢٥٢ .

(٥٦) الثعالبى : ثمار القلوب ، ص١٣٨ .

قول المؤرخين منافقا ، اهتم بنقل الكتب الفارسية إلى العربية ، وبخاصة التى تدعو إلى الزندقة والإلحاد ، مثل كتب مانى وابن دميان ومرقيون(٥٧)، وبعض الشعراء جاهر بالكفر والإلحاد والزندقة تعصبا ضد العربية والدين فمن بينهم بشار بن برد الذى قال(٥٨) :

الأرض مظلمة والنار مشرقة .·. والنار معبودة مذ كانت النار

وكان يقول لأصحابه من الشعراء : أبياتك هذه يا فلان أحسن من سورة كذا وكذا(٥٩)، كذلك لما سمع غناء جارية طرب لها وقال : هذه والله يا أبا عبد الله أحسن من سورة الحشر(٦٠). ويعد بذلك بشار أحسن مثال للزنادقة ، فهو شعوبى يحن إلى قوميته ويكره الإسلام ، وكان من الطبقة الماجنة المنحلة(٦١).

وكان حماد عجرد ينتصر للمانوية، ويضع أشعاراً يتعبدون بها فى صلاتهم ويستخف بالقرآن الكريم، ويدعى أن ما يقوله أفضل منه(٦٢)، ومن ناحية أخرى قام حماد الراوية بالدس والوضع فى التاريخ العربى، والأنساب فضلاً عن الدس فى الدين ، وكان يتفق مع أصحابه فى الزندقة ومعاقرة الخمر ، وكان هشام بن الحكم الرافضى من أشد الزنادقة الشعوبيين نفاقا فى عهد الرشيد ، فقد كان دهرياً مانويا دخل الإسلام للطعن فى الدين

---

(٥٧) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٤ ، ص٢٤٢ .

(٥٨) الأصفهانى : الأغانى ، جـ٣ ، ص٢٤ .

(٥٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية ١٩٣٣م، جـ٢ ، ص٢٩ .

(٦٠) الأصفهانى : المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٥٥ .

(٦١) Nicholson : Literary History of the Arabs, London, 1923, P. 373 .

(٦٢) الأصفهانى : المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٧٧ .

وكان بارعا فى علم الكلام، مفوها ، مجادلا عنيدا ، مستغلا رؤيته وتبصره فى هدم عقيدة التوحيد من أساسها والطعن فى الأنبياء ، واتخذ من مناظراته للزنادقة والرد عليهم قناعاً خبيثًا للوصول إلى أغراضه الوضيعة ضد الدين(٦٣)، قصارى القول إن حركات الزنادقة الشعوبية اتخذت من المظهر الدينى شعارا يخفى مطامعهم السياسية التى ترمى إلى النزعات الاستقلالية والتى ساعدت على قيام الدول المستقلة فى الشرق.

### ٢ ـ نفوذ الفرس ونكبة البرامكة :

لما قامت الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م، انتقلت حاضرة الخلافة من دمشق ببلاد الشام إلى الكوفة بالعراق، وذلك لأن العراق كان مركز الدعوة العباسية ، فلم يرد الخلفاء العباسيون وراثة حاضرة الأمويين لأنها كانت الملاذ لأنصار الأمويين وموطن أتباعهم ، كما كانت قريبة من البيزنطيين أعداء الفرس منذ أقدم العصور ، والفرس حلفاء العباسيين ، وعلى أكتافهم وبمؤازرتهم قامت الخلافة العباسية(٦٤). تدل على ذلك خطبة أبى العباس السفاح فى أهل الكوفة : « يا أهل الكوفة إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا ، حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان فأحيا بهم حقنا ، وأفلج بهم حجتنا وأظهر بهم دولتنا»(٦٥)، إلاّ أن أبا العباس السفاح لم يمكث طويلاً بالكوفة مركز الشيعة العلويين ، فانتقل إلى الحيرة،

---

(٦٣) البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص٥١ .

ابن حزم : الملل والنحل ، جـ٢ ، ص١٤١ .

(٦٤) Arnold : The Caliphate, Oxford, 1924, P. 27 .

(٦٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٧ ، ص٤٢٧ ـ ٤٢٨ .

ثم إلى الأنبار سنة ١٣٤هـ/٧٥٢م(٦٦)، ثم أصبحت بغداد حاضرة الخلافة سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م فى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور ، الذى كره المقام بهاشمية الكوفة شيعة العلويين ومركز الثائرين والتى كان يدعو عليها وعلى أهلها قائلا : « أهل الشقاق والنفاق فرق الله بينى وبينها »(٦٧).

ويظهر الأثر الفارسى فى التخطيط الدائرى لبغداد (٦٨)، والإسراف فى بناء وتزيين قصورها وبخاصة قصر الذهب وقصر الخلد(٦٩)، واعترافا بفضل الفرس فى إقامة دولة العباسيين أطلق على أكبر وأهم أبواب بغداد اسم خراسان ، ويسمى أيضاً باب الدولة(٧٠)، وإلى جانب ذلك بنى المنصور قبة خضراء فوق الإيوان يعلوها تمثال فارسى بيده رمح ، وهو دليل على جهود الفرس فى حماية الدولة، والضرب على أيدى أعدائها ، والذى يعد بمثابة انتصار للشعوبيين الفرس، الذين تزايد عددهم وقوى نفوذهم وتبوءوا المناصب العليا فى الدولة بمباركة خلفائها(٧١)، الأمر الذى أدى إلى حتمية الصراع بين العنصرين العربى والفارسى .

ويتجلى ذلك فى تصدى الخلفاء لمحاولات زعماء الفرس استغلال الثقة التى حظوا بها ، فمن ذلك ما قام به أبو مسلم الخراسانى من قصر المناصب العليا على أتباعه من الفرس بعد أن أطلق الخليفة يده فى كافة شئون الدولة(٧٢)، وليس أدل على ذلك من رفض محمد بن الأشعث، أمير

---

(٦٦) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٧ ، ص٤٦٤ .

(٦٧) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٣ ، ص٢٦ .

(٦٨) Le Strange : Baghdad during the Abbassid Caliphate, Oxford, 1900, P. 18 .

(٦٩) ابن الجوزى : مناقب بغداد ، مصر ١٣٤٢هـ، ص١١ .

(٧٠) البغدادى : تاريخ بغداد ، منشورات دار الكتاب العربى ، بيروت ١٩٧٨ ، ١٤ جزءاً، جـ١ ، ص٧٥ .

(٧١) Muir : The Caliphate , P. 431 .

(٧٢) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٩٣ .

فارس تسليم الإمارة لعيسى بن على الذى أتاه بكتاب الخليفة أبى العباس السفاح بتوليته ، فلما رفض ابن الأشعث أن يسلمه الإمارة قال : يا أبا الأشعث ألست فى طاعة الإمام أبى العباس ؟ قال: بلى ، غير أن أبا مسلمٍ أمرنى ألا أسلم العمل إلى أحد من الناس ، قال عيسى : فإنما أبو مسلم عبد للإمام وأن الإمام لا يرضى أن يرد أمره ، قال محمد بن الأشعث : دع عنك هذا لست أسلم العمل إليك إلاّ بكتاب أبى مسلم ، فانصرف عيسى إلى الخليفة فأخبره بذلك فكظم غيظه(٧٣)، إلاّ أن أبا جعفر قال لأبى العباس : لست بخليفة ما دام أبو مسلم حيا فاحتل لقتله قبل أن يفسد عليك أمرك ، فقد رأيته وكأن لا أحد فوقه ، ومثله لا يؤمن غدره ونكثه ، فرد السفاح : وكيف يمكن ذلك ومعه أهل خراسان، وقد أشرب قلوبهم حبه واتباع أمره وإيثار طاعته(٧٤)، فكرر أبو جعفر عليه قائلاً : « يا أمير المؤمنين أطعنى واقتل أبا مسلم» ، فرد أبو العباس : يا أخى قد عرفت بلاءه وما كان منه(٧٥) .

لما ولى أبو جعفر الخلافة تظاهر بالعفو عن تجاوزات أبى مسلم لحاجته إليه فى توطيد دعائم ملكه والضرب على أيدى أعدائه ، وبخاصة عندما انتدبه أبو جعفر للقضاء على عمه عبد الله بن العباس الذى طمع فى الخلافة وطالب بها . وقد زاد غرور أبى مسلم وتكبره بعد ما حققه من نصر على عم الخليفة، لكن أبا جعفر أراد أن يلقنه درسًا فأرسل إليه رسولا

---

(٧٣) الدينورى : الأخبار الطوال ، ص٣٢٩ .

(٧٤) الدينورى : المصدر نفسه ، ص٣١٨ .

(٧٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٧ ، ص٤٦٨ ـ ٤٦٩ .

يحصى عليه الغنائم ، فغضب أبو مسلم وشعر بالمهانة وعدم الثقة وقال : «أؤتمن على الدماء ولا أؤتمن على الأموال؟ »[٧٦] وسب الخليفة وأراد قتل الرسول الذى أوضح له أنه ما جاء إلا للتهنئة ، ولم يلبث أن توجه إلى خراسان وكتب إلى الخليفة أنا متوجه إلى خراسان، فإن أصلح الخليفة نفسه كنت سامعا مطيعا وإلاّ نظرت لنفسى بالحال التى تقارنها السلامة[٧٧] .

فلما رأى ذلك المنصور استعمل معه الحيلة وكتب إليه يسترضيه، ويطلب منه المثول بين يديه ، وبعد طول امتناع لم يجد أبو مسلم بداً من التوجه إلى حاضرة الخلافة ، فلما وصل إلى هناك ذهب إلى قصر الخلافة. وشرع المنصور يؤنبه ويعدد ذنوبه ، فابتدره أبو مسلم : « يا أمير المؤمنين مثلى لا يقال له مثل هذا ، ولا تعد عليه مثل هذه الذنوب بعد ما فعلت» ، فاغتاظ وقال : «وهل نلت ما نلت إلاّ بنا وبدولتنا »، ثم أمر رجاله بضربه بالسيوف لما همّ خارجا ، فتوسل إليه أبو مسلم : « استبقنى يا أمير المؤمنين لعدوك ، فرد المنصور وأى عدو لى أعدى منك »[٧٨] .

يبدو من استقراء الأحداث ، أن النزاع بين أبى جعفر المنصور وأبى مسلم إنما قام لإثبات قوة الخلافة وسلطة الخلفاء فى مواجهة أمرائها ، ولم يقصد أبو جعفر محاربة النفوذ الفارسى ، يتجلى ذلك من وصيته لابنه المهدى : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله المنصور أمير المؤمنين إلى من خلف بعده من بنى هاشم، وشيعته من أهل خراسان وعامة

---

(٧٦) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، جـ٣ ، ص١٠٣ .

(٧٧) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٢٣ .

(٧٨) ابن طباطبا : المصدر نفسه ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .

المسلمين . أما بعد ، فإني كتبت كتابي هذا وأنا حي في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة وأنا أقرأ عليكم السلام وأسأل الله ألا يفتنكم بعدي ولا يلبسكم شيعاً ولا يذيق بعضكم بأس بعض ، يا بني هاشم ويا أهل خراسان ، وأوصاهم بالمهدي وحضهم على القيام بدولته والوفاء بعهده»(٧٩) .

على الرغم من قيام أهل خراسان بنقض بيعة المهدي وطرد عماله وكسر الخراج ، فإن المهدي لم يأخذ بمشورة الفضل بن الربيع والفضل ابن عباس اللذين أشارا عليه بالبطش والعنف ، فآثر جانب اللين وأنفذ إليهم ولي عهده ليوضح لهم سياسته التي تقوم على احترامهم وتقدير جهودهم لصالح الدولة ، وأنهم وإن كانوا قد أظهروا الولاء والطاعة ، فإن هذا الموقف يوضح بجلاء رغبتهم في التحرر من النفوذ العربي ونزعاتهم المكبوتة التي تجنح نحو الاستقلال ، ولما ولي الهادي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م لم يحاول الفرس التدخل في شئون الدولة نظرا لما عرف عنه من الحزم والشجاعة في الضرب على أيدي أعداء الخلافة(٨٠) .

كان لقيام الرشيد بإعلاء نفوذ الفرس في الدولة أثره البالغ في إضعاف الحزب العربي الذي قامت عليه الخلافة الإسلامية منذ تأسيسها ، فانصرف الناس عنهم ، وباتوا يخطبون ود الفرس المتمثلين في البرامكة ، الأمر الذي أضعف بالتبعية جسد الخلافة كلها ، وأفقدها السيطرة على أطرافها ، فلقد كان منصب الوزراء للعنصر العربي ، غير أن الفرس صاروا ينافسون

---

(٧٩) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٨ ، ص١٨٧ .

(٨٠) الطبري : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص١٨٧ .

العرب على أعلى مناصب السلطة التنفيذية وبات الصراع بين الطرفين العربى والفارسى حتميا ، فمنذ ولّى السفاح الوزارة خالد بن برمك جد البرامكة ، وهو فارسى الأصل، سار الخلفاء من بعده على نهجه ، فوليها أبو أيوب الموريانى فى عهد المنصور وهو من قرية الموريان بالأهواز(٨١)، وتولاها أبو عبد الله بن يسار فى عهد المهدى ، وفوض المهدى له تدبير كافة الأمور ، ويعقوب بن داود وهو مولى عبد الله بن خازم، والذى قال فيه بشار بن برد : إن الخليفة يعقوب بن داود ، محذراً الخليفة من استفحال خطره قائلاً :

بنى أمية هبوا طال نومكم .·. إن الخليفة يعقوب بن داود(٨٢)

ومن وزراء المهدى الفيض بن صالح من إحدى قرى نيسابور وكان متكبرا متجبراً(٨٣).

بلغ النفوذ الفارسى فى الدولة العباسية أعلى مراتبه فى عهد الرشيد فقد ولى البرامكة الوزارة ومنحهم كافة سلطاته، فقال الرشيد ليحيى بن خالد البرمكى : « وقد قلدتك أمر الرعية ، وأخرجته من عنقى إليك ، فأحكم بما ترى، واستعمل من شئت ، واعزل من رأيت ، وافرض من رأيت وأسقط من رأيت ، فإنى غير ناظر معك فى شيء»(٨٤)، وكان أصلهم من وجهاء مجوس بلخ، وكان الجد برمك يخدم النوبهار وهو معبد توقد فيه النيران(٨٥)،

(٨١) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٩٧ .
(٨٢) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص١٥٩ .
(٨٣) الجهشيارى : المصدر نفسه ، ص١٦٤ .
(٨٤) الجهشيارى : المصدر نفسه ، ص١٧٧
(٨٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧١م ، جـ٢ ، ص٢٦٦ .

وبرمك هو لقب كبير سدنة النوبهار . ويعد خالد من أهم أبناء برمك البارزين ، الذى ولى الوزارة لأبى العباس السفاح[٨٦]، وتقلد خالد الرى وطبرستان فى عهد المنصور ، وعمل مستشاراً للخليفة حيث كان يرجع إليه فى المسائل الجليلة ، وولى فى عهد المهدى مقاطعة فارس[٨٧]، وزادت ثقة المهدى بخالد فعهد إليه بتربية ابنه هارون .

وفى عهد الهادى علا شأن يحيى بن خالد، فأمره أن يقوم بتدبير شئون أخيه هارون ، وصارت ليحيى بن خالد حظوة ومكانة كبيرة عند هارون الرشيد نفسه ، عندما تدخل لدى موسى الهادى وأشار عليه ألاّ يخلع أخاه هارون ، وفى نفس الوقت أشار على هارون ألاّ يتنازل عن حقه فى الخلافة[٨٨]، ولعبت الأقدار دورها فى إعلاء نفوذ البرامكة بعد وفاة الهادى، فذهب إلى هارون يبشره بالخلافة ، واعترف له الرشيد بهذا الفضل، والدور الذى لعبه فكان يقول له : « يا أبت أنت أجلستنى فى هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك ، وقد قلدتك الأمر، ودفع خاتمه إليه »[٨٩]، فلما صارت شئون الدولة كلها بيديه استعمل ابنيه الفضل وجعفر ، واستولوا جميعا على الأمر ، بل صارت الأوامر تخرج من الدواوين بتوقيع يحيى بن خالد وبخاصة ديوان الخراج الذى كان مقصوراً من قبل على الخلفاء[٩٠] .

كان يحيى بن خالد وولداه مقربين للخليفة ولابنيه الأمين والمأمون

---

(٨٦) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٨٩ .

(٨٧) الجهشيارى : المصدر نفسه ، ص١٥١ .

(٨٨) الجهشيارى : المصدر نفسه ، ص١٧٠ .

(٨٩) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٣ ، ص٢٥٧ .

(٩٠) الجهشيارى : المصدر نفسه ، ص١٧٨ .

وظلوا جميعا يديرون أمر الخلافة بإقتدار وكفاية ، فزاد الرشيد من سلطتهم وولى جعفر بن يحيى ولاية المغرب من الأنبار إلى بلاد إفريقيا ، وولى الفضل المشرق من النهروان إلى أقصى بلاد الترك(٩١) .

لعب الفضل بن يحيى دوراً هامًا فى تولية الأمين العهد بعد أبيه لأن الرشيد جعل الأمين فى حجر الفضل ، فلما وصل الأخير إلى خراسان أخذ البيعة لمحمد بن الرشيد من أهلها ولقبه بالأمين فبايعوا له(٩٢)، وفضلاً عن ذلك قام بعمله على أكمل وجه بخراسان(٩٣)، فلما عاد إلى بغداد استقبله الرشيد أعظم استقبال وأكرمه غاية الكرم(٩٤) .

غير أن الرشيد كان يؤثر جعفراً على أخيه الفضل ، فكان يقول ليحيى بن خالد : « أنت للفضل وأنا لجعفر(٩٥)»، ولذلك جعل ابنه عبد الله المأمون فى حجر جعفر بعد أن اكتشف مواهب جعفر من حسن البيان ، وبلاغة اللسان ، والتمكن من أركان الفقه، ومبادئ التشريع . وكان يسمى جعفراً « أخى »، وأضاف إليه بصفة خاصة البريد والطراز ودور الضرب ، وكان يجلسه بجواره ويشركه فى نظر المظالم(٩٦)، فتمادى جعفر فى استغلال سلطاته وتصرفه فى الأمور من غير استئذان الخليفة أو حتى الرجوع إليه ، لذلك حذر يحيى الخليفة من تسليم زمام الأمور إلى جعفر : « ولست آمن أن

---

(٩١) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص١٩٠ .
(٩٢) الجهشيارى : المصدر نفسه ، ص١٩٣ .
(٩٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٨ ، ٢٣٢ ،
(٩٤) الجهشيارى : المصدر نفسه ، ص١٩٢ .
(٩٥) الجهشيارى : المصدر نفسه ، ص١٨٩ .
(٩٦) الجهشيارى : المصدر نفسه ، ص٢٠٤ .

ترجع العاقبة علىّ فى ذلك منك »[٩٧] .

وقد صدق حدس يحيى ، إذ ترتب على هذه الثقة أن حسدهم أعداؤهم وقاموا بالدس والوقيعة لهم، بعد أن هالهم المكانة التى وصل إليها البرامكة ويأتى فى مقدمتهم الفضل بن الربيع بن محمد بن كيسان مولى عثمان بن عفان[٩٨]، الذى كان يدعى غيرته على الخلافة والحفاظ على العنصر العربى ، ومعه على بن عيسى بن ماهان الذى كان يكره البرامكة، والأصمعى الذى اتهمهم بالزندقة[٩٩] .

ولم يتوان هؤلاء الوشاة عن تعكير صفو العلاقة بين الرشيد والبرامكة، فاتهموهم بإيثار بنى جلدتهم بالمناصب العليا والعطاء ؛ وأنهم صاروا منافسين للخليفة بعد أن جمعوا الأموال الطائلة فضلاً عن ميلهم للزندقة والمجوسية ، فتغير الرشيد لما رأى من إقبال الناس على البرامكة وإدبارهم عنه ، فبعد أن كان الرشيد يمدحهم بقوله : « جزى الله يحيى خيرا تصدى للأمور وأراحنى من الكد، ووفر أوقاتى» صار يقول بعد أن تبدل الحال : «استبد يحيى بالأمور دونى فالخلافة على الحقيقة له ، وليس لى منها إلاّ اسمها »[١٠٠]، ويعقب ابن الطقطقى على ذلك بقوله : « إن جعفراً والفضل ابنى يحيى بن خالد ظهر منهما من الإذلال ما لا تحتمله نفوس الملوك ، فنكبهم لذلك »[١٠١]، وجاء فى كتاب الوزراء والكتاب أن يحيى بن خالد

---

(٩٧) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٢٢٥ .

(٩٨) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٠٩ .
الجهشيارى : المصدر نفسه ، ص٢٤٩ .

(٩٩) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، جـ١ ، ص٥١ .

(١٠٠) ابن طباطبا : المصدر نفسه ، ص٢٠٨ .
الجهشيارى : المصدر نفسه ، ص٢٢٦ .

(١٠١) ابن طباطبا : المصدر نفسه ، ص٢٠٩ .

كان قد رأى فى منامه أموراً تطيّر منها فقال : « وقفت على أنه لا بد من انقضاء مدتنا وزوال أمرنا»[١٠٢].

يرى ابن خلدون أن نكبة البرامكة كانت بسبب اكتنازهم الأموال دون الخليفة وإنفاقها على أتباعهم : « وإنما نكب البرامكة ما كان استبدادهم على الدولة واكتنازهم أموال الجباية ، حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه »[١٠٣]، وكان الرشيد قد أخذ على يحيى أنه طلب منه مبلغ ألف ألف درهم فرد يحيى : « إن أخذت منها درهما واحداً ذهبت هيبتك فأمسك » ، ثم أخذ يحيى منها ألف ألف وخمسمائة ألف درهم فرقها فى عماله[١٠٤]، فضلاً عن ذلك بنى جعفر داراً أنفق عليها عشرين ألف ألف درهم[١٠٥]، فلما وقف الرشيد على ذلك أضمر له السوء[١٠٦].

أما ما قيل عن علاقة جعفر بن يحيى بالعباسة أخت الرشيد ، وأن جعفرا كان يختلى بها ليلا حين يقوم الرشيد ، أو ما جاء فى موضع آخر من أن العباسة نفسها دخلت إليه متنكرة على أنها إحدى الجوارى ، وأنه قضى معها ليلته فلما تعرف عليها قال لها : « لقد بعتنى بالثمن الرخيص وحملتنى على المركب الوعر »[١٠٧]. فهو أمر غير مقبول ولا يعقل أن يحدث ، يقول ابن خلدون : « هيهات ذلك من منصب العباسة فى دينها

---

(١٠٢) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٢٥٣ .

(١٠٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص١٦ .

(١٠٤) الجهشيارى : المصدر نفسه ، ص٢٥٠ .

(١٠٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٨ ، ص٢٤١ .

(١٠٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص٢٩٩ .

(١٠٧) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٣ ، ص٤٩١ .

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص١١٤ .

وأبويها وجلالها فكيف تدنى شرفها العربى بمولى من موالى العجم »[١٠٨].

غير أن من أهم الأسباب التى أدت إلى نكبة البرامكة ميلهم إلى الفرس، وإلى ثقافتهم ، ولغتهم القديمة فكانوا يتحدثون بالفارسية ويستشهدون بالأمثال الفارسية ، ويتقربون إلى الفرس ويغدقون عليهم ، الأمر الذى أدى إلى احتدام الصراع بين الحزب الفارسى المتمثل فى البرامكة ، والحزب العربى الذى ترأسته زبيدة زوج الرشيد[١٠٩]، ولما تغير الرشيد عليهم وصف يحيى بن خالد عندما أرسل إليه يستعطفه من السجن بالمخادع الزنديق ، ولعب الأصمعى دوراً مؤثراً فى ذلك لقوله فيهم :

إذا ذكر الشرك فى مجلس ∴ أضاءت وجوه بنى برمك

ولو تليت عليهم آية ∴ أتوا بالأحاديث عن مزدك[١١٠]

فأمر الرشيد بحبسهم فى سجن الزنادقة بمدينة المنصور[١١١]، وأمر بقتل جعفر فى صفر ١٨٧هـ/٨٠٢م وصلبه على الجسر ببغداد[١١٢].

ومهما يكن من أمر فقد انتصر العنصر الفارسى فى الجولة الأولى فى الصراع مع القومية العربية، بعد أن تقلدوا أعلى المراتب فى الدولة، واحتكروا أهم وظائفها الإدارية والجيش ، فعمروا مراتب الدولة وخططها

---

(١٠٨) ابن خلدون : المقدمة ، ص١٥ .

(١٠٩) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٨ ، ص٢٨٣ .
الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص١٧٧ .

(١١٠) الجهشيارى : المصدر نفسه ، ص٢٠٦ .

(١١١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص٣٠١ .

(١١٢) الجهشيارى : المصدر نفسه ، ص٢٣٤ .

بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم، وحازوا عمن سواهم المناصب العليا من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلم ، وبلغ من تولوا المناصب العليا من آل برمك خمسة وعشرين رئيسا ؛ من بينهم : صاحب سيف وصاحب قلم زاحموا فيها أهل الدولة(١١٣).

أما في الجولة الثانية والتى نكب فيها البرامكة فهى تمثل انتصار العرب؛ فتقلد الفضل بن الربيع الحجابة مكان محمد بن خالد بن برمك ، وعلى بن عيسى (ألد أعداء البرامكة) ولاية خراسان بدلا من الفضل بن يحيى ، وتقلد هرثمة بن أعين قيادة الحرس مكان جعفر بن يحيى(١١٤)، على أن الأمر لم ينته بين الطرفين بغلبة العرب ، بل فتح الباب على مصراعيه لمزيد من الفتن والثورات والاضطرابات ، فضلاً عن حقد العناصر الفارسية فى شرق الدولة الإسلامية على العرب وباتت تتحين الفرصة للانتقام منهم ومن الخلافة العباسية .

### ٣ ـ استبداد الأتراك بأمور الخلافة :

كانت الخلافة فى عهد الرشيد تمثل القمة التى بلغتها، ومن أهم مظاهرها الخضوع التام للخلافة من قبل الولايات التابعة لها، والتى تتجلى فى سك النقود باسم الخليفة ولقبه والدعاء له على المنابر ، فضلا عن الطراز وإرسال الخراج فى أوقاته المحددة ، وهذه التبعية السياسية والمالية تمثل أعلى درجات التبعية لسلطان الخلافة .

فلما جاء عصر المأمون بدء ظهور الدول المستقلة والذى تمثل فى

---

(١١٣) ابن خلدون : المقدمة ، ، ص١٥ .

(١١٤) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٢٠٧ ، ٢٢٨ .

الدولة الطاهرية سنة ٢٠٥هـ/٨٢١م[1]، وهو ما لم يحدث من قبل فى عهود من سبقه من الخلفاء العظام ، حتى لو قيل إنه هو الذى ساهم فى نشأتها، فإن الواقع والحقيقة تثبت أن الأطراف أصبحت تشارك فى السيادة، ورسم السياسات العامة للدولة وهو ما حدث لمنطقة خراسان على يد الطاهريين ، وكانت الولايات الأخرى ترقب ما يحدث عن كثب ، ووجدت أن الدولة صارت نهمة فى جمع المال بسبب الحروب الأهلية، وعلى رأسها الحرب بين الأمين والمأمون، وما نجم عنه نقص حاد فى خزينة الدولة، فضلاً عن محاولة المأمون إرضاء العنصر الفارسى الذى كان سنده فى الانتصار على أخيه الأمين واعتلائه عرش الخلافة ، فاتخذت هذه الولايات الإجراءات التى تكفل لها إقامة إمارات مستقلة فى الشرق الإسلامى.

فلما كان عصر المعتصم (٢١٨ـ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ـ٨٤٢م) أدخل العنصر التركى الأخوال لضرب العنصرين الفارسى والعربى، عضدى أخويه المأمون والأمين، ولسحق بقاياهم ، وقد سن طريقة جديدة فى الحكم ، إذ كان يولى قادة الجند الأتراك الولايات، مقابل إرسال المال الذى أصبح حجر الزاوية فى بقاء واستمرار قوة الخلافة .

لا شك أن هذه السياسة المالية قد جرت معها الخراب بدلاً من الثراء ، فاشتط الأتراك الأجلاف فى معاملة رعايا الدولة من أجل الاستيلاء على أموالهم وممتلكاتهم لإرضاء أنفسهم أولاً ، ثم إرسال الفائض إلى الخليفة ، هذا فضلاً عن النزاع الدائم بين العناصر العربية والفارسية والتركية ، وما

(١١٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٨ ، ص٥٧٧ .

نجم عنه من انعدام الأمان، والتفكك ، وظهور علامات الانهيار البطيء والاضمحلال على الخلافة العباسية . ولم يسلم المعتصم نفسه الذى جلب الأتراك من شرورهم .

وازداد الأمر سوءاً فى عهد الواثق الذى خلف أباه المعتصم سنة ٢٢٧هـ/٨٤٢م ، فقد خضع لتسلط الترك الذين غلبوا على مقدرات الخلافة ، واضطر فى العام التالى لخلافته أن يعلن أشناس التركى سلطانا ، وألبسه وشاحين مجوهرين وتاجا مجوهراً ، اتقاءً لشر هؤلاء العجم القساة(١١٦) . واضطر من ناحية أخرى للقيام بمصادرة أموال كبار رجال دولته، وعلى رأسهم الكتاب وعمال الدواوين(١١٧)، لسد العجز فى خزينة الدولة من جراء نهم الأتراك وحبهم للمال الذى لا حدود له . واستمرت سياسة المصادرات فى عهد جعفر بن المعتصم ـ الملقب بالمتوكل على الله ـ الذى خلف أخاه ، لشدة احتياجه لمزيد من المال ، لأن المتوكل نفسه كان كثير النفقات، مما أثر سلبا على إيرادات بيت المال ، ومن ناحية أخرى رفع المتوكل من شأن الأتراك، وجعل لهم مقاليد الأمور رداً على جميلهم فى اختياره للخلافة ، فولى أيتاخ السلطة والسلطان وجعل بيده تدبير الأمور(١١٨)، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إن النزاع على السلطان انتقل إلى قادة الجند الأتراك، فيما بينهم، مما أشاع حالة من القلق والاضطراب .

كما أن المتوكل لم يع درس الفتنة التى حدثت بين الأمين والمأمون بسبب تولية الرشيد العهد لأكثر من واحد ، فأصدر مرسوما بتولية أبنائه محمد المنتصر ومحمد المعتز، وإبراهيم المؤيد ، وعقد لكل منهم لواءين ، لواء

(١١٦) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص١٣٥ .

(١١٧) ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية ، القاهرة ١٩٦١م ، ص٤٧٠ .

(١١٨) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٩ ، ص١٢٣ .

العهد الأسود ، ولواء العهد الأبيض ، وفضلاً عن ذلك أسند للمنتصر ولايات مصر، والمغرب، وقنسرين، والثغور الشامية، والجزيرة، وديار مصر، وديار ربيعة، والموصل، والكوفة، والبصرة، والحرمين الشريفين، واليمن، وحضر موت، واليمامة، والبحرين، والسند . وعهد للمعتز بأقاليم خراسان، وطبرستان، والرى ، وأرمينية، وأذربيجان، وكور فارس . وعهد للمؤيد بالإشراف على أقاليم دمشق ، وحمص ، وفلسطين ، والأردن(١١٩) .

لما أفاق المتوكل على ما كان يجرى فى دولته ، أراد معالجة الأمر بالتآمر على الأتراك بضرب زعمائهم(١٢٠)، لكن حظه العاثر وقدره المحتوم جعل ابنه المنتصر مواليا للأتراك، وممالئلا لهم على حساب أبيه ، وصار هناك صراع وتسابق على من يتخلص ممن أولاً ، فكان الفشل نصيب مؤامرة الوالد ، ونجاح مؤامرة المنتصر التى خطط لها مع أتباعه من قادة الجند التركى ، وقام باغر التركى بضرب عنق الخليفة المتوكل، وتلطخت أيدى الأتراك جميعا بدماء الخلافة، بعد أن تآمروا على سلب سلطانها والاستيلاء عليها ، وبمقتله أيضًا ثبتت السلطة لهم ، واستولوا على ما تبقى من نفوذ للخليفة، الذى صار هو ودولته ألعوبة فى أيديهم ، وبدا منصب الخلافة كما لو كان شرفيا ، اقتصرت مظاهره على ضرب السكة باسم أو لقب الخليفة أو كليهما معاً ، والدعاء له بدوام الصحة والعافية فى الخطبة ، والترحم على أمواته وأموات المسلمين .

---

(١١٩) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٩ ، ص٢٣٢ .

(١٢٠) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٤ ، ص٢٦٤ .

(١٢١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص٢٧٩ .

تركت مأساة مقتل الخليفة المتوكل على أيدى الأتراك آثاراً بعيدة المدى ، فأدت إلى إطلاق أيديهم فى مقدرات الخلافة على نحو أبعد مما كان من قبل إذ انقلبت الأمور رأسا على عقب ، فبعد أن كان الخليفة هو الذى يعين رؤساء الدواوين وكبار الكتاب والعمال ، صار الأمر برمته فى أيدى الأتراك، الذين صاروا أصحاب الحل والعقد وتدخلوا فى التولية والعزل والاختيار لشخص الخليفة نفسه ، فكان أول عمل لهم بعد قتل المتوكل أن أشاروا على المنتصر بعزل أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد(١٢٢)، ولما توفى المنتصر بعد ستة أشهر من ولايته الخلافة سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢ م، اجتمع زعماء الأتراك بغا الكبير وبغا الصغير واتامش، واختاروا محمد بن أحمد بن المعتصم ولقبوه المستعين بالله ، وفى المقابل اتخذ المستعين من أتامش وزيرا له، وفوض له الأمور وأطلق يديه ، وكان رد الجميل من الأتراك أن حجروا على المستعين ، ولم يعد له أى حضور سوى فى المناسبات التشريفية، التى يريدونها هم، وصار الخليفة كما وصفه أحد الشعراء محبوسا مثل العصفور فى قفص :

خليفة فى قفص ∴ بين وصيف وبغا(١٢٣)

يقول ما قالا له ∴ كما تقول الببغا

ومما زاد الأمر سوءاً وزاد من التفكك والانحلال فى حاضرة الخلافة نفسها، أن الأتراك تنازعوا فيما بينهم طمعا فى مزيد من المناصب، ونهما فى مزيد من المال ، فقاموا بقتل أتامش ، ثم تآمر باغر على بغا ووصيف

---

(١٢٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ٥ ، ص٢٧٩ .

(١٢٣) أحمد أمين : ظهر الإسلام ، القاهرة ١٩٤٥م ، جـ١ ، ص١٢ .

محمد على حيدر : الدويلات الإسلامية فى المشرق ، عالم الكتب ١٩٧٣م، ص٢٢ .

بل على الخليفة نفسه . فلما نجا المستعين من المؤامرة، أرادوا التخلص منه بمؤامرة أخرى ، فجاءوا بالمعتز وبايعوه بالخلافة، ولأخيه المؤيد بولاية العهد ، وصار هناك خليفتان أحدهما المستعين فى بغداد، والآخر المعتز فى سامرا، وقام النزاع بين أنصار كل من الخليفتين ، ثم تطور النزاع إلى قيام الحرب بين الفريقين، والتى ظلت دائرة حتى أهلكت الحرث والنسل ، وانتهى الأمر بالقبض على الخليفة المستعين، وإرساله إلى واسط ، ولم يقنعوا بذلك بل أرسلوا سعيد الخادم ، حاجب القصر الخلافى مع جماعة مسلحة إلى واسط، حيث تم قتل الخليفة ، فكان ذلك تطاولا جديداً على شخص الخليفة وإهدارا لمكانته واستهتاراً بعرش الخلافة .

ومن ناحية أخرى قام النزاع والصدام بين الأتراك وبين المغاربة، وتبادل الطرفان الغلبة والهزيمة، واستمرت المشاحنات بينهم مما كان له أسوأ الأثر على خزانة الدولة ، لأن الحروب فى مجملها خراب فى المال وهلاك للشعوب ، إلى أن لجأ الأتراك للحيلة والتآمر على زعيمى المغاربة محمد بن راشد ونصر بن سعيد، وتخلصوا منهما وعادت الغلبة للأتراك، والخليفة المعتز ليس له من الأمر شيء(١٢٤) .

لما هدأت الأمور مع المغاربة، عاد النزاع والتنافس بين زعماء الأتراك أنفسهم مما كان له أثر سلبى على خزانة الدولة ، وليس أدل على ذلك من ثورة الجند على قادتهم ومطالبتهم بالأموال ، وقيامهم بالقبض على القائد وصيف وقتله ، ذلك أنه لما خرج إليهم وسألهم عن ثورتهم ، طالبوه بأرزاقهم ، فرد عليهم : « خذوا ترابا وهل عندنا مال »؟ فوثبوا عليه

---

(١٢٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص٣٣٣ .

ضربا بالسيوف[١٢٥]، أما القائد الثانى وهو بغا الشرابى فلقى حتفه على يد باكباك زعيم الترك بإيعاز من الخليفة المعتز ، واقتصر الأمر بعدهما على القائدين وصيف وباكباك .

لما تخلص زعماء الأتراك من زملائهم المنافسين لهم ، تفرغوا للاعتداء على شخص الخليفة ، فدخل بعضهم على المعتز ، فسحلوه من رجليه وأوسعوه ضربا ، ولم يرأفوا لحاله، فأخرجوه إلى الشمس وقميصه ملوث بالدماء، وهو يرفع رجلا ويضع أخرى من شدة الحرارة ، ولم يكتفوا بذلك، بل قاموا بخلعه وحجروا عليه، ومنعوا عنه الماء والطعام حتى لقى مصيره بعد ثلاثة أيام[١٢٦] . هكذا كانت النهاية المهينة للرئيس الأعلى للعالم الإسلامى، على يد تلك الشرذمة من الأتراك الأجلاف الذين نشروا الفساد فى دواوين الدولة بزعامة صالح بن وصيف، وبين رؤسائها وعمالها حتى استشرى فى كافة أرجاء البلاد ، ولم يعد هناك من سبيل للقضاء عليه أو حتى التصدى له .

قام صالح بن وصيف ـ زعيم مؤامرة اغتيال الخليفة المعتز ـ باختيار المهتدى أخى المعتز خليفة سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م[١٢٧]، فلما علم بذلك موسى ابن بغا أمير الرى أقبل مسرعا إلى سامرا ، ودخل جنده على المهتدى أثناء جلسة قضاء المظالم وحملوه إلى مخيم موسى بن بغا ، ولم يتركوه إلاّ بعد أن أعطاهم العهود والمواثيق ألاّ يمالئ صالح بن وصيف عليهم ، ولم يمض

---

(١٢٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٩ ، ص٣١٢ .
(١٢٦) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢١٧ .
(١٢٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص٣٤٢ .

وقت طويل، حتى تم لهم القضاء على صالح بن وصيف ، وأضمروا السوء للخليفة المهتدى الذى اتهموه بالتستر على صالح ، وإخفائه قبل أن يظفروا به ، وأراد زعماء الأتراك خلع المهتدى ، لكن الجند الأتراك وعامة الناس تصدوا لهم دفاعا عن الخليفة ، ولم يكن ذلك حبا فى شخص الخليفة أو احتراما لعرش الخلافة ، بقدر ما كان تعبيرا عن سخطهم وتذمرهم من استيلاء القادة العسكريين على خراج الإقطاعيات الممنوحة للجيش بدلا من رواتبهم، وللتعبير عن سوء أحوالهم وتأخر رواتبهم وخراب ديارهم(١٢٨) .

لم ينتهز الخليفة المهتدى فرصة مؤازرة الجند له، ووقوف العامة إلى جانبه، ضد طغيان الزعماء الأتراك، بل أراد استعمال الحيلة فى التخلص من القادة، فأنفذ رسالة إلى باكباك أن يقتل موسى بن بغا ، ويجعل جنود موسى بن بغا تحت إمرته ، فلما وصل الكتاب إلى باكباك أمعن فيه النظر طويلا وفطن إلى بغية المهتدى، ووقف على أغراضه ، فمضى إلى موسى ابن بغا وأعلمه بمحتوى الكتاب ، فاجتمعا على أن هذا التدبير من أجل التخلص من الأتراك جميعاً واتفقا على التخلص من الخليفة المهتدى .

مضى باكباك إلى الجوسق الخلافى طلبا لرأس المهتدى ، إلاّ أن الأخير بادره بالعتاب الشديد لمداهنته موسى والتباطؤ فى تنفيذ أمر الخليفة بقتله ، وخلال اللقاء الطويل والعتاب الشديد ، أسرع أحمد بن خاقان حاجب باكباك على رأس الجند التركى إلى الجوسق، خوفا على حياة باكباك ، وفى تلك الأثناء وخلال هذا الموقف المتأزم ، أشار صالح بن على بن يعقوب بن أبى جعفر المنصور على الخليفة المهتدى أن ينتهز الفرصة

(١٢٨) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٢٤٢ .

ويضرب عنق باكباك، ويلقى برأسه على أتباعه ، فكان إلقاء رأس باكباك إيذانا باشتباكات دموية بين أتباع باكباك من جهة، وبين المغاربة والفراغنة والأشروسنية من جهة أخرى ، وكثر القتل فى الجند الأتراك فتوقفوا عن القتال حتى يصل إليهم الإمدادات .

تجمع الأتراك وكانوا أكثر من عشرة آلاف جندى، للأخذ بثأر باكباك وقتلاهم ، والتقى الطرفان فى قتال شديد انتهى بفرار المهتدى وأتباعه إلا أن الأتراك طاردوه وأمسكوا به وحملوه إلى داره ، ثم خلعوه وعذبوه حتى لقى حتفه فى ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م(١٢٩) . وبويع المعتمد على الله بالخلافة والذى بدأ عهده بتولية أخيه أبى أحمد طلحة بن المتوكل رئاسة الجيش ، وأصبحت بذلك السلطة العليا على الأتراك جميعا بيد الموفق طلحة خاصة بعد أن ولاه المعتمد الكوفة، وطريق مكة، والحرمين ، واليمن، وبغداد، والسواد، وكور، ودجلة، والبصرة، والأهواز وفارس سنة ٢٥٧هـ/ ٨٧١م، وزاد عليه ديار مصر وقنسرين والعواصم سنة ٢٥٨هـ/٨٧٢م، وقد غلب الموفق على الأمر حتى لم يبق للمعتمد من الخلافة إلا اسمها ، يقول ابن طباطبا : « كانت دولة المعتمد دولة عجيبة الوضع ، كان هو وأخوه الموفق طلحة كالشريكين فى الخلافة ؛ للمعتمد الخطبة والسكة والتسمى بإمرة المؤمنين ، ولأخيه طلحة الأمر والنهى وقيادة العساكر، ومحاربة الأعداء، وترتيب الثغور ، وتعيين الوزراء والأمراء ، وكان المعتمد مشغولاً عن ذلك بملذاته »(١٣٠) .

---

(١٢٩) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٩ ، ص٤٣٩ .

(١٣٠) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٢٠ ـ ٢٢١ .

فوض المعتمد أخاه فى كل شئون الخلافة، وعمد هو إلى استمالة الأتراك فبالغ فى إكرام موسى بن بغا ، ثم أنفذه لقتال الزنج سنة ٢٥٩هـ/٨٧٣م ، وذلك حتى يستريح من القلق التركى الذى يشيع الفساد والاضطرابات. وفى جميع الأحوال سيكون المعتمد هو الرابح ، فإذا انتصر موسى على الزنج فقد قضى بذلك على مصدر إزعاج ، أقلق بال الخلافة لنحو أربع عشرة سنة ، وإذا لقى حتفه هناك استراح منه دون عناء .

يرجع أصل الزنج إلى طائفة من العبيد الأفارقة ، اتخذت من المستنقعات الممتدة بين مدينتى البصرة وواسط مسرحًا لأحداث ثورتها ، وقاد الحركة على بن محمد ، وأصله من عبد قيس إحدى بطون ربيعة ، قدم إلى البحرين منذ سنة ٢٤٩هـ/٨٦٢م، ودعا الناس إلى الولاء ، ونادى بالمساواة وتوزيع الثروات والعدل بين الناس ، فانضم لحركته كثير من الهاربين من القرى والمدن من عسف وظلم الملاك والجباة ، والجند الأتراك ، واستطاع على بن محمد تكوين جيش كبير أسند قيادته للقائد سليمان بن جامع مولى لبنى حنظلة .

لم يمكث قائد حركة الزنج فى البادية طويلاً ، فتركها واتجه إلى البصرة فوصلها سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م ، ومن هناك انتقل إلى بغداد ليعيش سراً متخفياً ينشر دعوته، وظل يدعو سراً حتى جهر بأفكاره فى يوم عيد الفطر سنة ٢٥٧هـ/ ٨٧١م، والتى اعتمد فى صياغتها على تأويل آيات القرآن الكريم بما يتفق مع مذهبه الشيعى ، حيث ادعى أنه من نسل على وفاطمة سراً ، وعلى مذهب الخوارج جهراً بما يتفق والفوضى التى نادى بها أصحابه ، ومن أهمها منحهم حرياتهم ، والسماح لهم بالاستيلاء على ثروات الأغنياء بالقوة . وكان أسلوبهم فى تنفيذ أغراضهم هو القتل،

والتعذيب، والتخريب، وإشعال النيران ، فمن ذلك استيلاؤهم على البصرة، وتخريب معظم مبانيها واستباحة أموال أهلها واغتصاب نسائها ، ولما أرادت الخلافة التصدى لهم ، سار أبو أحمد الموفق طلحة على رأس جيش الخلافة وبعد معارك دموية طويلة استطاع القضاء على هذه الحركة سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م(١٣١).

علا شأن الموفق طلحة بعد قضائه على حركة الزنج، وازدادت سيطرته على شئون الخلافة ، واستأثر بالسلطة دون الخليفة المعتمد ، وبلغ من سطوته أن المعتمد لما احتاج يوما إلى ثلاثمائة دينار لم يجدها(١٣٢)، ظل الحال على ذلك حتى توفى الموفق طلحة أوائل سنة ٢٧٨هـ/٨٩١م، فبايع قواد الأتراك ابنه أبا العباس بولاية العهد بعد المفوض إلى الله بن المعتمد، ولقبوه المعتضد بالله(١٣٣)، فلما تسلم زمام الأمور سار على نهج أبيه فى التضييق على الخليفة المعتمد ، وبلغ من مكانته وقوة شكيمته أن خلف عمه المعتمد فى اعتلاء كرسى الخلافة بعد وفاته ، ومنذئذ حاول جاهداً العمل على توطيد نفوذ الخلافة، وإعادة هيبتها التى ضاعت على أيدى الأتراك ، ولذلك أطلق عليه معاصروه السفاح الثانى لأنه جدد ملك بنى العباس(١٣٤)، وبعد إحدى عشرة سنة من الجهاد والكفاح توفى

---

(١٣١) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٤٢ .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٥٢ .
(١٣٢) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص٦٧ .
(١٣٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٢٤٣ .
(١٣٤) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، القاهرة ١٩٦٥م، ص٣٥ .

المعتضد، وولى الخلافة ابنه أبو محمد على وتلقب بالمكتفى الذى سار على نهج أبيه فى إدارة شئون الخلافة والتضييق على الأتراك(١٣٥).

لما توفى المكتفى بالله عادت سطوة الأتراك وتدخلهم فى العزل والتولية، واجتمع رأيهم على اختيار صبى فى الثالثة عشرة من عمره هو جعفر بن المعتضد ولقبوه المقتدر بالله ، فاشتغل باللهو وترك الأمور كلها لغيره من زعماء الأتراك(١٣٦)، وساءت الأحوال كلها فى عهده بسبب عجزه عن الإشراف على شئون الدولة ، فازداد الاستبداد التركى بمقدرات الخلافة ، مما أتاح الفرصة لتدخل الحاشية والنساء فى أمور الحكم ، ويصف المسعودى الوضع القائم آنذاك بقوله : « أفضت الخلافة إليه وهو صغير لم يع الأمور ، ولا وقف على أحوال الملك ، فكان الأمراء والوزراء والكتاب يديرون الأمور ، ليس له فى ذلك حل ولا عقد ولا يوصف بتدبير ولا سياسة ، وغلب النساء والخدم وغيرهم على الأمر ، فذهب ما كان فى خزائن الخلافة من الأموال بسوء التدبير الواقع فى المملكة»(١٣٧).

لما توفى المقتدر خلفه أخوه القاهر ٣٢٠ ـ ٣٢٢هـ/٩٣٢ـ٩٣٤م فحكم عاما ونصف العام ساد خلالها الاضطراب والفساد ، واستفحل فى عهده نفوذ الأتراك، فقصد الجند دار الخلافة فأحاطوا بها ثم هجموا على الخليفة فهرب إلى سطح الحمام ، فقبضوا عليه وحبسوه ، ثم أمروا بإحضاره ، فلما حضر سملوا عينيه حتى سالت على خديه(١٣٨)، وقاموا بتعذيبه حتى يظهر

---

(١٣٥) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٢٤٦ .

(١٣٦) السيوطى : المصدر نفسه ، ص٢٥٢ .

(١٣٧) المسعودى : التنبيه والإشراف ، القاهرة ١٩٣٨م ، ص٣٢٧ .

(١٣٨) ابن كثير : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٦٤م ، جـ١١ ، ص١٧٨ .

لهم المال ، لكنه لم يكن يملك شيئا ، فحبسوه ثم أطلقوا سراحه فرآه الناس يتسول وهو فى أشد حالات العوز والفاقة .

ازدادت حالة الخلافة العباسية سوءا من جراء السياسة التى أتبعها الأتراك فى الاستبداد بأمورها ، والاستئثار بالنفوذ دون الخلفاء لدرجة أن الخليفة الراضى بالله الذى ولى الخلافة سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م، خلفا لأخيه القاهر بالله قد عجز هو ووزراؤه عن إدارة الدولة، بسبب ازدياد نفوذ القواد الأتراك ، فخرج أحدهم وهو بجكم على سلطة محمد بن رائق أمير الأمراء، وتغلب عليه وولى المنصب بالقوة ، واضطر الخليفة إلى الاعتراف بسلطته، فقد كان عديم الحيلة لا يملك من الأمر شيئا .

وظل الحال على ذلك فى عهد المتقى[١٣٩]، الذى غلب عليه أمير الأمراء توزون التركى واضطره إلى الرحيل من بغداد إلى الرقة[١٤٠]، وهناك قابل محمد بن طغج الإخشيد الذى عرض عليه المسير إلى مصر ليأمن شر الأتراك وقال له : «يا أمير المؤمنين أنا عبدك ، وابن عبدك، وقد عرفت الأتراك وفجورهم وغدرهم ، فالله الله فى نفسك ، سر معى إلى مصر فهى لك ، وتأمن فيها على نفسك»، غير أن الخليفة كان قد عزم على المسير إلى بغداد للقاء توزون ، الذى لم يلبث أن قبض على الخليفة ، وسمل عينيه وحبسه ، وأحضر أبا القاسم عبد الله بن المكتفى ولقبه المستكفى بالله[١٤١].

---

(١٣٩) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٢٣٧ .

(١٤٠) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ١٩٧٩م ، جـ٣ ، ص٤١٨ .

(١٤١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٢٦٣ .

يصف المسعودى انتقال السلطة من المتقى إلى المستكفى بقوله : « إن المتقى أدخل إلى الحضرة مسمول العينين، وأخذ منه البردة، والقضيب، والخاتم، وسلم إلى المستكفى»(١٤٢)، وأصبحت السلطة كلها فى يد توزون منذ ذلك الوقت(١٤٣). وازدادت أحوال الخلافة سوءا ، من جراء النزاع والتنافس بين كبار رجال الدولة على الاستئثار بالسلطة ، وبلغ من سوء الأحوال أن ضعفت هيبة الحكومة فى الداخل والخارج ، ولم يعد لها سلطان على ولاياتها حتى تفككت أوصالها ، وقام زعماء الحركات الثورية بإقامة دويلات تتمتع بالاستقلال الذاتى عن السلطة المركزية للخلافة العباسية .

* * *

---

(١٤٢) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٤ ، ص٢٦٦ .

(١٤٣) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٤٥ .

# الفصل الثانى

# الدولـة الطاهريـة

ياذا اليمينين وعين واحدة ∴ نقصان عين ويمين زائدة

## الفصل الثانى

## الدولـــة الطاهريـــة

### تمهيد :

### النزاع بين الأمين والمأمون وأثره في قيام الدولة الطاهرية :

تعـد الدولة الطاهرية إحـدى ثمـار الصـراع العـربى الفـارسى الذى اصطبغت به الأحداث المأساوية للخلافة العباسية أواخر عهد الرشيد ، فقد احـتـدم الخـلاف بين العرب والفرس بعد نكبـة البرامكة ، وتتـجلى هذه الخصومـة بين الطرفين فى النزاع بين الأمين الذى يمثل العنصر العربى وأخيه المأمون الذى يمثل العنصر الفارسى[١]، وقد أيقن الرشيد قبل وفاته بما قد تؤول إليه الخلافة ، فقسم الدولة بين الأخوين وجعل للأمين العراق وسوريا والجزيرة وشمال أفريقيا ، وللمأمون الولايات الشرقية وجعل مرو حاضرته .

وكان الرشيد قد عزم على توليـة العهد لأحد أبنائه ، فلما رأت ذلك زوجته زبيدة بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور ، لعبت دورها فى تولية ابنها محمد الأمين ، وكان يعاضدها إخوانها من بنى هاشم ، وانتهى الأمر بتـوليـة الأمين على الرغم من أنه أصـغـر سناً من أخـيـه المأمـون بسـتـة أشهر[٢]، وتم ذلك سنة ١٧٥هـ/٧٩٢م[٣]، لكن الرشيد قام بتصحيح ولاية العهد سنة ١٨٣هـ/٧٩٩م ، فأشرك المأمون فيها وصرح بذلك قائلاً : « وقد عنيت بتـصـحيح هذا العـهد وتصـيـيره إلى من أرضى سيـرته ، وأحـمـد طريقته، وأثق بحسن سياسته وآمن ضعفه ووهنه وهو عبد الله ، وبنو هاشم

---

(١) عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول ، بغداد ١٩٤٥ ، ص١٧٥ .

(٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص١١٣ .

(٣) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ٣ ، ص١٤٠ .

مائلون إلى محمد بأهوائهم ، وفيه ما فيه من الانقياد لهوا ، والتصرف مع طويته والتبذير لما حوته يده ، ومشاركة النساء والإماء فى رأيه ، وعبد الله المرضى الطريقة والأصيل الرأى الموثوق به فى الأمر العظيم »[٤]، وكتب لكل من الأخوين عهدا عليه وله ، وأشهد القواد والفقهاء ووجوه القوم ، فجعل لمحمد الأمين أمر الخلافة من بعده ، وولى أخاه عبد الله المأمون العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين بعده ، وأكد على تولية المأمون ثغور خراسان وكورها وجميع أعمالها فى حياة أخيه محمد ، واشترط على الأخوين الوفاء للعهدين ، وألاّ يخلع أحدهما الآخر أو يعزله أو يستبدله، ولم يكتف بذلك بل أمر بتعليق نصوص العهود بالكعبة لإكسابها القداسة ، ولكى يشهد عليها الحجاج والمعتمرون القادمون من أرجاء العالم الإسلامى.

لما آلت الخلافة للأمين تربع الفضل بن الربيع على كرسى الوزارة، وتزعم الحزب العربى ، وقد غلب على أمر الأمين وحرضه على خلع أخيه المأمون وتولية ابنه ، واستفحل أمره فكان يولى ويعزل ، واستطاع أن يكون حزباً عربيًا قوياً بانضمام على بن عيسى بن ماهان (فارسى الأصل لكنه كان يحقد على بنى سهل والمأمون) ، وإسماعيل بن صبيح . وكان الأمين قد وثق فى ابن الربيع وأطلق له السلطة ، فجعل هدفه القضاء على بنى سهل والمأمون ، وبدا الصدام حتميا لا سيما أن الفضل بن سهل لم يكن لقمة سائغة ، بل كان ربيب البرامكة الأقوياء وعرف بميله الشديد نحو الفرس، فعزم من جانبه على إزالة الفضل بن الربيع والأمين جميعا ، حتى يحقق أطماعه الكسروية ، وبخاصة أن المأمون كانت أمه فارسية ، وأن أخواله

---

(٤) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٣ ، ص٢٧١ .

الفرس كانوا ينادونه « ابن اختنا » .

وسنحت للفضل بن سهل الفرصة على طبق من ذهب، عندما أعمى الحقد بصيرة الفضل بن الربيع، فزين لسيده محمد الأمين بعد توطيد أركان خلافته ، خلع أخيه المأمون وتولية العهد لابنه موسى بن محمد . ذلك أن الفضل بن الربيع علم أن الخلافة إذا أفضت إلى المأمون يوما وهو حى لم يبق عليه ، فسعى فى إغواء محمد وحثه على خلع المأمون ، وصرف ولاية العهد من بعده إلى ابنه موسى ، ولم يكن ذلك من رأى محمد ولا عزمه(٥)، فأفسد القوم قلب محمد بعد أن زين له على بن عيسى والفضل بن الربيع هذا الأمر(٦)، ففعل وبايع لابنه موسى(٧)، على الرغم من نصح وجوه قومه له بألأ يفعل ، ومن بينهم يحيى بن سليمان(٨). وفى الجانب الآخر عزم المأمون بعد عدة مراسلات بين الطرفين على القول بخلع نفسه ، ومبايعة موسى بن محمد ، لكن الفضل بن سهل هاله ذلك ، واستطاع أن يثنى المأمون عن هذا الأمر ، وأقنعه أن الخلافة له وذكّره بشيعته الفرس فكان يقول : « وكيف بك وأنت نازل فى أخوالك، وبيعتك فى أعناقهم ، اصبر قليلا وأنا أضمن لك الخلافة »(٩).

لما اشتد النزاع بين الأمين والمأمون ، قام ابن سهل بحشد القواد والقوات لنصرة المأمون بعد أن ضبط له الثغور ، فلما اشتدت العداوة والبغضاء بين الأخوين ، قطع الأمين خطبة المأمون ببغداد ، وأصدر

---

(٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٨ ، ص٣٧٤ .

(٦) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٨٨ .

(٧) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ٣ ، ص١٦٦ .

(٨) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٢٩٢ .

(٩) الجهشيارى : المصدر نفسه ، ص٢٧٨ .

مـرسـومـا بعزلـه من ولاية العـهـد، وبايع لابنه مـوسى مـن بعده ولقـبـه «الناطـق بالحق» سنة ١٩٥هـ/٨١١م، وأرسل إلى مكة من أحـضـر العـهـود حيث تسلمـهـا الفـضل بن الربيع ومـزقـهـا[١٠]، وفى المقـابل قطع المأمـون الخطبة لأخيه محمد بخراسان[١١]. وكان ابن سهل يذهب إلى منازل القواد ويقنعـهم بالخروج مع المأمون على أخيه الأمين ، فاستغل الفضل بن سهل نسب المأمون إلى الفرس فقربه إليهم وكون له منهم قاعدة صلبة ، وطلب من المأمون أن يكرمهم ، وأن يجمع الفقهاء ويدعوهم إلى اتباع الحق ، وأن ينظر فى المظالم حتى تغلغلت محبة المأمون فى قلوب أهل خراسان[١٢].

لما رأى المأمون أن أخاه الأمين ماض فى عدائه ، اتخذ الحيطة من جانبه ووزع الأحراس على حدود ولايته ، وأمرهم بعدم السماح لأى قادم من بغداد بالدخـول دون استـجـوابه ، وأمـر قائد جـيشـه طاهر بن الحـسين بإعـداد العدة لمحـاربة جيش الأمين ، بينما أنفذ الأمين جـيشـه إلى مـرو بقـيادة على بن عيسى بن مـاهان ، الذى هزم على يد طاهر بن الحـسين وقتل ، وانهزم الجيش ولقيت نفس المصير الجيوش الأخرى التى بعث بها الأمين . وشـجـعت نشـوة الانتـصـارات طاهر بن الحـسين ، فـاستـولى على فـارس ، وواسط ، والمدائن ، وأنفـذ الولاة إلى اليـمـامـة ، والبـحـرين ، وعمان[١٣]، ثم تقـدم إلى بغداد وحـاصـرها من ثلاث جـهـات ، فلما طالت مدة الحـصار ضعف شأن الأمين ، وأصيبت بغداد بأضرار بالغة خلال الحـصـار ، واضطر إلى الاستـعانة بالرعاع والسوقـة واللصوص ، لمعاونة

---

(١٠) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٢٩٢ .

(١١) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٦ .

(١٢) الجهشيارى : المصدر نفسه ، ص٢٨٩ ..

(١٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص١٥٧ .

جيشه على محاربة قوات طاهر بن الحسين ، إلا أن الأخير بالغ فى الحصار ومنع الاشتغال بالتجارة ، واستولى على خزائن الغلال والدقيق، فضاق أهل بغداد ذرعًا من قلة الأقوات وغلاء الأسعار ، ولما رأى قواد الأمين من شدة الحصار ، أشاروا عليه بالرحيل من العراق إلى الجزيرة والشام « حتى يصير فى مملكة واسعة وملك جديد »(١٤).

وعلى الرغم من إعجاب الأمين بهذه المشورة فإنه لم يستطع تنفيذها، واضطر بعد أن تحرج موقفه إلى طلب الأمان ، وخرج بنفسه لمقابلة طاهر ابن الحسين ، إلا أن بعض أتباع طاهر بن الحسين ، رموا السفينة المقلعة بالأمين فى نهر دجلة بالسهام والحجارة حتى أغرقوها ، وقفز الأمين فى النهر وظل يسبح حتى وصل إلى البر الشرقى ، ثم التجأ إلى إحدى الدور ، لكن بعض الفرس لحقوا به هناك وقتلوه أوائل سنة ١٩٨هـ/٨١٣م، ودخلت جيوش المأمون بغداد ، وبذلك استعاد العنصر الفارسى سيادته وبخاصة أن المأمون عهد بأمر العراق للحسن بن سهل(١٥) ، فأصبح فى محيط فارسى ، فأهل خراسان من الفرس وهو مقيم بمرو التى انتقل إليها من الرى ، ووزيره الفضل بن سهل، فصار بنو سهل يديرون دفة دولته ، وبذلك اتخذ بنو سهل مكان البرامكة فى السيطرة على مقدرات الخلافة(١٦).

لم يؤد انتصار جيش المأمون بقيادة طاهر بن الحسين على قوات بغداد إلى القضاء على العنصر العربى ، بل قام نصر بن سيار بن شبث العقيلى بثورة فى شمال حلب أواخر ١٩٨هـ/ ٨١٤ م ، مطالبا بالثأر لمقتل الأمين

---

(١٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص١٥٨ .

(١٥) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٣٠٥ .

(١٦) جمال سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٠، ص٢٢٧ .

ومحاولا استعادة العرب لمكانتهم ، والتف حوله كثير من العرب، فازداد نفوذه بالجزيرة ، وأتاه فريق من العلويين عرضوا عليه مؤازرته مقابل البيعة لأحد من آل على بن أبى طالب ، فرفض ، فطلبوا إليه أن يبايع لبعض بنى أميه نكاية فى العباسيين فقال : « قد أدبروا هم والمدبر لا يقبل أبداً ، وإنما نحاربهم (العباسيين) محاماة عن العرب ، لأنهم يقدمون عليهم العجم»[١٧] ، ولم تزل ثورة نصر تتأجج وتشتعل حتى قدم المأمون إلى بغداد سنة ٢٠٢هـ/٨١٨م ، فعهد إلى عبد الله بن طاهر بن الحسين بمحاربته ، فضيق عليه الحصار حتى طلب الأمان، ثم لم تلبث الحرب أن اشتعلت مرة أخرى بين الطرفين حتى انتهت بهزيمة نصر بن شبث الذى حمل إلى بغداد وقتل سنة ٢١٠هـ/٨٢٦م[١٨] . ومهما يكن من أمر فقد أصيب الفريقان الفارسى والعربى بخسائر كبيرة ، لكن الفرس استطاعوا فى نهاية الأمر الانتصار وتحقيق مآربهم بالسيادة والسيطرة على حاضرة الخلافة وولاياتها فى الشرق والغرب .

هكذا لعبت بطانة السوء دورها فى تأجيج الخلاف بين الأخوين وإثارة الفتن التى انتهت بالمأساة الكبرى ، التى أفضت إلى مقتل الخليفة محمد الأمين بأيدى العساكر الفرس أعداء العرب . والواقع أن دور الفَضْلَيْن لم يكن إلا سببا ظاهريا ، وإنما يرجع السبب الرئيسى إلى ما قام به الرشيد من تقسيم الدولة وممتلكاتها بين الأخوين، معتقداً أنه بذلك يقضى على ما قد يحدث من نزاع بينهما بعد وفاته ، الأمر الذى أدى إلى النزاع والتخاصم بينهما بعد أن ولى محمد الأمين الخلافة ، فضلاً عن مناطق نفوذ أخيه .

---

(١٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص١٩٣ .

(١٨) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٥ ، ص٢١٨ .

فمن ذلك أن الرشيد قبيل وفاته - وكان فى طوس لما اشتد عليه المرض - شدد على قواده الذين بصحبته أن يقوموا بتسليم المأمون جميع ما فى معسكره ، من جند ومال ومتاع ورقيق وخيل إذا حدث به حادث الموت ، لكن الأمين لما علم بخبر مرض أبيه ، أرسل إلى الفضل بن الربيع وهو وقتئذ بطوس يطلب منه التحفظ على الأموال والجند والمتاع والعودة بها إلى بغداد إذا توفى الخليفة(١٩) ، فلما حدثت الوفاة ، نفذ الفضل ابن الربيع وصية الأمين وجد بالسير إلى بغداد على رأس الجيش ، ومعه الأموال التى آثر أن يسلمها للأمين دون أخيه المأمون(٢٠) ، وقد شق ذلك على المأمون ووصف الدور الذى لعبه الفضل بن الربيع بقوله : « أخذ قوادى وجنودى وسلاحى وجميع ما أوصى به أبى فذهب به إلى محمد ، وتركنى بمرو وحيداً فريداً وأفسد علىّ أخى ، حتى كان من أمره ما كان ، وكان أشد علىّ من كل شيء »(٢١) .

لم يكتف الأمين بذلك بل كتب إلى المأمون يسأله التخلى عن بعض أعماله بخراسان ، ولم يقبل أن يتولى البريد عامل من قبل المأمون ، ولم يخف على المأمون أن هذا الرجل إنما أراده الأمين ليكون عينا على أخيه(٢٢) ، على أن الأمر الجدير بالذكر أن هذا التقسيم لم يؤد إلى العداوة والبغضاء بين الأخوين فحسب ، بل اتسع نطاقه ليصبح عداءً سافراً بين الجبهة الفارسية التى تتمثل فى الولايات الشرقية ، والجبهة العربية المتمثلة

---

(١٩) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٢٧٣ .

(٢٠) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٨٨ .

(٢١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٨ ، ص٣٧٩ .

(٢٢) الجهشيارى : المصدر نفسه ، ص٢٩٠ .

فى العراق وما غربها من ولايات ، فرسخت الشعوبية أقدامها ونشبت أظافرها فى جسد الدولة بشرقها وغربها ، وبلغ الصراع ذروته بالنزاع بين الأمين والمأمون ، وبين الوزيرين الفضلين اللذين لم يكتفيا بإشعال نيران الحقد ، وإنما عملا بجد واجتهاد بالغين لتأجيجها وإضرام العداوة والبغضاء، لتحقيق مآربهما الخاصة والسيطرة والسيادة على مقدرات الخلافة والدولة جميعا ، وكانت النتيجة مقتل الخليفة الذى يمثل العنصر العربى وانتصار الجبهة الفارسية وإعلاء شأن زعيمها الفضل بن سهل .

وبذلك يكون قد ثأر للبرامكة بعد نكبتهم على اعتبار أنه وريثهم ، مما شجعه ورجاله الذين اصطنعهم على الاستئثار بالنفوذ دون الخليفة ، من جراء طمعهم اللامحدود فى السيطرة والسيادة ، والمطالبة بمزيد من المكاسب وهو ما تحقق لهم على أيدى الخليفة المأمون ، الذى منح قائده طاهر بن الحسين حق إقامة دولة مستقلة سنة ٢٠٥هـ/ ٨٢١م، عرفت بالدولة الطاهرية وهى تعد إحدى ثمار النزاع العربى الفارسى ، ونشوء الدويلات المستقلة .

هكذا لعبت قوة العنصر الفارسى دورها فى استعادة نشاط الشعوبيين الذين تدخلوا بشراسة فى النزاع بين الأخوين ، أدى إلى انتصارهم وانتقال الأمور برمتها إلى المأمون ، وتزعم العنصر الفارسى بنو سهل(٢٣) ، وهم فرس مجوس أسلموا على أيدى المهدى والمأمون(٢٤)، وكان الفضل بن سهل وهو فارسى يشتهر بسعة الحيلة وشدة الدهاء ، وهو من أبناء أكاسرة فارس ،

---

(٢٣) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٦٥ .

(٢٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٢٠٩ .

الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٨ ، ص٣٨١ .

كان قد اتصل بالبرامكة وخدم يحيى بن خالد البرمكى الذى حثه على الدخول فى الإسلام وهو ما تم على أيدى المأمون[٢٥]، وتقلد الوزارة للمأمون ولقب بذى الرئاستين بعد أن ولى رئاسة السيف ورئاسة القلم ، أى رئاسة الجيش ورئاسة الدواوين[٢٦]، وصارت له السيطرة على مقدرات الخلافة ، فسيطر على المأمون وغلب عليه ، وصار مجلسه مقصدا لرسل الملوك والأمراء .

ومن ناحية أخرى بدت نزعته الفارسية تلعب دورها وتؤتى ثمارها فى التخلص من القائد العربى هرثمة بن أعين ، الذى نصح المأمون بترك مرو التى أقام فيها ، والرجوع إلى بغداد حيث حاضرة ملكه، فدبر له الفضل المكيدة التى انتهت بمصرعه[٢٧]. كما لعب الفضل بن سهل دوراً بالغ الأهمية فى محاولة نقل الخلافة من بنى العباس إلى أحد العلويين وهو على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق[٢٨]، وكان يرمى من وراء ذلك إلى إعلاء النفوذ الفارسى ، واستعادة مجدهم القديم ، لأن على الرضا حفيد الحسين بن على من آل البيت وإحدى زوجات الحسين ابنة أحد أكاسرة الفرس ، فلو تم له ما أراد يكون قد انتقم للبرامكة بالقضاء على الخلافة العباسية ، وتحقيق آمال الخراسانيين ، الذين يميلون للعقيدة الشيعية بعد أن تغلغلت فى قلوبهم وتشبعت بها نفوسهم[٢٩].

---

(٢٥) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٢٣٠ .
(٢٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص ٢٠٩ .
(٢٧) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٨ ، ص٤٨١ .
(٢٨) الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ، القاهرة ١٩٤٩م ، جـ٢ ، ص٥٧ .
البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ١٠ ، ص٣٤٢ .
(٢٩) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ، جـ٣ ، ص١٤٢ .

## ١ ـ قيام الدولة الطاهرية :

كان طاهر بن الحسين بن مصعب الذى تنسب إليه الدولة الطاهرية ابنا لأحد أشراف خراسان(٣٠)، وكان جده مصعب بن زريق واليا على مرو وهراة فانضم للدعوة العباسية ، واستعان به سليمان بن كثير داعى دعاة العباسية فى خراسان فى مكاتبة الدعاة فجعل منه كاتبا لرسائله(٣١)، وبعد قيام الدولة العباسية ولى أبو مسلم الخراسانى مصعبًا ولاية بوشنج ، ولما ولى الرشيد خلافة الدولة العباسية سنة ١٧٣هـ/٧٨٩م، أسند ولاية بوشنج للحسين بن مصعب ، لما اشتهرت به أسرة ابن زريق بضبط الأمور وإدارة الولاية بكفاءة وحسن سيرة ، واستمرت ولاية الحسين خلال حكم المأمون لخراسان من قبل أبيه الرشيد ، وخلال مسيرة حياة الأب الحسين فى بوشنج لازمه الابن طاهر ، وتعلم من أبيه السياسة والحكمة فى كيفية ضبط أمور الولاية، واتخاذ منهج العلاقات المتوازنة مع كافة الأطراف ، وفى مواجهة كافة الصراعات الأهلية والخارجية .

لا شك أن ظهور الطاهريين يعد إحدى ثمار الخدمات الجليلة التى أداها الفرس للدولة العباسية منذ قيامها على أكتافهم ، واستمرارا لدعمهم لها ضد المناوئين ، حتى بلغت الأحداث مداها فى الدراما السياسية فى الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون وأنصارهما ، ومن الطبيعى أن تكون الغلبة فى نهاية الأمر للعنصر المؤازر لمن انتصر واعتلى عرش الخلافة ، فالقدر هو الذى كان له دوره فى ظهور الدولة الطاهرية كنتيجة طبيعية لانتصار

(٣٠) خراسان : تتألف من مقطعين هما ، خر ، اسم الشمس بالفارسية ، ، سان ، أصل الشيء، بمعنى هبة الشمس أو بلاد الشمس ، وهى بلاد واسعة تشتمل على مدن شهيرة لعبت دوراً عظيماً فى حياة الدول والشعوب، ومنها نيسابور ومرو وهراة وبلخ وغيرها ـ ياقوت: معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٣٥ .

(٣١) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٢٩١ .

المأمون بمؤازرة العنصر الفارسى ، على أخيه الأمين ومن ناصره من العناصر العربية ، بعد أن احتدم الصراع بين الأخوين ، والذى انتهى بمقتل الأمين وخلافة المأمون ، فكانت الغلبة للعنصر الفارسى ، وكانت المكافأة للقائد طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون ، الذى ظفر بالأمين وقضى عليه ، وعلى سلطان العنصر العربى(٣٢) ، فولاه المأمون حكم الجزيرة فضلاً عن قيادة الأمن الداخلى برئاسته شرطة حاضرة الخلافة . ولما اطمأن المأمون للولاء الكامل والتبعية المطلقة من جانب طاهر بن الحسين عينه حاكما على ولاية من أهم ولايات الخلافة العباسية التى كان لها دورها فى تأييد العباسيين ومؤازرتهم طوال فترات الدعوة العباسية ، وصولاً إلى إعلان قيام الخلافة وهى ولاية خراسان ، التى تعد من أعظم أقاليم الشرق الإسلامى ، والتى تاقت نفس طاهر بن الحسين لولايتها حيث هى موطنه ، وموطن عشيرته والتى يجد فى كنفها كل التأييد والمؤازرة .

وقد تم لطاهر بن الحسين ما أراد ، بعد أن توجه إلى الوزير أحمد بن أبى خالد(٣٣) ، وقال له : « إذا فعلت لى خيراً لن يضيع » . والتمس طاهر من الوزير أن يرسله إلى خراسان ، فقبل التماس طاهر وأسرع إلى المأمون

---

(٣٢) ذكر صاحب روضة الصفا : « أن المأمون كان مغموما حزينا على مقتل أخيه ، ولما سئل ذات يوم عن سر بكائه قال : « أبكى لأمر يستدعى إظهاره المذلة والمهانة وإخفاؤه الغم والحزن ، وما من إنسان بلا هم » .
ميرخواند : روضة الصفا ، ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلى ، الدار المصرية للكتاب ١٩٩٨ ، ص٤٧ .

(٣٣) أحمد بن أبى خالد الأحول : من وزراء المأمون ، كان جليل القدر ، من عقلاء الرجال، كاتبا فصيحا بالأمور ، ظل بالوزارة حتى توفى سنة ٢١١هـ/ ٨٢٧م .
ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٩٩ .

ودخل مجلسه ، فلما استفسر المأمون عن أحوال المملكة ، قال الوزير : «رأيت السلطان عدة ليال يرفع عنى الغطاء وأنا نائم» ، فلما سأله المأمون عن سبب ذلك ، أجاب : «إن أحوال مملكة خراسان غير مضبوطة ، وجيش الترك قريب منها ، وواليها نعسان لا يستطيع حكمها» ، قال المأمون : وما الصالح، قال الوزير: «يجب أن نرسل طاهر بن الحسين لحكم هذه المملكة»، قال المأمون : « هل تضمن ألا يخالف ؟ » قال الوزير أحمد بن أبى خالد : «أنا أضمن كل ما يصدر منه» [٣٤]، فقبل المأمون ، وتوجه طاهر إلى خراسان ، وخلع عليه لقب ذى اليمينين لأنه ولى العراق وخراسان[٣٥]، ولأنه كان يلى السيف والقلم ، وورد هذا اللقب فى قول الشاعر عمر بن بانة:

يا ذا اليمينين وعين واحدة ∴ نقصان عين ويمين زائدة[٣٦]

قامت الأسرة الطاهرية بحكم خراسان وضبط أمورها ، وفى نفس الوقت قاموا بحماية الخلافة العباسية فى مواطن عديدة ، بالتصدى لأعدائها والخارجين على سلطانها ، ففى سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م، استدعى المأمون واليه عبد الله بن طاهر من الرقة وولاه مصر ، وأمره بحرب نصر بن شبث العقيلى ، وذلك بعد وفاة أحمد بن يحيى بن معاذ ، وقال المأمون لعبد الله : « يا عبد الله أستخير الله تعالى منذ شهر وأكثر وأرجو أن يكون قد صار لى ،

---

(٤٣) مما يجدر ذكره أن المأمون اضطر لتعيين طاهر بن الحسين على الرغم من كراهيته له ، فكان يقول : عندما تقع عينى على طاهر أتذكر أحوال أخى محمد الأمين وقتله ، وأشعر بالذل والهوان ولا أستطيع النظر إليه » .
الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٨ ، ص٥٧٩ .
(٣٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص٢٦٠ .
(٣٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص٤٢٢ .

وقد رأيت توليتك مصر ومحاربة نصر بن شبث ، قال : السمع والطاعة ، وكتب إليه أبوه كتابا جمع فيه كل ما يحتاج إليه الأمراء من الآداب والسياسة وغير ذلك[٣٧]، وقد عقب عليه المأمون بقوله : « ما أبقى أبو الطيب ـ يعنى طاهراً ـ شيئاً من أمر الدنيا والدين والتدبير والرأى والسياسة وإصلاح الملك والرعية ، وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلاّ وقد أحكم وأوصى به »، وأمر المأمون ، فكتب به إلى جميع العمال فى النواحى[٣٨] .

مما تجدر الإشارة إليه أنه على الرغم من ولاء طاهر بن الحسين للمأمون فإنه قد أمسك عن الدعاء للخليفة على المنابر ، واكتفى بقول : «اللهم أصلح أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، مما أصلحت به أولياءك ، واكفنا مؤنة من بغى علينا »[٣٩] . وذلك بسبب ما كان يجيش فى صدر طاهر بن الحسين من ناحية المأمون ، بعد أن أبلغه حسين الخادم ساقى الخليفة أن المأمون يكره سيرته (طاهر بن الحسين) لاعتقاده الراسخ بأن طاهرا استغل الحرب بين الأخوين وتسرع فى قتل الأمين .

## ٢ ـ دور الطاهريين فى توطيد سلطان الخلافة بالشرق :

لما توفى طاهر بن الحسين سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م، ولى المأمون ابنه عبد الله إمارة الطاهريين ، فسيّر أخاه طلحة إلى خراسان ، وكان عبد الله بالرقة يقوم على حرب نصر بن شبث ، فلما توجه طلحة إلى خراسان سير

(٣٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص١٩٧ ـ ٢٠٣ .
(٣٨) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٨ ، ص٥٨٢ .
(٣٩) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٥ ، ص٢٠٤ .

المأمون إليه وزيره أحمد بن أبى خالد ليكون عوناً له وعيناً عليه ، فلما خرج الحسن بن الحسين بن مصعب عن الطاعة واتجه إلى كرمان ، سار إليه أحمد بن أبى خالد وأسره وبعث به إلى المأمون الذى عفا عنه(٤٠)، ومن ناحية أخرى قام عبد الله بن طاهر بحصار نصر بن شبث بكيسوم، وضيق عليه حتى طلب الأمان ، فأجابه إليه وتحول من معسكره فى الرقة إلى عبد الله بن طاهر وكانت مدة حصاره ومحاربته خمس سنين ، وسير عبد الله نصراً إلى المأمون فوصل إليه فى صفر ٢١٠هـ/ ٨٢٦م(٤١).

كما سار عبد الله بن طاهر إلى مصر للقضاء على فتنة عبيد الله بن السرى الذى خلع الطاعة وتغلب على مصر ، فلما فرغ من أمره نصر بن شبث سار إلى ابن السرى ، والتقى الطرفان واقتتلا قتالاً شديداً ، فانهزم ابن السرى وخندق على نفسه ، وأرسل هدية عظيمة إلى عبد الله بن طاهر حتى يتوقف عن قتاله فرد عليه : ﴿ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾(٤٢). فحينئذ طلب الأمان سنة ٢١١هـ/ ٨٢٧م، وتم ترحيل عبيد الله بن السرى إلى بغداد ، وكتب أهل مصر رسالة إلى المأمون عبروا فيها عن امتنانهم لما قام به عبد الله بن طاهر من القضاء على فتنة عبيد الله بن السرى ، جاء فيها : « قدم من قبل المشرق فتى حدث ، والدنيا عندنا مفتونة ، قد غلب على كل ناحية من بلادنا غالب ، والناس منهم فى بلاء ، فأصلح الدنيا ،

---

(٤٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص٢٠٦ .

(٤١) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٥ ، ص٢٠٨ .

(٤٢) سورة النمل : آية ٣٧ .

وأمن البرىء ، واستوثقت له الرعية بالطاعة »[٤٣]، فلما وصلت الرسالة إلى الخليفة المأمون سر بها سروراً بالغًا، وخلع على عبد الله بن طاهر وولاه مصر والشام والجزيرة ، وكتب المأمون إلى عبد الله بن طاهر :

أخى أنت ومولاى .·. ومن أشكر نعماه
مما أحببت من أمر .·. فأتى الدهر أهواه
وما تكره من شىء .·. فإنى لست أرضاه
لك الله على ذاك .·. لك الله لك الله

لما توفى طلحة بن طاهر سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٨م ، ولى المأمون مكانه عبد الله بن طاهر خراسان نتيجة خدماته الجليلة فى القضاء على فتنتى نصر بن شبث ، وعبيدالله بن السرى ، فلما ولى خراسان امتد نفوذه إلى طبرستان وكرمان والرى ، وعين فيها العمال وجبى الخراج وكان يرسله بانتظام إلى حاضرة الخلافة ، فدانت له خراسان وما حولها بالطاعة واستقرت الأمور ، إلاّ أن عبدالله بن طاهر لم يلبث أن اصطدم بطموحات مازيار بن قارن صاحب طبرستان ، الذى رفض أن يحمل الخراج إلى عبد الله بن طاهر طبقاً لأوامر المعتصم ، وكان يقول لا أحمله إلاّ للمعتصم، ولما ازداد الخلاف مع عبدالله بن طاهر ، كتب الخليفة إلى عبدالله أن يحارب مازيار، وكتب الأفشين زعيم الأتراك فى الوقت نفسه إلى مازيار أن يحارب عبدالله ويطمعه فى خراسان ، وكانت الخطة المتفق عليها بين الخلافة العباسية والدولة الطاهرية هى حصار مازيار من جميع الجهات

---

(٤٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٥ ، ص ٢١٢ .

للقضاء على فتنته ، فأرسل عبدالله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين بن مصعب فى جيش كثيف لحفظ جرجان وتأمينها ، ووجه ابن طاهر جيشاً آخر بقيادة حيان بن جبلة فى أربعة آلاف فعسكر عند قومس على حد جبال شروين ، ووجه المعتصم من عنده محمد بن إبراهيم بن مصعب ، والمنصور بن الحسن إلى الرى ليدخل طبرستان من ناحية الرى.

أما فى الجانب الآخر فأرسل مازيار قائده قارن بن شهريار مع أخيه عبد الله بن قارن لمحاربة الطاهريين، لكن قائد عبد الله بن طاهر ، حيان استطاع استمالة قارن بن شهريار بعد أن وعده بتوليته الجبال ومدينة سارية إلى حدود جرجان ، ودخل حيان جبال قارن ، فلما علم بذلك قوهيار أخو مازيار طلب الأمان من القائد حيان ، وعاد قوهيار إلى مازيار ، وأعلمه أنه أخذ له الأمان واستوثق له ، فلما لم يجد مازيار من مخرج من هذه الورطة ، سار مع أخيه قوهيار إلى الحسن بن الحسين عم عبد الله طاهر ، فقبض على مازيار وجميع أخوته ، وبعث بذلك إلى ابن أخيه ، فكتب إليه أن يقوم بتسليمهم إلى من يسير بهم إلى المعتصم فى حاضرة الخلافة ، فأنفذ الحسن بمازيار إلى المعتصم مع يعقوب بن المنصور ، أما قوهيار فقد وثب عليه الجند وقالوا له غدرت بصاحبنا وأسلمته إلى العرب وجئت تحمل أمواله ، فلما جن عليه الليل قتلوه وانتهبوا أمواله . ولما وصل مازيار إلى حاضرة الخلافة أمر به المعتصم ، فضرب حتى الموت ، ثم صلب وانتهت بذلك فتنة مازيار بن قارن سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٩م(٤٤).

---

(٤٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص٢٥٣ ـ ٢٥٧ .

لما كانت سجستان تابعة للطاهريين ، فقد بعث حاكمها من قبل الطاهريين ، وهو حسين بن السيارى برسالة إلى عبد الله بن طاهر ، يصف له فيها حال الإقليم المتدهور من جراء القحط الذى ساد البلاد لسنة كاملة عام ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م، فأمر عبد الله بن طاهر بتوزيع حصة من الخراج والضرائب كانت متبقية فى ديوان بيت مال سجستان بين الأهالى، إلاّ أن هذا الإجراء لم يوقف تدهور الأحوال الاجتماعية والسياسية ، فاضطر كثير من الأهالى للهجرة ، ونشط قطاع الطرق والمجرمون فى أرجاء الإقليم ، مما كان له أسوأ الأثر فى المجتمع من انتشار الفساد وتعرض الناس للهلاك ، ومن الناحية السياسية أعلن الأشراف العصيان على حكم الطاهريين ، وإذكاء الروح القومية ، وكان شعارهم : « لا تدفعوا درهمًا كخراج للخليفة بعد الآن ، لأنه لا يستطيع رعايتكم »(٤٥) .

تعرضت حكومة الطاهريين فى المشرق للثورات الشعبية المتلاحقة ، لكن أخطرها كان اثنتين : هما حركة الخوارج فى سجستان وحركة الشيعة بطبرستان(٤٦) .

يرجع أصل الخوارج إلى جماعة من المسلمين التى أعلنت خروجها على الخليفة على بن أبى طالب خلال معركة صفين وقبوله التحكيم سنة ٣٧هـ/ ٦٥٧م ، وأعلنوا مخالفتهم له ، ولم يلبث أحدهم وهو عبد الرحمن ابن ملجم أن قام بقتل الخليفة علىّ وهو بمحراب مسجد الكوفة ، واتخذت

---

(٤٥) باريزى : يعقوب بن الليث ، ترجمة محمد فتحى الريس ، دار الرائد العربى ١٩٧٦ ، ص٩٢ .

(٤٦) بارتولد : تركستان ، ترجمة صلاح الدين هاشم ، الكويت ١٩٨١ ، ص٣٣٨ .

هذه الطائفة من الصراع المسلح والاغتيالات سبيلا لاستمرارها ، وتفرقت إلى جماعات متناثرة فى مدن العراق وإيران وبخاصة فى فارس وكرمان وسجستان ، وازداد أتباعهم مع الأحداث الجسام التى شهدتها الدولة الإسلامية طوال تاريخها مثل مقتل الحسين بن على ، وعزل أبناء الحسن ابن على ، وقتل مصعب بن الزبير وعبد الله بن الزبير ، وقسوة الحجاج بن يوسف التى ساعدت كثيرا على استفحال أمر الخوارج ، وانضمام أعداد كبيرة من الحاقدين الناقمين على الحكم الأموى إليهم ، كما أدت قسوة معن ابن زائدة الشيبانى والى سجستان إلى سخط أهلها ، وانتهى أمره بالقتل على يد الخوارج بمدينة بست سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م(٤٧).

وتولى أمر الخوارج فى سجستان حمزة بن عبد الله المشهور بالخارجى، الذى جمع الناس فى خطبة، وبعد أن صعد المنبر فى ناحية قريبة من العاصمة استهل خطبته: « وأنا لا أريد منكم شيئا ، ولن آخذ شيئا لأننى لن أبقى فى مكان واحد » ، فسحر أعين الناس الذين كانوا قد عانوا من كثرة ما فرض عليهم من ضرائب وإتاوات ، وترتب على ذلك أن قلت الأموال التى كانت ترسل من سجستان إلى حاضرة الخلافة منذ ذلك الحين فقررت الخلافة القضاء على الخوارج ، فأنفذت إليهم عيسى بن على الذى أبلى بلاء حسنا فى قتال حمزة وأتباعه سنة ١٨٨هـ/ ٨٠٣م(٤٨)، إلا أن أمر هذا الخارجى لم ينته ، فقرر هارون الرشيد الخروج بنفسه لقتاله، فلما وصل إلى طوس أرسل إلى حمزة بن عبد الله يأمره بالطاعة والمساعدة على استقرار الأمن ، لكنه لم يقبل شروط الخليفة ، وأمر أصحابه بالاستعداد

---

(٤٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص٣٥ .

(٤٨) البيهقى : تاريخ البيهقى ، ترجمة يحيى الخشاب ، ١٩٥٦م ، ص٤١٧ .

والقتال ، فخرجوا جميعا معه بعد أن لبسوا أكفانهم والسلاح فوقها، وكانوا ينشدون :

أَظَـنّ هــرون وأشياعـه ∴ أنَّا نبيـع الحـق بالباطـل

ولم يكن حمـزة ممن يبيع ∴ آجـله بالعاجـل الزائـل

فلما وصل حمزة خبر وفاة هارون الرشيد قال : « وكفى الله المؤمنين القتال » .

ظل حمزة يقلق بال الخلافة العباسية مستغلا الأحداث التى أحدقت بها، وما تعرضت له من اضطرابات بعد وفاة الرشيد ، فلما توفى حمزة سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٧م فقد الخوارج زعيمهم ، واضطروا إلى الانضمام إلى الفرق الناقمة على الخلافة وولاتها فى المشرق [٤٩]، وبخاصة الأمراء الطاهريين .

فقد قام أحد الخوارج وهو عبد الله الجبلى بإعلان الخروج على طاعة الطاهريين فى نفس العام واجتمع إليه كثير من الخوارج ، ولم يستطع حسين السيارى حاكم سجستان التصدى لهم ، وظل الحال على ذلك حتى توفى السيارى ، فأرسل عبد الله بن طاهر والياً جديداً من قبله ، هو إلياس ابن أسد لقمع الخوارج ، فلما وصل إلى سجستان تعقب الخوارج الذين فر منهم عدد كبير إلى كرمان ، وجعل جل همه جمع الأموال من الأهالى وأساء التصرف ، وفى عام ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م، ولى عبد الله بن طاهر حاكماً جديداً على سجستان ، هو إبراهيم القوسى ، الذى ما إن وصل إلى هناك

---

(٤٩) الكرديزى : زين الأخبار ، ترجمة عفاف السيد زيدان ، ١٩٨٣م، ص٦ .

حتى عين ابنه إسحق بن إبراهيم على بست ، فضاق الناس ذرعًا بهذه الأسرة واشتكوا منهم ، واستمرت الأوضاع فى التدهور الشديد .

لما توفى المعتصم بالله وولى الواثق الخلافة سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤٢م، قام بدوره بالاعتراف بولاية عبد الله بن طاهر على خراسان ، ولم يستطع ديوان الخلافة أن ينحيه ، لأن الأسرة الطاهرية كانت قد أرست قواعدها هناك، ولأن أحوال الخلافة ذاتها كانت مضطربة ويسودها عدم الاستقرار .

على الرغم من وفاة عبد الله بن طاهر والى خراسان فى ربيع الآخر ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م، فإن إبراهيم القوسى ظل فى حكم سجستان ، وحاول الاتفاق مع الخوارج وأهل السنة وطائفتى بكر وتميم ، وبخاصة أن هذه الفرق أيقنت أن الطاهريين قد رسخت أقدامهم بخراسان(٥٠) .

لما توفى طاهر بن عبد الله سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م، عقد الخليفة المستعين لابنه محمد بن طاهر على خراسان ، بينما ولى العم محمد بن عبد الله بن طاهر على العراق والسواد والحرمين والشرطة .

لما ولى محمد بن طاهر الحكم سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م، تصدى لحركة يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب الذى ثار بالكوفة سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٥م ، بعد أن رفض وصيف التركى المستأثر بالنفوذ دون الخليفة المستعين ، طلب يحيى أن يقرر له عطاء، فأغلظ ليحيى القول : « لأى شيء يجرى على مثلك»(٥١) . فاتجه إلى الكوفة واجتمع عليه كثير من الأتباع ، وانضم إليه الأعراب ، فتقدم مع أنصاره إلى السجون ، وأفرج عن قاطنيها وطرد نواب الخليفة

---

(٥٠) باريزى : يعقوب بن الليث ، ص ٩٦ .

(٥١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٩ ، ص ٢٦٦ .

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص ٣١١ ـ ٣١٢ .

واستولى على أموالهم، فأنفذ إليه المستعين واليه على العراق محمد بن عبد الله بن طاهر، فلما التقى الطرفان حلت الهزيمة بيحيى وأسر وصلب رأسه ، فلما رأى ذلك أحد أتباعه الناجين ، وهو أبو هاشم داود بن الهيثم الجعفرى ، قال لمحمد بن عبد الله بن طاهر : « أيها الأمير إنك لتهنأ بقتل رجل من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلك سوء العاقبة »(٥٢) .

لم تهدأ الحركات الثورية للعلويين بمقتل يحيى بن عمر ، إذ قام الحسن ابن زيد بن محمد العلوى بالثورة فى طبرستان وكان سبب ثورته الرد على مكافأة الخليفة المستعين لمحمد بن عبد الله بن طاهر على قتل يحيى بن عمر العلوى بقطائع فى طبرستان ، فضلاً عن قيام الحسن بن زيد العلوى(٥٣) بحركة ضد محمد بن أوس حاكم طبرستان من قبل واليها

---

(٥٢) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٤ ، ص٩٣ .

(٥٣) هو الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وكان العلويون عامة والزيدية بصفة خاصة يثورون فى كل بقاع العالم الإسلامى خلال العصر العباسى ، اعتقاداً منهم باسترداد الحق المغتصب ، وفى الجانب الآخر كان العباسيون يعتبرونهم ألد أعدائهم فقاموا بالقمع والبطش لزعماء هذه الحركات وإيداعهم السجون ، وقد التجأ بعض أبناء وأحفاد هذه الأسرة الذين نجوا من حد السيف إلى المدن والمناطق الداخلية والشمالية فى إيران ، ومع ذلك كانوا فى هذه المدن يعانون من بطش الولاة العباسيين ، وكان ديوان الخلافة يسعى لاسترضاء أو إسكات العلويين بمختلف الوسائل ، غير أن هؤلاء الأشراف لم يتنازلوا عن طلب الخلافة ، ومن بين هؤلاء ظهر الحسن بن زيد الذى عرف بصاحب طبرستان بعد أن أعلن دعوته سنة ٢٥٠هـ ، فى آمل ، ونعت بالداعى الكبير ، وكان الخليفة المستعين بالله العباسى قد منح حكومة طبرستان لعبد الله بن طاهر ، لكنه وعماله أساءوا السيرة فى أهل طبرستان ، الأمر الذى دعاهم إلى طلب العون من الديلم ، واتفقوا جميعاً على تأييد ومباركة الحسن بن زيد العلوى ، بعد أن ضاقوا بظلم العباسيين وحكامهم فى هذا الإقليم ، وبخاصة الطاهريون الذين كانوا يحكمون طبرستان والديلم إلى جانب سجستان وغيرها ، وكانوا شديدى الظلم والبطش .

سليمان بن عبد الله بن طاهر الذى استغل ثقة الطاهريين فيه واستبد بالأمور فى هذا الإقليم، وعين أبناءه على المدن والقـرى ، الذين بدورهم أسـاءوا مـعاملة الأهالى فحنق الناس عليـهم ، وسادت بينهم روح السخط وباتوا ينتظرون الخلاص وقاموا بالالتفاف حول محمد وجعفر ابنى رستم ـ كانا أميران بنواحى طبرستان ولهما علاقات بالديلم ـ فاستنهضوا جيرانهم من الديلم طالبين نصرتهم فأجابوهم وقرروا محاربة سليمان بن عبدالله ومحمد ابن أوس(٥٤) .

فلمازاد الأتبـاع اختـاروا الحسن بن زيد العلوى من آل البـيت لصبغ حركتـهم بالصبغة الدينية ، فزحف بهم إلى آمل عـاصمة طبرستـان ، واستـولى عليـهـا ، وأخرج منهـا من كـان يقطنهـا من البيت الطاهرى وأنصـارهم سنة ٢٥٠هـ/٨٦٥م ، وكـانت ثورة الشيـعة أشد وأقسى على الدولة الطاهرية ، فلم يكتف الحسن العلوى بالاستيلاء على آمل ، بل قام بمطاردة سليمان بن عبد الله الذى ولى هاربا نحو سارية ـ إحدى مدن طبرستـان الهـامة ـ واستـولى عليـهـا ثم سار إلى الرى . وتمت السيطرة للزيدية على طبرستـان ، بينمـا ضـعف نفوذ الطاهريين وسـارت دولتـهم بخطى سريعة نحو الذبول والانهيار(٥٥) .

---

= اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ، ص٣٠٧ .
اتصلوا بمحمد بن إبراهيم من الطالبيين بطبرستان يدعونه إلى البيعة ، وقالوا له : « لقد ضقنا بظلم هؤلاء الحكام والدين الإسلامى والإيمان فى رعايتهم ، ونريد سيداً من آل محمد صلى الله عليه وسلم نجعله حاكما علينا ، فدلهم على زوج أخته الحسن بن زيد العلوى الذى كان يسكن وقتذاك الرى .
الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٩ ، ص٢٧٢ .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص٣١٦ .

(٥٤) الطبرى : المصدر نفسه ، جـ٩ ، ص٢٧٥ .

(٥٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص٦ .

لما ضاعت طبرستان من الطاهريين أنفذ الخليفة العباسى المعتز بالله جيشًا لاستردادها بقيادة موسى بن بغا سنة ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م، فسار إليها الحسن بن زيد والتقى بالزيديين عند بحر قزوين فانتصر عليهم ، وولى الحسن بن زيد هارباً إلى الديلم ، ودخل موسى بن بغا الرى واستخدمها مقراً لحكمه .

انتهز الحسن بن زيد فرصة عودة الجيش العباسى إلى حاضرة الخلافة بناء على طلب أم المعتز للقضاء على ثورة للأتراك هناك ، وسار إلى الرى فاستردها من موسى بن بغا سنة ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م، ولم يكتف بذلك بل سار إلى الكرخ سنة ٢٥٧هـ/ ٨٧١م واستولى عليها ومن الجدير بالذكر أن حكم الحسن بن زيد امتد إلى سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٤م(٥٦)، فلما توفى خلفه أخوه محمد بن زيد الذى حكم الإقليم حتى استولى عليه السامانيون سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م ، وظلت طبرستان تحت حكم السامانيين حتى استردها الحسن الأطروش باسم الزيدية وظلت بأيديهم حتى سقوطها سنة ٣٥٥هـ/ ٩٦٦م.

على أن الدولة الطاهرية التى كانت قد وصلت إلى أوج قوتها وتقدمها على عهد عبد الله بن طاهر ، قد دب الضعف فى أوصالها منذ عهد آخر ولاتها محمد بن طاهر ، الذى كان حدثا صغير السن فاقد الأهلية والخبرة ، وقد عكف على اللهو والانحلال مما عرض الدولة للأخطار الخارجية التى كانت تحيط بها ، وبخاصة من الزيدية الذين استولوا على طبرستان ، والصفاريين الذين أقاموا دولتهم فى سجستان .

كانت الدولة الطاهرية بمثابة دولة شبه مستقلة ، ويتجلى ذلك فى الخضوع والتبعية للخلافة العباسية من خلال احترام مظاهر سيادة الخليفة ،

(٥٦) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٩ ، ص٦٦٦ .

وهى الخطبة والسكة وإرسال الخراج إلى حاضرة الخلافة ، فضلاً عن تلك الخدمات العظيمة التى قاموا بها من أجل الحفاظ على كيان ووحدة أراضى الخلافة ضد أعدائها الخارجين عن سلطانها ، وفى مقابل ذلك صارت خراسان ولاية وراثية شرعية لهم بمباركة وموافقة الخلفاء العباسيين .

### ٣ ــ الدور الحضارى للدولة الطاهرية :

ومهما يكن من أمر فقد نمت النظم الإدارية والمالية وازدهرت الحالة الاقتصادية فى عهد الطاهريين بعد أن حافظ أمراؤها على كيان دولتهم ، التى ضمت مدن إقليم خراسان وهى مرو(٥٧) ونيسابور(٥٨) وبلخ

---

(٥٧) مرو : إحدى مدن خراسان ، يخترقها نهر مرغاب الذى ينحدر من جبال الغور شمال شرق هراة ، ثم يتفرع إلى جملة أنهار ويتوسطها المسجد الجامع ، دار الإمارة التى تعلوها قبة يجلس فيها الأمير، وتضم ضمن سكانها أشراف الدهاقين العجم ، وطائفة من الأزد ، وتميم من العرب ــ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٣١٤ ــ اليعقوبى : البلدان ، ص٢٧٩ ــ وتشتهر بالقز والقطن الذى ينتقل منها إلى سائر البلدان ــ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٣١٦ ، وكانت تضم المكتبة الرئيسية لإقليم خراسان ، أمضى فيها ياقوت الحموى ثلاثة أيام لجمع كتابه « معجم البلدان » ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص٤٤٤ .

(٥٨) نيسابور ، حاضرة خراسان منذ عهد الطاهريين ، وكانت مركزا هاما للمعاملات والقوافل التجارية ، ويتوسطها المسجد الجامع الذى بناه الصفاريون خلال عهد عمرو ابن الليث ، ويتألف من صحن وثلاثة أروقة ــ لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٤٢٦ ــ ويرجع الفضل للطاهريين فى شهرة هذه المدينة وجعلها قبلة العلماء من كل صوب وحدب ، وقد امتدحها إسماعيل بن أحمد السامانى بقوله : « يا لها من مدينة لو لم يكن بها عيبان قيل ما هما ؟ قال ينبغى أن تكون مياهها التى فى باطنها فوق ظهرها ومشايخها الذين على ظهرها فى باطنها ــ القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٣١٧ ــ وكان أهل نيسابور يعتمدون فى توفير المياه على العيون والآبار ــ اليعقوبى : البلدان ، ص٢٧١ .

وهراة[٥٩]، فضلاً عن أذربيجان وجرجان وطبرستان ، إلى جانب قهستان (عراق العجم) وفارس وكرمان وسجستان[٦٠]، والأهواز ، وعلى الرغم من أن مرو كانت درة الشرق لحكام المشرق منذ ولاية أبى مسلم الخراسانى ، فإن الطاهريين نقلوا الدواوين إلى نيسابور ، فصارت منذ عهدهم دار إمارة الشرق الإسلامى .

سار الطاهريون على نهج الخلافة العباسية فيما يختص بالنظام المالى، بعد أن فوضت الخلافة آل طاهر فى تنظيم وجمع الخراج والضرائب التجارية والصناعية من أقاليم المشرق كله ، فقام آل طاهر بتنظيم الشئون الإدارية والمالية ، فاختاروا المقربين من الرجال أهل الثقة ، وكانوا يحاسبونهم بدقة ، فمن ذلك أن طاهر بن الحسين قام بعزل يحيى بن حماد كاتبه وصاحب خراجه فى نيسابور ، وذلك بعد أن وبخه بقوله : « قلة نظرك لنفسك حرمتك من المنزلة ، وغفلتك عن حظك وحطتك عن درجتك، وجهلك بموضع النعمة أحل بك الغيرة والنقمة ، وعماؤك عن سبيل الدعة أسلكك فى طريق المشقة حتى صرت من قوة الأمل معتاضا شدة الوجل ، ومن رجاء الغد حتى ركبت مطية الخوف بعد مجلس الأمن والكرامة »[٦١]، ولما علم عبد الله بن طاهر سوء سيرة محمد بن حميد الطاهرى حاسبه وشدد عليه[٦٢]، وكان عبد الله بن طاهر يكتب لعماله على

---

(٥٩) هراة : من أعظم مدن خراسان ولها نهر كبير يسمى نهر هراة ينحدر من جبال الغور ، وإلى جانب هذا النهر توجد أنهار صغيرة وأودية، ولها حصن وسور عظيم له أربعة أبواب ؛ يصفها القزوينى بقوله « لم أر بخراسان مدينة أجل ولا أعظم ولا أفخم منها ، فيها البساتين الكبيرة والمياه الغزيرة ، القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٣٢٢ .

(٦٠) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢٨٣ .

(٦١) ابن طيفور : تاريخ بغداد ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص٧٠ .

(٦٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ص٢٣١ .

الولايات التابعة لسلطان الطاهريين يحثهم على الأمانة والدقة ، ويوصيهم خيراً بالمزارعين وإنصاف الصغار منهم[٦٣].

كان الأمير الطاهرى يحتفظ بقدر من أموال الخراج للصرف على إدارة دولته ومرافقها العامة ، ويرسل الباقى إلى حاضرة الخلافة العباسية[٦٤]، وتدل مقادير خراج أقاليم المشرق[٦٥] على أن الطاهريين كانوا يعيشون فى رغد من العيش ، وأن خزائنهم قد امتلأت بالأموال ، فبلغت متحصلات الخراج من خراسان ٢٨٫٠٠٠٫٠٠٠ درهم ، ومن فارس ٢٧٫٠٠٠٫٠٠٠ درهم ، ومن الأهواز ٢٥٫٠٠٠٫٠٠٠ ، ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ من جرجان ، ٦٫٣٠٠٫٠٠٠ من طبرستان، ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ من الرى ، ٤٫٠٠٠٫٠٠٠ من أذربيجان ، ١١٫٠٠٠٫٠٠٠ من أصفهان، ١١٫٠٠٠٫٠٠٠ من همذان ودستى ، بينما كان يحصل من كرمان ٤٫٢٠٠٫٠٠٠، ومن قومس ١١٫٥٠٠٫٠٠٠، ومن مكران ٤٠٠٫٠٠٠ درهم[٦٦].

غير أن الطبرى[٦٧] ذكر أن مجموع خراج الولايات التابعة لعبد الله ابن طاهر بلغ ثمانية وأربعين مليونا من الدراهم ، وبمقابلة الأرقام التى ذكرها الجهشيارى مع ما ذكره الطبرى ، نجد أن المقدار الذى ورد عند الطبرى هو ما كان يرسل إلى حاضرة الخلافة ، فقد ذكر ابن خرداذبة[٦٨] أن مقدار الخراج الذى كان يدفعه عبد الله بن طاهر للخليفة ، قد بلغ أربعة وأربعين مليونا وثمانمائة وستة وأربعين ألفا من الدراهم ، هذا زيادة على

---

(٦٣) بارتولد : تركستان ، ص٤٦٢ .
(٦٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، نشر دى جويه ١٨٨٩م، ص٣٤ ـ ٣٥ .
(٦٥) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٢٨ .
(٦٦) ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية ، ص٥١٣ .
(٦٧) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٩ ، ص١٣١ .
(٦٨) ابن خرداذبة : المصدر نفسه ، ص٢٨ .

ثلاثة عشر من جياد الخيل ، وألفى رأس من الغنم ، وألفى رقيق من الغز قيمتها ستمائة ألف درهم ، فضلاً عن ألف ومائة وسبعة وثمانين ثوباً ، وألف وثلاثمائة قطعة من الحرير ، وكان ذلك فى عامى ٢١١هـ، ٢١٢هـ/ ٨٢٦م، ٨٢٧م، إلا أن مقدار الخراج المرسل إلى حاضرة الخلافة انخفض فى عام ٢٢١هـ/ ٨٣٦م، إلى ثمانية وثلاثين مليونا تشمل ثمن ما أرسل من الرقيق والغنم والثياب القطنية(٦٩).

وقد بين الخوارزمى(٧٠) القوانين والدفاتر والأعمال التى كانت مستعملة فى الدواوين بخراسان فى ذلك العصر على النحو التالى :

- قانون الخراج : وهو أصله الذى يرجع إليه وتبنى الجباية عليه ، وهى كلمة يونانية معربة .
- الأوراج : إعراب **أواره** ، ومعناها بالفارسية المنقول ، لأنه ينقل إليه ما على إنسان لإنسان ، ويثبت فيه ما يؤديه دفعه بعد أخرى ، إلى أن يستوفى ما عليه .
- الروزنامج : ومعناه كتاب اليوم ، لأنه يكتب فيه ما يجرى كل يوم من استخراج أو نفقة أو غير ذلك .
- الختمة : وهى كتاب يرفعه الجهبذ ـ الخبير بغوامض الأمور ـ فى كل شهر إلى الحضرة بالاستخراج والنفقات والحاصل كأنه يختم الشهر به .
- الختمة الجامعة : تعمل كل سنة كذلك .
- التأريج : قيل لفظة فارسية معناها النظام ، لأنه يعمل للعقد لعدة أبواب

---

(٦٩) قدامة بن جعفر : الخراج وصنعة الكتابة ، ليدن ١٨٨٩ ، ص١٨٥ .

(٧٠) الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، القاهرة ١٣٤١هـ، ص٣٦ ـ ٣٩ .

يحتاج لعلم جملها . وأنا أظن أنه تفعيل من الأوراج ، أقول : أرجت تأريجا لأن التأريج يعمل للعقد شبيها بالأوراج ، فإن ما يثبت تحت كل اسم من دفعات القبض يكون مصفوفا ليسهل إجماله بالحساب ، وهكذا يعلم التأريج .

- العريضة : وهى شبيهة بالتأريج ، إلا أنها تُعمل لأبواب يُحتاج إلى أن يُعلم فضل ما بينها (الفائض) ، فينقص الأقل من الأكثر من بابين منها، ويضع ما يفضل فى باب ثالث ، وهو الباب المقصود الذى تعمل العريضة لأجله ، «كأن تعمل عريضة للأصل والاستخراج ، ففى أكثر الأحوال ينقص الاستخراج عن الأصل ، فيوضع فى السطر الأول من سطور العريضة ثلاثة أبواب : أحدها للأصل ، والثانى للاستخراج ، والثالث لفصل ما بينها » .
- البراءة : حجة يبذلها الجهبذ أو الخازن للمؤدى بما يؤديه إليه .
- الموافقة والجماعة : حساب جامع يرفعه العامل عند فراغه من العمل ، ولا يسمى موافقة ما لم يُرفع باتفاق بين الرافع والمرفوع إليه ، فإن انفرد به أحدهما دون أن يوافق الآخر على تفصيلاته سمى محاسبة .
- الصك : يجمع فيه أسامى المستحقين وعدتهم ومبلغ مالهم ، ويوقع السلطان فى آخره بإطلاق الرزق لهم .
- المؤامرة : عمل تجمع فيه الأوامر الخارجة ، ويوقع السلطان فى آخره بإجازة ذلك .
- الاستقرار : عمل يعمل لما يستقر عليه بعد الإثبات ، والفك والوضع،

والزيادة ، والحط ، والنقل ، والتحويل ، ونحو ذلك .

- المواصفة : توصف فيه أحوال تقع وأسبابها ودواعيها وما تعود بثباتها أو زوالها .
- الجريدة المسجلة : هى المختومة ، فأما السجل فكتاب يكتب للرسول أو المخبر أو الرجال أو غيرهم بإطلاق نفقته حيث بلغ ، فيقيمها له كل عامل يجتاز به ، والسجل أيضاً المحضر يعقده القاضى بفصل الإقضاء.
- الفهرست : ذكر الأعمال والدفاتر المعمول بها فى الديوان ، وقد يكون لسائر الأشياء .
- الدستور : نسخة الجماعة المنقولة من السواد .
- الجائزة : علامة المقابلة .
- الأوشنج : المطوى والجموع لفظة فارسية أيضاً .
- الأروزن : ذكر الماسح وسواده الذى يثبت فيه مقادير ما يمسحه من الأرضين .

حظيت الزراعة باهتمام كبير من قبل الطاهريين وبخاصة خلال حكم عبد الله بن طاهر الذى اعتنى بشئون الزُّراع ، فعندما لاحظ كثرة الخصومات التى تقع فيما بينهم على توزيع حصص المياه ، دعا جماعة من الفقهاء ، وطلب إليهم شرح الأسس الفقهية لمشاكل الرى ، فوضعوا له كتاب « القنى » لتنظيم العلاقة بين المزارعين فيما يختص بإستخدام قنوات الرى ، وصار يعمل به كدليل للزراع ، وقد حوى هذا الكتاب معلومات كثيرة عن وسائل الرى ، وكيفية بناء القنى ، وسقى الماء منها والأسس الإدارية والفقهية التى اتخذت لتجنب السلبيات التى كانت تحدث من جرَّاء

السقى ، كما أوصى عماله بحفظ مصالح الفلاحين لأن « الله يطعمنا بأيديهم ويرحمنا بدعائهم ويمنع الإساءة إليهم»(٧١) .

فضلاً عن ذلك وجه حكام الدولة الطاهرية إهتمامهم إلى تنمية الثروة الزراعية ، فنشطوا فى حفر الترع وإقامة السدود والقناطر فى معظم أرجاء الأقاليم التى كانوا يسيطرون عليها ، وكان يوجد فى مرو ديوان يعرف بديوان الماء لتيسير سبل الرى ، وكان يشرف عليه أحد الثقاة المقربين من خبراء الحياة الزراعية ، إلى جانب معاونيه ، ويتم فى هذا الديوان تسجيل مقادير خراج الأرض فى كل ناحية طبقا لنوع الرى فيها ، وكان خراجها طبقا لما وضعه فقهاء الدولة الإسلامية ، العشر على الأراضى التى تروى بدون تكاليف أو أعباء ، ونصف العشر على الأراضى التى تروى بالمؤنة(٧٢) .

اشتهرت خراسان فى عهد الطاهريين بكثرة قنواتها وسدودها ولعل من أهم أنهارها، نهر هراة ، وكان يجتاز هراة باتجاه بوشنج ثم ينعطف إلى سرخس ، وكان الفرع الرئيسى يذهب إلى هراة ويتفرع عنه بعض الجداول التى تستخدم فى رى البساتين والمزارع الممتدة على جانب النهر الرئيسى(٧٣)، أما نهر مرو فكان ينبع من جبل الغور فى الشمال الشرقى من هراة ويمر بمرو الروذ فيغذى الضياع المنتشرة على ضفتيه ، ثم يتجه شمالاً إلى مرو الشاهجان، وكان لأهمية هذا النهر أن خصص له ديوان عرف « بديوان الماء »(٧٤) .

---

(٧١) عبد العزيز الدورى : دراسات فى العصور العباسية المتأخرة ، مطبعة السريان ، بغداد ١٩٤٥ ، ص١١٠ .

(٧٢) الخوارزمى : تاريخ العلوم ، ص٤٥ .

(٧٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٣٦٥ .

(٧٤) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ٢ ، ص٣٣٦ ـ ٣٣٧ .

فكان فى مرو ديوان يسمى « ديوان الماء »، وكان صاحبه يرأس عشرة آلاف عامل ؛ وكان منصبه أرقى من منصب صاحب المعونة فى تلك المدينة .

وكان الماء يُقاس بقياس مصطلح عليه يسمى البَسْت ، وهو مخرج للماء من ثقب طوله شعيرة وعرضه شعيرة ، وكان شرب اليوم والليلة ينقسم إلى ستين جزءاً ، الواحد منها يسمى السرَقة .

وكان مقياس ارتفاع النهر يقع على مسافة فرسخ من المدينة ؛ وكان عبارة عن لوح مُقام على النهر مشقوق شقاً طولياً تتحرك عليه شعيرة ، فربما علا الماء حتى بلغ ارتفاعه ستين شعيرة ، فتكون السنة خصبة ، ويستبشر الناس بذلك ، ويزاد مقدار ما يُفقرّق عليهم ؛ وإذا بلغ الإرتفاع ست شعيرات فقط كانت سنة قحط . والمتولى للسد يلاحظ ارتفاع الماء ، ويُنفّذ سُعَاته بذلك إلى ديوان النهر ، فينفذ صاحبه الرسل إلى جميع من يتولون شعب الأنهار ، فيقسمون الماء حسب ارتفاعه ؛ « وكان على السد الذى أُقيم جنوب مرو أربعمائة غواص ، يراعونه فى ليلهم ونهارهم ، وربما احتاجوا دخول الماء فى البرد الشديد ، فيطلون أنفسهم بالشمع . على كل رجل منهم قَطْعُ الخشب تجْمعُ بشىء معلوم فى كل يوم يستعدونه لوقت الحاجة» .

وكانت نيسابور خاصة مشهورة بقنواتها التى تجرى تحت الأرض؛ حتى ينزل الإنسان إليها على مراقٍ ربما يبلغ عددها السبعين؛ وهى تسقى ضياع البلد، وتدور فى محلاتها، وتمدّ أهلها بماء للشرب نظيف بارد فى فصل الصيف(٧٥) .

---

(٧٥) أدم متز : الحضارة الإسلامية ، مجلد ٢ ، ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧ .

ازدهرت الحياة الاقتصادية فى أقاليم المشرق خلال عهد الطاهريين ، وذلك لاهتمامهم بتنمية موارد الدولة ، والتى ساعد على ازدهارها تعدد أقاليم المشرق واتساع رقعتها ، فتنوعت المحاصيل الزراعية ونشطت الصناعات ، وتخصص كل إقليم منها فى إنتاج حاصلات زراعية وصناعية متقدمة حتى وصفها ابن الفقيه بأنها تفوقت على صناعات الصين(٧٦)، وأدت هذه النهضة إلى تنشيط حركة التجارة الداخلية بين أقاليم الدولة الطاهرية ، إلى جانب إقامة سوقين فى الحاضرة نيسابور هما سوق المربعة الكبيرة ، وسوق المربعة الصغيرة(٧٧)، كما ازدادت حركة التجارة الخارجية نشاطا مع وجود الفائض المخصص للتصدير عن طريق خراسان ـ بغداد ، والتجارة البحرية فى الخليج العربى وبحر الهند .

كان عامل الخراج يخضع لسلطان الأمير الطاهرى مباشرة فى كل إقليم من أقاليم الدولة ، ومن أهم الواجبات التى يضطلع بها جباية الخراج ، والإنفاق على مرافق الإقليم ودفع رواتب الموظفين ، ثم إرسال الباقى إلى حاضرة الدولة ، وكان الخراج يجبى على دفعتين(٧٨)، وكان الجهبذ أو الخازن إذا تسلم فائض الخراج أعطى براءة بذلك لعامل خراج الإقليم .

لم يكتف حكام الدول الطاهرية بتحصيل الضرائب المختلفة ، بل وجهوا اهتمامهم إلى تنمية ثرواتهم ، وبخاصة الثروة الزراعية ، وقد اشتهرت منطقة شمال فارس بجودة البطيخ ، وكانت كرمان تشتهر بالتمور،

---

(٧٦) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص٢٦ .

(٧٧) الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص١٤٦ .

(٧٨) بارتولد : تركستان ، ص٣٦٨ .

وأما سجستان فكانت تنتج أجود أنواع الكروم ، والرى تنتج أفخر أنواع الخوخ(٧٩)، وطبرستان الليمون والأترج ، وأما بست فكان يزرع بها الكمثرى والتين والبرقوق .

كما ازدهرت الصناعات الغذائية والمعدنية فى أقاليم المشرق وكانت مرو تمثل مركز صناعة القطن فى شرق فارس ، والديباج فى تستر ، وكانت أكبر مصانع الحرير فى خوزستان وطبرستان ، وأما البسط والطنافس الفارسية فأهم مراكزها أصفهان ، وكانت الصناعات المعدنية تتركز فى بلخ ، حيث اشتهرت بتوافر الفضة ، وفى أصفهان النحاس الأصفر ، وكان فى فارس أكبر مصانع الحديد .

اشتهرت خراسان فى عهد الطاهريين بتنوع الصناعات التى تقوم على وفرة الأيدى العاملة الماهرة ، والإدارة المركزية الخبيرة وفتح الأسواق الإستهلاكية الكبرى ، فصارت فى عهدهم من أكبر المراكز الصناعية فى الشرق الإسلامى، وتم إنتاج الأسلحة المختلفة من السيوف والرماح والحراب، فضلاً عن السكاكين، إلى جانب الأسلاك الشائكة ، واستخدام الذهب فى إنتاج الحلى المختلفة ، فضلاً عن المنسوجات الموشاة بخيوط الحرير والذهب(٨٠) ، وكان لتوافر الفضة فى نيسابور ان استخدمت فى سك الدراهم، وصناعة الأوانى وأدوات الطعام وكيزان الماء(٨١) .

أما أشهر صناعات خراسان فى عهد الطاهريين فتتجلى فى المنسوجات بأنواعها لتوافر القطن الفاخر ، فاشتهرت مرو بقطنها الذى

---

(٧٩) الثعالبى : لطائف المعارف ، ص١٨٥ .

(٨٠) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص١٨٠ .

(٨١) البيرونى : كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر ، حيدر أباد الدكن ١٩٥٨ ، ص٢٦٦ .

تصنع منه الملابس اللينة والثياب الغالية الثمن ، قال ابن حوقل : « وبها فاخر ثياب القطن والقز ما ينقل إلى سائر بلدان الإسلام ، وبعض مدن بلاد الترك لكثرته وجودته[٨٢] .

كذلك اشتهرت نيسابور فى عهدهم بصناعة الحرير ، وذلك لوجود مركز كبير لتربية دودة القز بها ، وكان الحرير الخام يجمع من حدائق وبساتين التوت ، وكانت مرو من أكثر مراكز صناعة الحرير شهرة فى العهد الطاهرى لكثرة توافر القز بها ، وكانت الملابس الحريرية تصنع للأمراء والوزراء والنساء الشهيرات ، ويصدر الفائض[٨٣] .

وكان لتوافر الغابات الكثيفة بالأشجار فى خراسان ، وخصوصاً خشب العرعر الذى اشتهرت به خراسان ، وكان يحمل منها إلى سائر النواحى ، مما شجع أمراء البيت الطاهرى الصناع المهرة على عمل التحف والأدوات المنزلية من الخشب ، فضلاً عن مقابض الأسلحة ، والقسى والنشاب ، واشتهرت نيسابور فى عهد عبد الله بن طاهر بصناعة الصناديق والتحف الخشبية[٨٤] .

أدى تنوع الصناعات والحاصلات الزراعية إلى نشاط الحركة التجارية العالمية التى ارتبطت بدول المشرق الإسلامى ، كما كان لاهتمام حكام الدولة الطاهرية بتأمين طرق التجارة المختلفة الداخلية والخارجية

---

(٨٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٣٦٥ .

(٨٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص٣٢٩ .

(٨٤) الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص٢٦٨ .
، آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ٢ ، ص٣٣٣ .

أثره البالغ فى تنشيط الحركة التجارية ، فقد أنشأوا المنائر فى الثغور ، وبنوا الأساطيل لحماية السواحل من إغارات القراصنة ، فضلاً عن الحراسات التى كانت ترافق القوافل التجارية خلال سيرها على الطرق البرية ، فأصبحت السفن والقوافل تجوب البلاد وتمخر عباب البحار فى أمن وطمأنينة ، واحتلت تجارة المسلمين فى ذلك العصر المكانة العليا فى التجارة الدولية . ومن أشهر طرق التجارة بين الشرق والغرب(٨٥): الطريق التجارى من الغرب إلى الشرق عن طريق مصر ، وينقل عليه الجوارى والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والتمور والسيوف ، ومن مصر عبر البحر الأحمر ماراً بموانئه الهامة حتى تصل السفن إلى الهند والصين ، ويحمل التجار فى عودتهم سلع المشرق كالمسك والعود والكافور والدارصينى ، فضلا عن الأخشاب والجوز وثمرات الجروم الحارة من كرمان(٨٦) ، والديباج والأخشاب والأسلحة من خراسان ، والمنسوجات القطنية والفواكه المجففة من مرو(٨٧) .

وجملة القول أن خزائن العباسيين كانت تفيض بالأموال التى كانت تجبى من الضرائب المختلفة ، وبخاصة الخراج ، ففى بداية ظهور الدول المستقلة بالشرق الإسلامى على عهد الخليفة المأمون بلغ خراج الدولة ٢٩٧ر٦٠٠ر٠٠٠ درهم من أقاليم المشرق على النحو التالى:(٨٨) .

---

(٨٥) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص٣٢٣ ـ ٣٢٦ .

(٨٦) القزوينى : آثار البلاد ، ص٢٤٧ .

(٨٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٣٦ .

(٨٨) جورجى زيدان : التمدن الإسلامى ، جـ٢ ، ص٥٣ ـ ٥٥ .

**مقدار الجباية بالدراهم طبقًا لأسماء الأقاليم :**

| أسماء الأقاليم | مقدار الجباية بالدرهم | الأموال والغلال |
|---|---|---|
| السواد | ٢٧ر٨٠٠ر٠٠٠ | ومن الحلل النجرانية ٢٠٠ حلة ، ومن |
| كسكر | ١١ر٦٠٠ر٠٠٠ | طين الختم ٢٤٠ رطلاً . |
| كور دجلة | ٢٠ر٨٠٠ر٠٠٠ | |
| حلوان | ٤ر٨٠٠ر٠٠٠ | |
| الأهواز | ٢٥ر٠٠٠ر٠٠٠ | وسكر ٣٠ر٠٠٠ رطل . |
| فارس | ٢٧ر٠٠٠ر٠٠٠ | ومن ماء الورد ٣٠ر٠٠٠ قارورة، ومن الزيت |
| كرمان | ٤ر٢٠٠ر٠٠٠ | الأسود ٢٠ر٠٠٠ ، ومتاع يمانى ٥٠٠ ثوب، |
| مكران | ٤٠٠ر٠٠٠ | وتمر ٢٠ر٠٠٠ رطل . |
| السند وما يليه | ١١ر٥٠٠ر٠٠٠ | وعود هندى ١٥٠ رطلا |
| سجستان | ٤ر٠٠٠ر٠٠٠ | ومن الثياب المعنية ٣٠٠ثوب |
| خراسان | ٢٨ر٠٠٠ر٠٠٠ | ومن نقر الفضة ٢ر٠٠٠ نقره و٤ر٠٠٠ |
| | | برذون و١ر٠٠٠ رأس رقيق و٢٠ر٠٠٠ ثوب |
| | | متاع |
| جرجان | ٢ر٠٠٠ر٠٠٠ | |
| قومس | ١ر٥٠٠ر٠٠٠ | ومن نقر الفضة ١ر٠٠٠ نقرة . |

## تابع : مقدار الجباية بالدراهم طبقًا لأسماء الأقاليم :

| أسماء الأقاليم | مقدار الجباية بالدرهم | الأموال والغلال |
|---|---|---|
| طبرستان ودماوند | ٦ر٣٠٠ر٠٠٠ | و٦٠٠قطعة من الفرش الطبرى و٢٠٠ أكسية و٥٠٠ثوب و٣٠٠منديل و٣٠٠ جام |
| الرى | ١٢ر٠٠٠ر٠٠٠ | و٢٠ر٠٠٠رطل عسل . |
| همذان | ١١ر٣٠٠ر٠٠٠ | ١٢٠٠ رطل عسل |
| ماها البصرة والكوفة | ١٠ر٧٠٠ر٠٠٠ | |
| شهرزور | ٤ر٠٠٠ر٠٠٠ | |
| الموصل وما يليها | ٩ر٧٠٠ر٠٠٠ | |
| أذربيجان | ٢٤ر٠٠٠ر٠٠٠ | |
| الجزيرة وما يليها | ٤ر٠٠٠ر٠٠٠ | و٢٠ر٠٠٠رطل عسل |
| من أعمال الفرات | ٣٤ر٠٠٠ر٠٠٠ | و١ر٠٠٠ رأس رقيق و١٢ر٠٠٠عسل وعشرة بزات و٣٠ كساء |
| أرمينية | ١٣ر٠٠٠ر٠٠٠ | |
| المجموع الكلى | ٢٩٧ر٦٠٠ر٠٠٠ | من الدراهم |

بينما بلغت متحصلات خراج أقاليم الدولة العباسية فى القرن الثالث الهجرى على عهد الخليفة المعتصم بالله عن أقاليم المشرق ٣٥٠ر١٠٠ر٢٣٨ درهماً ، على النحو التالى [٨٩] :

| إقليم المشرق | دراهم | إقليم المشرق | دراهم |
|---|---|---|---|
| السواد | ٦٥٠ر٤٥٧ر١٤ | الرى ودماوند | ٠٠٠ر٨٠٠ر٢٠ |
| الأهواز | ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٣ | قزوين وزنجان وأبهر | ٠٠٠ر٨٢٨ر١ |
| فارس | ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٤ | قومس | ٠٠٠ر١٥٠ر١ |
| كرمان | ٠٠٠ر٠٠٠ر٦ | جرجان | ٧٠٠ر٠٠٠ر٤٠ |
| مكران | ٠٠٠ر٠٠٠ر١ | طبرستان | ٠٠٠ر٢٨٠ر٤ |
| أصبهان | ٠٠٠ر٥٠٠ر١٠ | تكريت والطيرهان | ٠٠٠ر٩٠٠ |
| سجستان | ٠٠٠ر٠٠٠ر١ | شهرزور والصمغان | ٠٠٠ر٧٥٠ر٢ |
| خراسان | ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٧ | الموصل وما يليها | ٠٠٠ر٣٠٠ر٦ |
| حلوان | ٠٠٠ر٩٠٠ | فردى وبريدى | ٠٠٠ر٢٠٠ر٣ |
| ماه الكوفة | ٠٠٠ر٠٠٠ر٥ | ديار ربيعة | ٠٠٠ر٦٣٥ر٩ |
| ماه البصرة | ٠٠٠ر٨٠٠ر٤ | آرزن وميافارقين | ٠٠٠ر٢٠٠ر٤ |
| همذان | ٠٠٠ر٧٠٠ر١ | طرون | ٠٠٠ر١٠٠ |
| ماسيذان | ٠٠٠ر٢٠٠ر١ | آمد | ٠٠٠ر٠٠٠ر٢ |
| مهرجان قذق | ٠٠٠ر١٠٠ر١ | ديار مضر | ٠٠٠ر٠٠٠ر٦ |
| الايفارين | ٠٠٠ر٨٠٠ر٣ | أعمال طريق الفرات | ٠٠٠ر٩٠٠ر٢ |
| قم وقاشان | ٠٠٠ر٠٠٠ر٣ | | |
| أذربيجان | ٠٠٠ر٥٠٠ر٣ | المجموع | ٣٥٠ر١٠٠ر٢٣٨ |

(٨٩) قدامة بن جعفر : الخراج وصنعة الكتابة ، ص٢٣٧ ـ ٢٤٠ .

أما من الناحية الثقافية فشجع أمراء الدولة الطاهرية أهل العلم وأكرموهم وأعلوا من شأنهم بوضعهم فى المكانة التى تليق بهم ، ذلك أنهم اعتبروا أنفسهم حماة ورعاة للعلم والثقافة وأن من واجبهم تشجيع العلماء وتوفير أسباب الإنتاج العلمى لهم ليساهموا بإبداعاتهم فى تقدم الأمة الإسلامية ، وقد بذل عبد الله بن طاهر جهداً واضحًا فى تشجيع العلماء وكان محبا لأهله ، ذكر ابن الأثير أنه كان يقول : « ينبغى أن يبذل العلم لأهله وغير أهله ، فإن العلم أمنع لنفسه من أن يصير إلى غير أهله »[٩٠] .

وعلى ذلك خصص الأمير عبد الله بن طاهر رواتب منتظمة لكبار العلماء حتى يتفرغوا للعلم ونشره ، فأوقف لأبى عبيد القاسم بن سلام البغدادى[٩١] راتباً قدره خمسمائة درهم فى كل شهر ، وكان أبو عبيد أحد أئمة اللغة والفقه والحديث والقرآن والأخبار ، له المصنفات المشهورة المنتشرة بين الناس ، وكان لمكانته العلمية أن أمر الأمير الطاهرى باستمرار الوقف المخصص له على ذريته من بعده .

ومن ناحية أخرى لما صنف أبو عبيد القاسم كتابه « تفسير غريب الحديث » ، أُعجب به عبد الله بن طاهر وقال : « ما ينبغى لعقل يحث صاحبه على تصنيف هذا الكتاب أن يحوج صاحبه إلى طلب المعاش » ، وأجرى له عشرة آلاف درهم فى كل شهر ، وقال محمد بن وهب المسعودى سمعت أبا عبيد يقول : « مكثت فى تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة» ، وقال هلال بن المعلى : « أنعم الله على المسلمين بهؤلاء الأربعة :

---

(٩٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص١٤ .
(٩١) (توفى ٢٢٤هـ/ ٨٦٦م) .

الشافعى تفقه فى الفقه والحديث ، وأحمد بن حنبل فى المحنة ، ويحيى بن معين فى نفى الكذب ، وأبو عبيد فى تفسير غريب الحديث ، ولولا ذلك لاقتحم الناس المهالك»(٩٢) .

حرص أمراء البيت الطاهرى على حضور مجالس العلماء فحدث خلال إحدى تلك المجالس أن ناظر الإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه(٩٣) (٢٣٨هـ/ ٨٥٢م) أحد المبتدعين ويدعى ابن أبى صالح .

كما حرص الأمير عبد الله بن طاهر على حضور مجلس الفقيه على بن غنام بن على أبو الحسن العمرى الكوفى (ت٢٢٨هـ/ ٨٤٣م) فكان الأمير الطاهرى يبعث إليه يسأله الحضور إلى نيسابور ، فأبى ومع ذلك لم يؤذه(٩٤) .

---

(٩٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٧ ، ص١٠٧ .
؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص٢٩١ .

(٩٣) ابن راهويه : هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم ولد (١٦٢هـ/٧٧٩م وقيل ١٦٦هـ/٧٨٣م) ولد مشقوق الاذنين . رحل إسحاق فى طلب العلم إلى العراق والحجاز واليمن والشام ، وسمع من سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وغيرهم ، وروى عنه البخارى ومسلم وخلق كثير ، واجتمع له الحديث والفقه والحفظ والورع والصدق ، وكان أحمد بن حنبل يقول : «لا أعلم لإسحاق بالعراق نظيراً ، وقد سأل الأمير عبد الله بن طاهر بن راهويه : لم قيل لك ابن راهويه ؟ قال : ولد أبى فى الطريق فقيل راهويه . كما قال له الأمير : قيل لى إنك تحفظ مائة ألف حديث ؟ قال مائة ألف ما أدرى ، ولكنى ما سمعت شيئا قط إلا حفظته ولا حفظت شيئا قط فنسيته .
؛ ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١١ ، ص١٥٩ ــ ١٦٠ ؛ الذهبى : سير أعلام النبلاء ، جـ١١ ، ص٣٥٩ .

(٩٤) ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ١١ ، ص١٤٠ .

وكان من مظاهر إهتمام الأمير عبد الله بن طاهر بالعلماء ، أن أمر بإرسال الفقيه الحسين بن الفضل بن عمير البجلى الكوفى إلى نيسابور سنة ٢١٧هـ/٨٥٩م، وإبتاع له الدار المشهورة به، فسكنها وبقى يعلم الناس ويفتى فى تلك الدار إلى أن توفى[٩٥]، وبذل الأمير عبد الله بن طاهر قصارى جهده فى تعمير أربطة خراسان وأوقف بها الأوقاف وأظهر الصدقات ، كما وجه أموالاً عظيمة إلى الحرمين[٩٦]، كما كان الأمير محمد ابن عبد الله بن طاهر يحترم علماء الدين ويتقرب إليهم ، من ذلك حرصه على سماع الحديث من الشيخ الحافظ أبى يعقوب إسحاق بن البهلول بن حسان بن سنان التنوخى (توفى ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م)[٩٧].

كانت اللغة العربية فى فترة حكم الطاهريين لغة العلم والثقافة[٩٨]، بعد أن فتر الإهتمام بالتراث الفارسى ، ويؤكد ذلك ما قاله عوفى عن الطاهريين : إنهم لم يهتموا بلغة الفرس[٩٩] يدل على ذلك ما روى عن عبد الله بن طاهر لما أهدى إليه كتاب ، فسأل ما هذا ؟ فرد عليه الرجل قصة رامق وعذرا التى ألفها بعض الحكماء للملك أنو شروان ، فقال الأمير : نحن قوم نقرأ القرآن ولسنا فى حاجة إلى غير القرآن والحديث ، فما لنا وهذه

---

(٩٥) الداودى : طبقات المفسرين ، جـ١ ، ص١٥٦ .

(٩٦) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١١ ، ص١٥٩ ـ ١٦٠ .

(٩٧) ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ١٢ ، ص٥٧ ـ ٥٨ .

(٩٨) محمود فهمى حجازى : اللغة العربية عبر القرون ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٧٨م ، ص٥٧ .

(٩٩) محمد عوفى : لباب الألباب ، جـ٢ ، ص٣٠٢ .

الكتب التى ألفها المجوس ؟ ثم أمر فألقى الكتاب فى النار وأمر أن يحرق كل كتاب فى ولايته كُتب بلغة المجوس[١٠٠].

وكان من أشهر العلماء الذين اهتموا باللغة العربية آنذاك عيينة بن عبد الرحمن أبو المنهال المهلبى النحوى اللغوى الذى كان يشغل منصب مؤدب الأمير عبد الله بن طاهر جاء معه إلى نيسابور وتوفى بها، ومن مؤلفاته كتاب النوادر ، وكتاب له فى الشعر[١٠١]، وأبو سعيد أحمد بن خالد الضرير البغدادى اللغوى ، كان عالما باللغة ، استقدمه طاهر بن عبد الله بن طاهر من بغداد ، وأقام بنيسابور وله كتابى « المعانى » و « النوادر »[١٠٢].

هكذا كان أمراء الدولة الطاهرية يجزلون العطاء للعلماء ، كما أحاطوا أنفسهم بنخبة من الأدباء والشعراء الذين نظموا القصائد لمدحهم ، ولم يقف دورهم على حد التشجيع ، بل كان من بين حكام وأمراء هذه الأسرة من نبغ فى الأدب والشعر ، ومنهم الأمير طاهر بن الحسين الذى كان يملك جارية تدعى ديذا وفيها يقول طاهر :

فياليت شعرى هل ابيتن بعدها ... بليلة مسرور بحيث أريد

وهل ترجعن خيلى إلى ربطاتها ... ويجمعنى المارقين صعيد

وهل عرفت ديذا مقامى وموقفى ... إذا أضرمت نار وليس وقود[١٠٣]

---

(١٠٠) عبد الوهاب بن عزام : نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص١٥ .

(١٠١) السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، جـ٢ ، ص٢٣٩ .
؛ القفطى : إنباه الرواة على أنباه النحاة ، جـ١ ، ص١٠٥ .

(١٠٢) السيوطى : المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٣٠٥ .
؛ القفطى : المصدر نفسه ، جـ١ ، ص١ .

(١٠٣) محمد أمان صافى : أفغانستان والأدب العربى عبر العصور ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص٣٤٠ .

كان الأمير عبد الله بن طاهر يتغنى كثيراً بالأشعار التى من فيها :

اغتفر زلتى لتحرز فضل الشـ ـكر منى ولا يفوتك أجرى
لا تكلنى إلى التوسل بالغدر لعلى أن لا أقوم بعذرى

كما كان محمد بن عبد الله بن طاهر محبًا لأهل العلم والأدب، فلما كان الحسن بن وهب عنده عرضت سحابة فرعدت وبرقت وأمطرت، فقال كل من حضر فيها شيئا، فقال الحسن :

هطلتنا السماء هطلا دراكا عارض المرزبان فيها السماكا
قلت للبرق إذ توقد فيها يازناد السماء من اوراكا(١٠٤)

ولما رأى محمد بن عبد الله بن طاهر من بكاء إحدى المقربات من جواريه قال :

دمعة كاللؤلؤ الرطب على الخد الأسيل
هطلت فى ساعة البين من الطرف الكحيل

ثم قال لها : أجيزينى فقالت :

إنما يفتضح العشاق فى يوم الرحيل(١٠٥)

ومن طريف المناظرات الشعرية أن قال محمد بن طاهر لجارية له :

ماذا تقولين فيمن شفه سقم من جهد حبك حتى صار حيرانا

---

(١٠٤) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٢ ، ص٦٨ ـ ٦٩ .
(١٠٥) ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ١٢ ، ص٧٠ .

فأجابته :

إذا رأينا محبا قد أضر به جهد الصبابة أوليناه إحسانا(١٠٦)

وقد تغنى الشعراء بأمراء الدولة الطاهرية مادحين فيهم ما إتصفوا به من جود وكرم ، فمن بينهم أبو تمام الذى قال مادحاً عبد الله بن طاهر وقد قصده بالعراق :

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود(١٠٧)

وكان الشاعر عوف بن محلم من المقربين لعبد الله بن طاهر ومن قبل كان نديماً له، وكان عوف من بلغاء الشعراء وفصحائهم ، وقد لزم جانب أمراء الدولة الطاهرية ، ومن جانبهم أغدقوا عليه بالمنح الكثيرة ، ومن شعر عوف :

وكنت إذا صحبت رجال قوم صحبتهم وشيمتى الوفاء

فاحسن حين يحسن محسونهم واجتنب الإساءة إن أساءوا

وابصر ما يريبهم بعين عليها من عيونهم غطاء

هكذا كان لتشجيع أمراء الدولة الطاهرية وتقديرهم للعلماء وإجزال العطاء لهم أثر كبير فى النهوض بالحركة الثقافية فى المشرق الإسلامى .

---

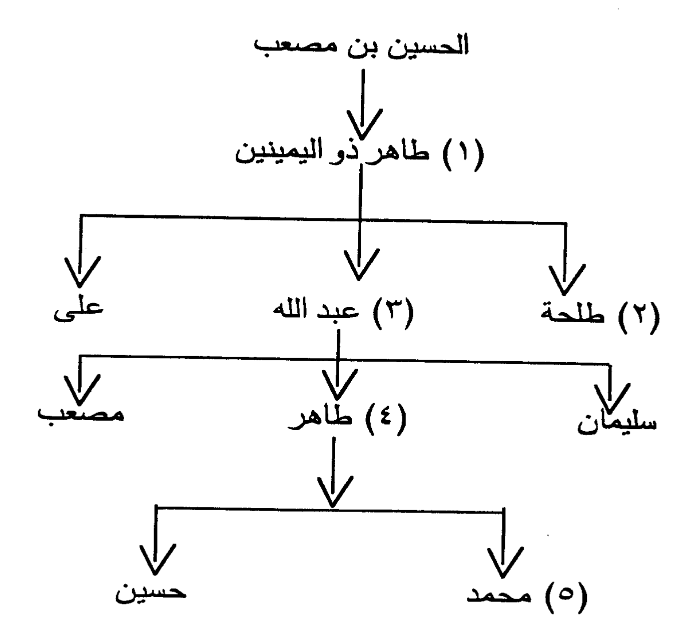
(١٠٦) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١٢ ، ص٦٨ ـ ٦٩ .

(١٠٧) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، جـ٢ ، ص٦٨ .

## جدول
## بأسماء أمراء الدولة الطاهرية
## وسنوات حكمهم

| التاريخ الهجري | التاريخ الميلادي | أسماء الأمراء |
|---|---|---|
| ٢٠٥ | ٨٢١ | طاهر بن الحسين |
| ٢٠٧ | ٨٢٢ | طلحة بن طاهر |
| ٢١٢ | ٨٢٨ | عبد الله بن طاهر |
| ٢٣٠ | ٨٤٤ | طاهر بن عبد الله |
| ٢٤٨ | ٨٦٢ | محمد بن طاهر |
| ٢٥٩ | ٨٧٣ | سقوط الدولة الطاهرية |

## مشجرهم وتسلسل توليهم الحكم



# الفصل الثالث

# الدولة الصفارية

ملكت خراسان وأكتاف فارس     وما كنت من ملك العراق بآيس
سلام على الدنيا وطيب نسيمها     إذا لم يكن يعقوب فيها بجالس

## الفصل الثالث

## الدولة الصفارية

### ١ ـ ظهور الصفاريين وقيام دولتهم :

تنتسب الدولة الصفارية إلى رجل يدعى يعقوب بن الليث الصفار[١] وكان الليث بن معدل (والد يعقوب) يعمل صفاراً[٢]، وكان أباً لأربعة أبناء ، هم : يعقوب وعمرو وطاهر وعلى ، وكانوا جميعا يشتغلون بصناعة النحاس الأصفر والأحمر ، وهى مهنة تحتاج إلى الجلد والصبر ، فأصقلتهم ومنحتهم الجسارة وشدة البأس ، فضلا عن القوة البدنية ، وعلى الرغم من معاناتهم الفقر والجوع فإن أباهم قد رباهم على الزهد ونبل الأخلاق .

ولد يعقوب بن الليث بقرية قرنين من نواحى زرنج[٣]، وهى قرية صغيرة مقفرة لا تصلح تربتها للزراعة ، وطقسها حار رطب ، يمر فى وسطها جدول صغير ، فلم يجد يعقوب بدا من ترك قرنين ، والخروج إلى موطن أكثر رحابة فاتجه إلى زرنج عاصمة سجستان ، ذلك أن زرنج كانت محكمة البنيان تتمتع بموقع حصين ، لها حصن يدور حوله خندق ينبع منه الماء ، وهى كما يقول المقدسى : « نظيفة الأطعمة مفيدة فى المتاجر ، كثيرة العلماء والمشايخ ، لها خمسة أبواب ، أولها الباب الجديد والآخر الباب العتيق وكلاهما يؤديان إلى فارس ، والباب الثالث يسمى

---

(١) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ، ص٥٠٤ .

(٢) بارتولد : تركستان ، ص١٦٣ .

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص٣٠٦ .

كَرْكُويه يخرج منه إلى خراسان ، وباب نِيشَكْ يؤدى إلى بُسْتْ ، والباب الخامس يعرف بباب الطعام يخرج منه إلى الرساتيق وهو أعمر أبوابها»[٤] .

لا شك أن ظهور الصفاريين يعتبر الخطوة الأولى فى سبيل استرجاع الاستقلال القومى للبلاد الفارسية ، وحلقة من حلقات سلسلة التآمر الفارسى على السيادة العربية[٥] ، فقد تجلت عبقرية يعقوب بن الليث وقوة شكيمته فى الاستيلاء على أغلب مدن إيران وأفغانستان ، واتخذ زرنج بسجستان حاضرة له ، ومنها استطاع أن يمد نفوذه إلى شبه القارة الهندية ، وتطلع إلى الاستيلاء على حاضرة الخلافة العباسية نفسها ، منتهزا فرصة الصراع والنزاع بين أبناء البيت العباسى ، وبخاصة بين الخليفة المعتمد وأخيه الموفق طلحة ، وما كان من خلافات دامية بين العرب والترك فى الحاضرة ، واستطاع فى فترة قصيرة ـ قصر عمره ـ قضاها فى قيادة الصفاريين أن يجعل من سجستان المطمورة الفقيرة محورا للأحداث التاريخية ، ومنطقة نزاع بين الطاهريين والصفاريين ، فقد عانى الصفاريون من عسف وجشع ولاة الطاهريين على هذه المناطق[٦] ، وكانوا يقولون :

صاح الزمان بآل برمك صيحة ∴ خروا لِصيحته على الأذقان

وبآل طاهر سوف يسمع صيحته ∴ غضبا يحل بهم من الرحمن[٧]

---

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص٣٠٥ .

ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٤٢٠ .

(٥) Muir : The Caliphate , P. 548 .

(٦) عباس إقبال : إيران بعد الإسلام ، ترجمة علاء الدين منصور ، ص١٠٧ .

(٧) باستانى باريزى : يعقوب بن الليث ، ص١٠٥ .

ومهما يكن من أمر فيعقوب بن الليث الصفار كان أحد قادة صالح بن النضر الكنانى صاحب سجستان ، ثم أصبح نائبا له بعد أن أبلى بلاء حسنا فى قتال الخوارج فى عهد الخليفة المتوكل على الله العباسى سنة ٢٣٧هـ/ ٨٥٢م ، غير أن علو شأن يعقوب ارتبط برئاسته للعيارين .

نشأت فى معظم مدن إيران جماعات وطنية من الشباب والكبار من الطبقات الدنيا والمتوسطة من أهالى سجستان عرفوا بالعيارين وكانت تجمعهم روح التعاون والغيرة والحميـة على رفعة مكانـة وطنهم ، وعلى الرغم من انضمام بعض الفاسدين والخارجين على التقاليد إلى صفوفهم ، فإن الغالبية منهم كانوا من الأسوياء ، والرياضيين ، وذوى المهارات الخاصة ، وكانت تجمعهم تقاليد وشروط هى : الفتوة ، والشجاعة ، والاستقامة ، والصدق ، وحفظ الأسرار ، فلما ازدادت أعدادهم أخذوا فى تنظيم صفوفهم تحت إمرة رؤساء منهم .

مما تجد الإشارة إليه أن العيارين بدء ظهورهم فى أواخر القرن الثانى الهجرى فى بغداد ولعبوا دوراً هامًا فى الصراع بين الأمين والمأمون ، فاستعان بهم الأمين لما فقد معظم أفراد جيشه ، واضطر إلى بيع أوانى الذهب والفضة والمتاع والأقمشة النفيسة وأعطاها للعيارين للدفاع عنه ، وعن العاصمة بغداد(٨) ، وكان لهذه الجماعات تشكيلات وتنظيمات غاية فى الترتيب والدقة ، فجعلوا على رأس كل عشرة منهم عريفًا ، وعلى كل عشرة من العرفاء نقيباً ، وعلى كل عشرة من النقباء عقيداً ، وكل عشرة من العقداء أميراً ، وكانوا يضعون على أعناقهم مناديل حمراء لتميزهم ويتعارفوا بعضهم على بعض ، وكانوا يحاربون بشجاعة ورجولة ، ومما قيل فيهم من الشعر :

---

(٨) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص٢٤١ .

ليس يدرون ما الفـرار إذا الأبـ .·. طال عاذوا مـن القنا بالفـرار

ويقـول الفتـى إذا طعـن الطعـ .·. نة خذها من الفتى العيار[٩]

كان مركز العيارين[١٠] فى بغداد ، ومن هناك انتشروا فى سائر الولايات، وفى سجستان خاصة قاموا بتنظيم صفوفهم على النحو المشار إليه ، ووضعوا تقاليد وشروطاً صارمة للانضمام إليهم واشترطوا على كل من أراد الانضمام إليهم أن يتلو القسم الخاص بهم : « أقسم بالله العادل القهار ، وبالنور والنار والحب وبخبز وملح الرجال ونصائح الفتيان » . وقد تمسكوا بالصدق ، فليس من شيمهم الكذب أو الغدر أو الخيانة لأن الخائن سوف يرى عاقبة خيانته ، ويتجلى أصل اعتقادهم فى أن تفعل ما تقول ، وأن تحافظ على الصدق فى القول والعمل، وأن تتحلى بالصبر ، لتصبح شجاعا شهما صابرا فى كل عمل ، صادق الوعد، طاهر الذيل ، طاهر القلب ، وكان على العيار ألاّ يقبل ضرر الغير فى سبيل منفعته ، ولكنه يجيز ضرر نفسه لمنفعة الأصدقاء ، لا يؤذى الضعيف، ولا يعتدى على الأسرى ، ويساعد المساكين ، ويدفع السوء عن المظلومين ، يقول الصدق ويسمع الصدق ، ويقدم الحق ويبذله، وألا يسىء إلى المائدة التى أكل عليها خبزا وملحا ، فكان أكل العيش والملح واحترامه عملا مقدسا لدى العيارين .

كانت العيارة الصورة المادية والحسية للضفاء والعرفان ، وكانوا يقولون إن الفتوة هى جسم الإنسانية وبدنها ، وإذا وجد هذا الجسم والبدن روحا فإنه يصبح تصوفا ، وتتشكل الروح المثالية فى البدن الصحيح ، من أرباب المعرفة ، والبدن من فقراء المتصوفة . ويرى العيارون أن فتوة

---

(٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٤ ، ص١٠٧ .

(١٠) ويقدر المسعودى عددهم خلال الحرب بين الأمين والمأمون بنحو خمسين ألفاً.

انظر : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص٢١٨ .

الجسم هى الصورة ، والحقيقة هى الروح ، ويستحق لقب فتى من اجتمعت فيه كل فضائل الأنبياء والأولياء وخصائصهم ، وكان العيارون والمتصوفة على وفاق منذ نشأة العيارة لأن الفتيان كان لديهم نوع من التصوف الأخلاقى[١١]، ومن أهم مبادئهم أنه ليس من المروءة ترك قوم فى بلاء وننجو بأنفسنا ، وأكثر الناس فتوة ورجولة الشجاع الصابر على كل عمل وبلاء .

وكان العيارون إذا التجأ إليهم أحد لا يسلمونه إلى عدوه أبداً ، كما أن حفظ الأسرار من مبادئهم الهامة ، وكانوا يقولون : « لا تكن جبانا خوفا من مائة جلدة أو ألف جلدة ، ولا تسلم لاجئا ، واحفظ السر حتى لو قتلوك بضرب العصى ، فالموت بضرب العصى أفضل من الخيانة »، كانوا يتحملون المشاق والأخطار خدمة للمساكين من الناس ، أو لدفع ظلم عن مظلوم ، وهم يتميزون بالذكاء والدهاء ، يسافرون بين المدن والقرى عبر الصحارى والجبال والأودية الصعبة العبور ، بسرعة ودون خوف منفذين أعمالهم ، وكان شعارهم : « أنا رجل فقير أعمل عيارا ، إذا وجدت طعاما أكلت ، وإذا لم أجد تجولت ، أخدم العيارين والفتيان ، وإذا قمت بعمل فهو لسمعتى وطيب ذكرى وليس من أجل الطعام »[١٢].

كان العيارون يطلقون على أنفسهم أسماء حركية للوصف والتخفى والدلالة على حالتهم الجسمانية والأخلاقية مثل : « شغال بيل زور[١٣]، شير زاد عيار[١٤]، شروين عيار[١٥]، زيرك عيار[١٦]، آهو كير عيار[١٧]، شه مير

(١١) باستانى باريزى : يعقوب بن الليث ، ص٦٤ .

(١٢) باستانى باريزى : المرجع نفسه ، ص٦٤ .

(١٣) الثعلب القوى كالفيل .

(١٤) الشبل العيار .

(١٥) القلعة العيار .

(١٦) الذكى العيار .

(١٧) صائد الغزال العيار .

عيار[18]، شاهوى عيار[19]، سنبدات عيار[20]، تيز دندان عيار[21]،[22].

فضلاً عن ذلك كان يطلق على يعقوب بن الليث لقب السندان[23]، وذلك لثباته وإصراره وقوة إرادته ، وأطلقوا اسم أبى العريان على رئيس عيارى سجستان ، لفقره وعريه ، وكان يحمل لقب عقيد ضمن التدرج القيادى للعيارين[24]. أما الصداقة فكان لها مكانة مقدسة عندهم وشعارهم «قوى فى الصداقة ، شديد فى العداوة»؛ لأنهم كانوا يتمسكون بالصداقة تمسكا عظيما ، وكذلك فى العداوة كانوا يبلغون غاية الشدة والقسوة ، وقد أدت هذه الصفات إلى اعتلائهم مكانة عليا بين معاصريهم، الذين كانوا يجلونهم ويهابونهم ، وفى الوقت نفسه يقومون بحركات تثير الإعجاب وتبعث على الخوف وتلقى الرعب فى قلوب الآخرين .

صارت سجستان[25] مركزا رئيسيا للعيارين الذين استطاعوا تنظيم

---

(١٨) ملك الأمراء العيار .

(١٩) الملك العيار .

(٢٠) الخردل العيار .

(٢١) حاد الأسنان العيار .

(٢٢) باستانى باريزى : يعقوب بن الليث ، ص٦٤ .

(٢٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص٤٦٤ .

(٢٤) بارتولد : تركستان ، ص٣٤١ .

(٢٥) أرض سجستان قليلة الانحدار ، وتروى حقولها من الترع المتفرعة من نهر هرمند ، واستخدم سكانها السدود المحلية منذ القدم ، ويرجع بناء أول سد فيها إلى رستم ، وتم تحويل المياه من نهر هرمند إلى الترع الرئيسية المتفرعة منه ، عن طريق هذه السدود التى تقام بقطع أشجار الطرفة القوية وغرسها على حافة النهر عندما يكون ماؤه منخفضا ، ثم يوضع خلفها ساتر ترابى ، وفضلاً عن ذلك فالمياه تحيط بسجستان من ثلاث نواحٍ، لأن نهر هيرمند يحيط بها من الشرق وبحيرة هامون من الشمال والغرب. باستانى باريزى : المرجع نفسه ، ص٨٠ ـ ٨٢ .

صفوفهم ، وتكوين فرقهم الحربية للوصول إلى مراكز القوة السياسية ، والاستيلاء على الحكومة لأن البلاد كانت تعج بالفقراء والمعوزين ، الذين امتهنوا حرفة صيد السمك من نهرى « هيرمند » و « لى » ، ونسج الخوص وعمل القفاف ، وعاش أهلها فى ضيق وشدة خاصة بعد سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م وهى من سنين الجفاف والقحط والفاقة ، وقد عانوا بعد جفاف نهر هيرمند[٢٦] ، إذ احترقت الأرض الزراعية ولم تنبت شيئًا وبخاصة مع هبوب الرياح ذات الهواء الساخن ، الذى يرتفع درجة حرارته إلى أكثر من ٤٠ درجة مئوية ، ويقال إن الرياح بشدتها وطول فترة هبوبها التى كانت تصل إلى نحو ١٢٠ يوما ، وتصل سرعتها إلى ١٢٠ كيلو متراً فى الساعة ، هى العامل الأساسى الذى تسبب فى خسائر كبيرة وأضرار بالغة ، مع أنها فى المقابل تدير طواحين الريح العجيبة[٢٧] .

وقد توقفت هذه الطواحين وتكسرت مراوحها فى هذه السنة ، ولم يمض وقت طويل حتى تبدل القحط والغلاء إلى مأساة ووباء عاناه المساكين والفقراء ، فضلاً عن حالة الانفلات والفوضى وتحول التجارة لانعدام الأمن ، ولم ينج الأغنياء والتجار والأعيان وذوو اليسار من تفشى الأوبئة بسبب هذا القحط ونقص الأغذية[٢٨] ، ولم يستطع عمال الديوان

---

(٢٦) نهر هرمند : دخل هذا النهر دائرة الضوء فى السياسية العالمية بعد انفصال افغانستان عن إيران فى أواسط العصر القاجارى عقب حكم محمد شاه قاجار ، وفى عصر ناصر الدين شاه تم إمضاء معاهدة باريس سنة ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٦م ، فصار أعلى النهر فى الأراضى الأفغانية لتستفيد منه هذه الأراضى ، بينما لا تصل المياه إلى المناطق السفلى للنهر فى داخل إيران ، وبعد التحكيم الذى تم سنة ١٩٠٢م برئاسة الجنرال ماكماهون تقرر استخدام ثلثى ماء هيرمند فى افغانستان وثلثه الباقى فى إيران ، وتم تعديل الاتفاق ليصبح تقسيم مياهه مناصفة بين البلدين سنة ١٩٣٦ .
باستانى باريزى : يعقوب بن الليث ، ص٨٢ ــ ٨٣ .

(٢٧) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص٣٢٣ .

(٢٨) بارتولد : تركستان ، ص٣٣١ .

وولاة الأمر إيجاد حل لهذه الأزمة ، لأنهم كانوا قبلها فى نزاع دائم وحروب مستمرة مع الخوارج والعصاة الثائرين ، فلم يعد هناك فائض من الأموال يمكنهم من مساعدة المنكوبين ، فضلا عن إثقال كاهل الناس بالضرائب والإتاوات لتغطية نفقات هذه الحروب ، الأمر الذى جعل الناس يقولون : « أموال الديوان وبرد الشتاء لهما تقديم وتأخير ، ولكنهما لا ينقطعان»(٢٩) ، وكان معظم هذه الأموال التى تحصّل من الناس ترسل إلى العاصمة بغداد من ولايتى كرمان وسجستان(٣٠) .

على الرغم من قيام عبد الله بن طاهر حاكم خراسان بتوزيع مبلغ ثلاثمائة ألف درهم من الضرائب على أهل سجستان التابعة للطاهريين وقتذاك فإن ذلك لم يؤثر أو يخفف من شدة القحط والمجاعة لضآلة المبلغ . ومهما يكن من أمر ، خلف صالح بن النصر الكنانى بعد وفاته درهم ابن الحسين فأبقى على يعقوب بن الليث فى منصبه ، وأمسى بذلك الرجل الثانى فى حكم سجستان ، ولما كان درهم من أشراف مدينة بست بايعه قادة الجند وأشرافها ليقوم بحفظ النظام والأمن والسيطرة على الأوضاع ، بعد الحروب الضارية مع الخوارج ، وتبعاً لذلك منح درهم كلا من يعقوب ابن الليث وحامد سرناوك لقب « لواء » بعد الانتصارات التى حققاها على الخوارج وتطهير سجستان من المخالفين والمعارضين .

لما رأى قادة جيش درهم بن الحسين عجزه عن قيادة الجيش والبلاد بسبب ضعفهم فى مواجهة الطاهريين وتوالى الهزائم ، اجتمعوا على اختيار

---

(٢٩) باستانى باريزى : يعقوب بن الليث ، ص٨٩ .

(٣٠) جورجى زيدان : التمدن الإسلامى ، جـ٥ ، ص١٤٠ .

يعقوب بن الليث للقيام بأعباء القيادة والحكم ، فتم عزل درهم وتولى يعقوب زمام الأمور ، وتحول كثير من أصحاب درهم من طاعته إلى طاعة يعقوب وتأييده ، وإزاء هذا اضطر درهم إلى ترك سجستان بينما بدأ نجم يعقوب فى الصعود منذ سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م ، ذلك أن يعقوب كان مقربا من القادة والجند ، وكان يجعل مركزه للشباب الطموح والعيارين ، وكان كريما معهم ينفق ما يتكسبه على إطعامهم ، وانتقل من زمرة الصفارين إلى جماعة العيارين ، وترقى إلى رئيس جماعة منهم ، وازدادت أمواله ، وكثر أتباعه لأنه كان يرسل أصحابه إلى المناطق القريبة لمراقبة الطرق ، وإرشاد القوافل وأخذ إتاوات الطريق منها ، كما فرض الإتاوات على الأثرياء فى كل المدن ومنها كان ينفق على متطلبات العيارين وتسليحهم(٣١) ، وفضلاً عن ذلك كان ينفق كل ما يملكه أو ما يحصل عليه بسخاء على أقاربه وأصحابه مما كان له أبلغ الأثر فى احترام يعقوب وتقدمه على زملائه فى كل ما يقومون به(٣٢) .

### ٢ ـ جهود يعقوب بن الليث فى توطيد سلطان الصفاريين :

شهد عهد الصفاريين فى بدايته عدة انتصارات تغلب فيها يعقوب بن الليث على الخوارج والأتراك المتاخمين لسجستان ، ولم تكن الحروب التى دارت بين يعقوب بن الليث والأتراك أمرا سهلاً لأنهم كانوا يتمتعون بوفرة الجند والعتاد والأفيال ، وكان يعقوب يعى تلك الحقيقة ويقول : « إذا أنا استرحت فإنهم لن يدعونى أستريح فى مكانى »(٣٣) ، وكان هؤلاء الأتراك يعرفون بالدرارى ، ويقيمون فى جبال سجستان ويخضعون لقائدهم رتبيل

(٣١) باستانى باريزى : يعقوب بن الليث ، ص٣٠ .
(٣٢) الكرديزى : زين الأخبار ، ص٥ .
(٣٣) باستانى باريزى : المرجع نفسه ، ص١٠٢ .

الكبير ، ولم يكن أمام يعقوب سوى التخلص من هذا القائد حتى يضمن السيطرة على الأقاليم فأعد يعقوب مؤامرة لتحقيق ذلك ، فأرسل إلى رتبيل يعرض عليه الصلح وتعيين مكان للاجتماع ، وأمر يعقوب أصحابه بإخفاء دروعهم تحت ملابسهم ، ووضع سيوفهم تحت أباطهم ، وقاموا بربط الشيلان على سروج الخيل ، وأدلوها من الخلف لمزيد من الإخفاء عن أعين رجال رتبيل . وفى المكان المحدد أرسل يعقوب ممثلا شخصيا عنه ، يخبره أن يعقوب فى طريقه إليك فجلس ملك كابل على عرشه المصنوع من الذهب الخالص ، يحمله اثنا عشر رجلا كعادتهم فى التنقل من مكان لآخر(٣٤)، وتقدم يعقوب مع جماعته ببطء حتى أصبح أمام رتبيل ، فانحنى كأنه يريد تقبيل قائم العرش ، وهناك أشار إلى أصحابه بإشارة متفق عليها ، فهجم رجاله الشجعان من مهرة المبارزين بالسيوف على أحراس رتبيل وجنده ، فى الوقت الذى أخرج يعقوب رمحًا من خلف ظهره وهجم على رتبيل وطعنه فى صدره طعنة نفذت من ظهره ، فلما رأى ذلك جند رتبيل، ولوا فارين تاركين كثيراً من الغنائم التى وقعت فى يد يعقوب(٣٥) .

أما الخوارج فقد تلقوا درساً قاسيا من يعقوب ، ففى سنة ٢٥١هـ/ ٨٦٥م قام عمار الخارجى بجمع جيشه فى مدينة « نِيشَكْ » إحدى مدن سجستان وذلك فى محاولة للتخلص من يعقوب بعد أن علا شأنه وازدادت نفوذه ، لكنه فوجئ بيعقوب وأصحابه فوق رؤوسهم ، مما أربك صفوفهم ، ولاذ منهم عدد كبير بالفرار، فلما رأى ذلك زعيمهم عمار ، قتل نفسه ، واحتزت رأسه وأحضرت إلى سجستان ، وعلقت على أهم بواباتها وهى بوابة الطعام

---

(٣٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص٣٣٨ .

(٣٥) باستانى باريزى : يعقوب بن الليث ، ص١٠٤ .

فوق شرفة البرج ، وفى عام ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م قام صالح بن حجر بإعلان العصيان فى برج القلعة وتحصن هناك ، إلاّ أنه فوجئ بيعقوب بن الليث وأصحابه، وبعد بضعة أيام من القتال، أدرك صالح بن حجر أنه لا طاقة له بمحاربة يعقوب فانتحر مثلما فعل عمار من قبل ، فألقى الجنود جثته من أعلى برج القلعة، وطلبوا الأمان لأنفسهم ، فأمنهم يعقوب واستولى على القلعة فى نفس العام ، ومنذ ذلك التاريخ دانت البلاد ليعقوب[٣٦]، واعترف جيرانه بحكومته ، ودانوا له بالطاعة وأنفذوا إليه الهدايا ، وقام يعقوب بتعيين عماله على الأراضى الخاضعة لسلطانه[٣٧]، وتوافد الشعراء على بلاطه يمدحون انتصاراته على الخوارج والأتراك ، منها ما قرأه محمد بن وصيف :

أيها الأمير الذى يخضع له كل أمراء العالم الخاصة والعامة جميعًا ، عبيد له وأسرى وموالى وخدام ، وجاء رتبيل إلى الحرب فهزم شر هزيمة ، وتمزق جيشه وأصبح هباء وحطاما ، وقد أرادك عمر عمار حينما تبرأ منه ، وأصبح سيفك وسيطا بين الضوارى والأنام ، وقد أضيف عمر عمار لك ، فعش مثل نوح ، لأن جسده فى آكار[٣٨] ورأسه على باب الطعام[٣٩] .

وقال الشاعر محمد بن مخلد فى هذا المعنى :

---

(٣٦) نظام الملك : سياست نامه ، ص٥١ .

(٣٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٢ ، ص٣٣٨ .

(٣٨) آكار والطعام : اسمان لبابين من أبواب المدينة .

(٣٩) باستانى باريزى : يعقوب بن الليث ، ص١٢٠ ـ ١٢١ .

لم تلد حواء ولم ينجب آدم إلا .·. طباع الأسد وجرأته من سجاياك

وسيفخر عمار يوم القيامة .·. ويقول أنا الذى سفك يعقوب دماءه

يرجع السبب فى هذه الانتصارات إلى طاعة الجند وولائهم ليعقوب وقوة شكيمتهم ، فقد كانت سياسة يعقوب مع جنده سياسة لم يسمع بمثلها فيمن سلف من الملوك من الأمم الغابرة من الفرس وغيرهم ، فحسن انقيادهم لأمره واستقامتهم على طاعته ، لما كان قد شملهم من إحسانه، وأغدق عليهم من بره ، وملأ قلوبهم من هيبته ، وكان من سنته للقواد والرؤساء والعظماء عنده مراتب فى الدخول إلى حضرته ، بحيث تقع عينه عليهم ، ويرى مداخلهم ، فيمرون إلى خيمة مضروبة بحيث لا يرى هو موضعها ، لكنه يرى مداخلهم إليها ومخرجهم منها ، فمن احتاج إليه منهم ، واحتاج إلى كلامه أو أمره أو نهيه دعاه فأمره[٤٠].

تطورت تطلعات يعقوب إلى التوسع على حساب الطاهريين فاتجه إلى هراة سنة ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م ، واستولى عليها بعد أن تغلب على محمد بن أوس عاملها من قبل الطاهريين ، وحمل أسرى الطاهريين إلى سجستان وأنفذ إلى الخليفة يخبره بانتصاراته، فأرسل إليه المعتز أن أطلق سراحهم ، فأطلقهم وتخلى عن هراة، وأرسل هدية إلى الخليفة عبارة عن نموذج مصغر لمسجد من الفضة ، ودواب وثياب فاخرة[٤١].

وامتد نفوذ يعقوب بن الليث إلى « بوشنج » وتطلع للاستيلاء على كرمان وفارس فكتب إلى الخليفة المعتز أن يوليه عليهما ، وكان على بن

---

(٤٠) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٤ ، ص١٤١ .

(٤١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٢ ، ص٤١٢ .

الحسين بن قريش ، أحد عمال الطاهريين قد أنفذ إلى الخليفة طالبًا الولاية على كرمان أيضًا لمعاونة الخلافة فى ضبط الأمور هناك ، لضعف الطاهريين وقلة حيلتهم ، مما أثلج صدر الخليفة ، فبعث بموافقته على طلب على بن الحسين ، وأنفذ فى الوقت نفسه إلى يعقوب مرسومًا بتوليته(٤٢)، ويبدو أن الخليفة كان مضطرا لذلك على الرغم أن ذلك قد يؤدى إلى تهديد حلفائه الطاهريين، وذلك حتى يتجنب قدوم الصفاريين إلى حاضرة الخلافة نفسها(٤٣).

من ناحية أخرى تطلع يعقوب للاستيلاء على هراة مرة أخرى وكان حاكمها آنذاك هو حسين بن عبد الله بن طاهر من أسرة الطاهريين ، فلما تم ليعقوب توطيد سلطانه على الأتراك والخوارج اتجه إلى هراة بعد أن عين داود بن عبد الله ـ أحد العيارين ـ خليفة له على سجستان ، واتجه شمالا نحو المدينة التى تقع فى أحضان الجبل ويخترقها نهر هراة ، ولها قلعة حصينة ، فتحصن بها حسين بن عبد الله الطاهرى وأمر بملء الخنادق بالمياه ، والتأكد من تخزين المواد الغذائية ، وملء الخزانات بالمياه بما يكفى جندها المتحصنين بالقلعة ، وبعد أن استمر الحصار لمدة طويلة تم القبض على حاكمها الطاهرى ، ثم اتجه يعقوب وقواته إلى بوشنج لمحاربة إبراهيم ابن الياس وترك أخاه على بن الليث مع الأسلحة والأسرى فى هراة، فلما التقى الطرفان فى بوشنج منى إبراهيم بن إلياس وجيشه بهزيمة ساحقة ، وولى منهزما مع بقايا جيشه إلى نيسابور للقاء حاكم خراسان محمد بن طاهر وقال له : « لا يمكن القتال مع هذا الرجل ( يعقوب ) لأن له جيشا مخيفا

---

(٤٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص٣٤٠ .

(٤٣) نظام الملك : سياست نامه ، ص٥١ .

لا يخشى جنوده القتل ويحاربون باندفاع وإقدام ، ولا عمل لهم سوى الضرب بالسيف ، كأنما ولدوا من بطون أمهاتهم يحاربون ، وقد اجتمع عليه الخوارج أجمعين ، يطيعون أوامره ، فمن الصواب استمالته حتى يمكن بذلك دفع شره وشر الخوارج ، فهو رجل جاد وله عادات الملوك وطباع الغزاة،[٤٤] فلما وقف حاكم خراسان على أحوالهم ، عزم على استمالة يعقوب فكتب له منشورا بولاية سجستان وكابل ، فضلا عن كرمان وفارس[٤٥]، وأرسل إليه الخلع وقيل فى ذلك البيتان التاليان :

ملك من آل مصعب فى خراسان .·. طاهر وطلحة وعبد الله

ثم طاهر ومحمد الثانى الذى .·. أعطى ليعقوب العرش والتاج

وكان محمد بن طاهر يريد الانتصار بهذه الحيلة كى يستغل غياب يعقوب عن سجستان ويستولى عليها لاعتقاده أن يعقوب سيتوجه مباشرة إلى كرمان ، وبذلك يكون محمد بن طاهر قد تصالح مع يعقوب وحوله عن خراسان ، وشغله بصحارى كرمان وفارس ، غير أن هذه الحيلة لم تنطل على يعقوب الذى اتجه إلى سجستان وكتب إلى الخليفة المعتز أن يوليه على البلاد التى تم له الاستيلاء عليها .

أرسل الخليفة المعتز بالله برسالة إلى يعقوب فى حاضرته زرنج فلما وصل مبعوث الخليفة وقابل يعقوب قال له هذه رسالة أمير المؤمنين فقبلها، ولكنه لم يفعل لأنه أدرك أن رسالة الخليفة خاصة بالشفاعة للأسرى الطاهريين ، إلا أنه استجاب لطلب الخليفة وأطلق سراحهم[٤٦]، وأرسل

(٤٤) باستانى باريزى : يعقوب بن الليث ، ص١٥٤ .

(٤٥) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٤٣ .

(٤٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص٣٤٠ .

بهدايا جليلة للخليفة ، وطلب إليه أن يوليه كرمان ، وفى الوقت نفسه بدأ بتنظيم الشئون الداخلية وإعداد العدة للحملة الكبرى الثالثة .

لما علم على بن حسين بن شبل قريش حاكم فارس أن محمد بن طاهر كتب منشورا باسم يعقوب بن الليث لحكم كرمان وفارس ، أرسل إلى الخليفة المعتز كتابا أشار فيه إلى ضعف الطاهريين وأنهم لن يستطيعوا جمع خراج كرمان ، وطلب إلى الخليفة أن يرسل له تفويضاً بحكم كرمان(٤٧)، وعلى الرغم من عدم الوفاق بين على بن حسين والمعتز فإن الأخير وعده بذلك ، فلما وصلت إليه رسالة واليه على خراسان محمد بن طاهر يخبره أنه منح كرمان ليعقوب ، لم ير الخليفة حاجة للرجوع فى أحد القرارين ، بل إنه وجدها فرصة طيبة للإفادة من الحرب التى قد تقع بينهما لصالح الخلافة فى نهاية الأمر ، وتوكيداً لوعد محمد بن طاهر ، أنفذ الخليفة إلى يعقوب بن الليث منشوراً يوليه فيه كرمان رسمياً ، وكان الهدف واضحا وهو إضعاف كل من على بن حسين ويعقوب بن الليث ، وبخاصة أن على ابن الحسين حاكم فارس كان قد تلكأ فى إرسال الخراج إلى الخلافة ، وهو يعد أحد مظاهر الولاء والطاعة للخليفة العباسى فى بغداد.

أما خطة يعقوب فكانت ضمان الاستيلاء على كرمان أولاً قبل أن يتجه للاستيلاء على أملاك الطاهريين فى خراسان ، وذلك حتى لا يطعن من الخلف ، ولم ينتظر يعقوب طويلا فقام بترتيب العاصمة وعين أحد قواده الأوفياء من العيارين ، وهو عزيز بن عبد الله ليخلفه وأعطاه جميع الصلاحيات ، ثم قاد جيشه غربا نحو كرمان وذلك فى ذى الحجة ٢٥٤هـ/ نوفمبر ٨٦٨م(٤٨)، وكان عبوره الصحراء أمراً بالغ الصعوبة حيث كان

(٤٧) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٩ ، ص٣٨٢ .

(٤٨) الطبرى : المصدر نفسه ، جـ٩ ، ص٣٨٤ .

عليه أن يقطع مسافة ٨٠ فرسخا نحو بم ، ثم ٥٠ فرسخا أخرى من بم إلى كرمان، وكان الطريق نفسه محفوفا بالمخاطر لأن عبور الصحراء كان لا بد أن يتم فى الليل لتجنب الرياح المحرقة نهارا ، كما أن رؤية النجوم تسهل الاستدلال على الطريق ، فضلاً عن أن رياح النهار كانت تأتى محملة بالأتربة مما تجعل الرؤية قد تنعدم تماما .

استطاع يعقوب وقواته عبور الصحراء الفاصلة بعد عناء ومشقة فلما وصل إلى بم ، وجد حاكمها إسماعيل بن موسى قد تحصن فى قلعتها التى تقع على قمة جبل مرتفع ، ولها برج عظيم وتضم سوقا وحماما ومسجدا وبها كل مرافق الحياة ، كما توجد بها بئر عميقة لإمداد القلعة بالماء[٤٩] . دارت المعارك الضارية بين يعقوب وقوات إسماعيل بن موسى ، والتى استبسل فيها جند يعقوب حتى وقع إسماعيل فى الأسر وقتل كثير من جنوده ، ولما تم له الاستيلاء عليها يمم شطره نحو كرمان ، فلما اقترب منها أرسل على بن حسين برسالة إلى يعقوب بن الليث : « إذا كنت تريد كرمان فهى وراء ظهرك وإذا كنت تريد فارس فابعث برسالة إلى الخليفة كى يستدعينى وأنا مستعد للعودة ، فإن العمل دون أمر الخليفة ليس سلوكا إسلاميا »، فأجابه يعقوب : « إن معى أمرا من الخليفة لا استطيع أن أعرضه إلا إذا دخلت إحدى المدن ، فليخرج على بن حسين من شيراز، وإلا فإن السيف يحكم بيننا ، وموعدنا فى ربوع سنجان »[٥٠]، التى تقع على بعد ٣ فراسخ من شيراز ، وبعث أصدقاء يعقوب فى شيراز بكتاب أخبروه فيه أن على بن حسين لن يترك شيراز إلا بناءً على كتاب وأمر من

---

(٤٩) باستانى باريزى : يعقوب بن الليث ، ص١٢٩ .

(٥٠) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٩ ، ص٣٨٥ ـ ٣٨٦ .

الخليفة ، أما على بن حسين فقد استخدم تعاليم الإسلام ــ أى الامتثال لطاعة أولى الأمر ــ ذريعة لتأليب الناس على طاعة يعقوب الذى مضى فى طريقه حتى تمكن من هزيمة على بن حسين وجيشه ، ودخل كرمان التى استيقظ أهلها ليجدوا ثلاثة مناشير صادرة من الخلافة العباسية بولاية كرمان أحدها لعلى بن حسين ، والثانى ليعقوب بن الليث ، والثالث لمحمد بن طاهر الوالى الأصلى فى خراسان(٥١) .

لم يكن أمام يعقوب بن الليث سوى أن يضع نهاية لشيراز بالاستيلاء عليها ليحكم قبضته على فارس، ويقضى على غريمه على بن حسين الذى كان يقول له : « يابن الصفار ، من الأفضل لك أن تتحدث عن القدور والأباريق والقصدير ، بدل قيادة الجيوش والدخول فى الحرب »(٥٢)، لكن يعقوب لم يلتفت إليه وأعد العدة مع أخيه عمرو بن الليث لمحاربة على بن حسين ، وكان عمرو قد أمر فرقته التى يقودها بحمل القرب الفارغة على الجمال ، ولم يكن أحد يعلم سبب ذلك ، حتى اعترضهم نهر فأمرهم عمرو بملئ القرب بالحصى والرمال وإلقائها فى النهر حتى تكون جسرا يعبر عليه الجيش(٥٣)، ودارت المعارك بين جند يعقوب وجند على بن حسين حول شيراز ، فانتهت بهزيمة على بن حسين وجيشه ، الذى ولى هاربا نحو الأهواز ، غير أن على بن حسين أسر وأحضر إلى يعقوب ، الذى أمر صاحبه بوضعه فى السجن ودخل يعقوب شيراز منتصراً ليلاً ، وفى الصباح أعطى الأمان للناس(٥٤) على أن يفتحوا الأسواق معلنًا انتهاء حالة

---

(٥١) باستانى باريزى : يعقوب بن الليث ، ص١٢٦ .

(٥٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص٤٥١ .

(٥٣) ابن خلكان : المصدر نفسه ، جـ٥ ، ص٤٥٢ .

(٥٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص٣٤١ .

الحرب ، وأمر الخطيب أن يقرأ الخطبة باسم الخليفة المعتز وأرسل إلى الخليفة كثيرا من الهدايا(٥٥) ، واستغرقت حملة يعقوب فى بلاد فارس خمسة أشهر وعاد إلى كرمان فى جمادى الأولى ٢٥٥هـ/ أبريل ٨٦٩م، ثم سار من كرمان عائداً إلى سجستان فى شوال ٢٥٦هـ/ سبتمبر ٨٧٠م(٥٦).

لما ولى المعتمد على الله الخلافة ، تغيرت سياسة الخلافة نحو الصفاريين بعد أن أرسل الخليفة منشورا إلى محمد بن طاهر بولاية خراسان وضم إليه سجستان وما حولها ، بينما عهد بفارس وكرمان لمحمد ابن واصل التميمى ، وقد أدرك يعقوب بن الليث أن هذا المنشور يعد بمثابة تحريض للطاهريين عليه ، وبخاصة أن الخليفة أمر أحد أتباعه وهو محمد ابن واصل التميمى من ناحية أخرى بالقضاء على يعقوب بطريقة الحيلة والدهاء ، على أن يعقوب كان يدرك الأخطار التى تحدق به ، فقام بتنظيم أمور سجستان ، وتوجه إلى فارس لمحاربة محمد بن واصل ، الذى طلب الأمان خشية هزيمته ، فأمنه يعقوب ثم ما لبث أن عينه على فارس بمنشور خاص من سجستان ، التى عاد إليها للاستعداد للقاء الحاسم مع الطاهريين فى خراسان .

كان يعقوب على يقين أنه لا أمان ولا استقرار طالما بقيت أسرة الطاهريين فى خراسان والمناطق المجاورة ، وأنه لا بد من اقتلاعهم من جذورهم ، والإطاحة بهم ، وعلى الرغم من أن محمد بن طاهر كان فى الظاهر يساير يعقوب ، ويمنحه المناشير بحكم البلاد التى تم له الاستيلاء عليها ، فإنه كان يراسل الخليفة العباسى ويدس ليعقوب ، وفى الوقت نفسه جعل من خراسان موطنا للخارجين والثائرين على يعقوب بن الليث أمثال

---

(٥٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص٤٥٢ .

(٥٦) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٢٩٤ .

عبد الله بن محمد حاكم هراة السابق(٥٧)، وأحمد بن فضل السجستانى الذى التجأ إلى بلاط محمد بن طاهر معلنا الخروج على طاعة يعقوب بن الليث، وطلب يعقوب من الحاكم الطاهرى تسليمهما له لكنه رفض(٥٨)، واتخذ يعقوب من ذلك ذريعة للقضاء على الطاهريين فاتجه نحو نيسابور ، فلما علم بذلك أحمد السجستانى استولى عليه الرعب وطلب مقابلة محمد بن طاهر لكن الحاجب قال له : «الأمير نائم ولا يمكن مقابلته»، فقال السجستانى : « حسناً ولكن شخصاً سيأتى ويجبره على الاستيقاظ»(٥٩). وسار نحو الرى .

لما علم محمد بن طاهر باقتراب يعقوب بن الليث وجيشه من نيسابور متظاهراً بتعقب الهاربين السجستانيين ، عقد الأمير الطاهرى مجلسا مع كبار رجال دولته للتشاور ، وخاصة أن يعقوب كان قد أرسل إليه برسالة «إنى قادم للسلام عليك»، وقد أشار أحد السجستانيين على محمد بن طاهر ، ليس من الصواب أن يجىء يعقوب ويسلم ، فاجمع الجيش لمقاتلته ، فقال محمد بن طاهر : « إننا لا نستطيع قتاله لأننا إذا حاربناه ، فإن النصر سيكون له وسيقوم بتعذيبنا »، فلم يكن محمد بن طاهر مستعداً للحرب ، ولذلك تفرق اللاجئون واتجهوا إلى دمغان ، إلاّ أن جيش يعقوب كان قد ضرب خيامه أمام أبواب المدينة(٦٠)، وقد تملك الرعب قلوب عائلة الطاهريين ، فقام أعمام وقواد محمد بن طاهر أنفسهم بالالتجاء إلى يعقوب ، وحفظا لماء الوجه ، أرسل محمد بن طاهر برسالة إلى يعقوب حملها إبراهيم بن صالح المرزوى جاء فيها : « إن كنت قادماً

(٥٧) عباس إقبال : إيران بعد الإسلام ، ص١٠٨ .

(٥٨) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٢٩٥ .

(٥٩) باستانى باريزى : يعقوب بن الليث ، ص١٥٧ .

(٦٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص٣٦٨ .

بأمر أمير المؤمنين فأظهر العهد والمنشور كى أسلم لك الولاية وإلاّ فعد »، فلما عرف يعقوب محتوى الرسالة ، أخرج سيفه من تحت سجادته وقال : «هذا عهدى ولوائى» .

وفى اليوم التالى ذهب محمد بن طاهر بنفسه لمقابلة يعقوب ، وبعد المقابلة أشار يعقوب إلى أحد قواد جيشه من العيارين وهو عزيز بن عبد الله بإشارة متفق عليها ، فقبض عليه ومن معه من القادة ووضعهم فى القيود ، هكذا حقق يعقوب أهدافه الأصلية ، وهى الاستيلاء على خراسان والقبض على اللاجئين ، إذ كان يعتقد أن الطاهريين هم ألد أعدائه الذين يشكلون الخطر الرئيسى على استقلاله ونفوذه ، وأنهم أداة الخلافة فى ضرب القوى الناشئة والثورات المحلية ، بل إن الطاهريين كانوا قد ثبتوا أقدامهم بحيث إن الخلفاء كانوا يجدون أنفسهم مضطرين لتجديد توليتهم على خراسان وما يتبعها ، وكان يعقوب يعتبر أن قصر الأمير محمد بن طاهر ومدينة نيسابور هما الملجأ والملاذ الوحيدان أمام أعدائه ، فكان لا بد له من القضاء على هذه البؤرة التى تقف حجر عثرة أمام استقلاله وامتداد نفوذه .

مما هو جدير بالذكر أن الطاهريين أنفسهم قد منحوا يعقوب بن الليث الفرصة ، لكى يصول ويجول فى ممتلكاتهم بسبب الضعف والهوان الذى سرى فى أوصال الدولة الطاهرية من جراء النزاع والتنافس بين الأمراء الطاهريين على السلطة والمال ، فضلا عن أن محمد بن طاهر عرف بحب الملذات والشراب واللهو والطرب ، مما أثار أفراد عائلته ضده ، هذا إلى جانب ضيق أهل نيسابور وخراسان من ظلم هذه الأسرة ، مما أتاح الفرصة للأعداء والثائرين فرصة الاستيلاء على ثغور وأطراف مملكتهم[٦١] ، من

---

(٦١) باستانى باريزى : يعقوب بن الليث ، ص١٦٠ .

أمثال الحسن بن زيد العلوى ، وأحمد بن عبد الله الخجستانى ، ويعقوب بن الليث نفسه الذى تعد حركته هى الأكثر نجاحا فى مواجهة الطاهريين ، لدرجة أن أعيان حكومة الطاهريين أنفسهم وأولى الأمر كانوا يتقربون من يعقوب ويرسلون له الرسل يستعجلونه للقدوم لإنقاذ ثغر خراسان الكبير(٦٢) .

لقد بدا محمد بن طاهر كأنه يسير إلى قدره بقدميه ، فقال لأعوانه : «إننى ذاهب لرؤية يعقوب ، ولكن يجب أن تعلموا أن هذا الرجل لا يحمل أمراً من الخليفة يتيح له الحضور إلى نيسابور »، وفى اليوم التالى عرف أعيان نيسابور بنبأ القبض على محمد بن طاهر بدلا من نبأ عودته ، فاجتمعوا وتشاوروا ، ونادى بعضهم بالتصدى لهذا الرجل القادم من سجستان ولا يحمل تفويضًا من الخليفة ، لكن جنود يعقوب كانوا فى ذلك الوقت ينسابون داخل المدينة ويحتلون أسوارها وقلاعها ، وفى تلك اللحظات أرسل يعقوب مجموعة من المنادين يدعون الناس ليجتمعوا فى اليوم التالى ليعرض عليهم تفويض الخلافة ، فلما اجتمعوا أمام قصر الإمارة ، وجدوا فى مواجهتهم أكثر من ألفى فارس من جند يعقوب ، يحملون سيوفهم ويلبسون دروعهم ، فضلاً عن قضب من الذهب والفضة ، ولما اصطف الجميع أمر يعقوب أعيان نيسابور وأشرافها بالجلوس ، والتفت إلى حاجبه وقال له : «أحضر منشور أمير المؤمنين حتى أقرأه عليهم »، فأحضر ربطة جميلة من القصب المصرى الأبيض ، ثم فكها وأخرج منها سيفا يمانيا براقا، وضعه أمام يعقوب ، فظن الجميع أن يعقوب يريد بهم سوءاً ، لكنه هدأ من روعهم، وقال : « هذا عهدى وعهد أمير المؤمنين فكلاهما من نسيج واحد »(٦٣) .

---

(٦٢) البيهقى : تاريخ البيهقى ، ص٢٤٧ .

(٦٣) البيهقى : المصدر نفسه ، ص٢٤٨ .

وأردف قائلا : «لقد أقمت العدل بين خلق الله تبارك وتعالى ، وأخذت أهل الفسق والفساد ، وإذا لم أكن هكذا لم يمنحنى الله النصر كما منحنيه حتى الآن . فلا شأن لكم بمثل هذه الأمور وعودوا للطريق القويم»[٦٤] .

على الرغم من قيام كثير من أصحاب محمد بن طاهر وأعوانه بالتقرب من يعقوب ، وخدمته كل بطريقته فإن بعضهم لم يهتم بذلك ، ومن بينهم إبراهيم بن أحمد ، فاستدعاه يعقوب وقال له : « إن كل الأعيان قد جاءوا إلىّ ، فلماذا لم تأت أنت؟ » ، قال إبراهيم : « أيد الله الأمير ليس لى بك سابق معرفة حتى أحضر إليك أو أراسلك ، كما لم أكن عائبًا على الأمير محمد حتى أعرض عنه ، وأنا لا أقبل خيانة سيدى حتى أرد إحسانه وإحسان أبيه بالغدر » ، فأعجب بموقفه ، وقال له : « يجب الاحتفاظ بعظيم مثلك » ، وصادر أموال الآخرين الذين ذهبوا للتقرب منه وأمر بوضعهم فى القيود وإرسالهم إلى قلعة بم بكرمان ، أما محمد بن طاهر فقد بكى وقال عن السبب فى زوال ملكه : « الشرب فى الليل والنوم بالنهار ، وإسناد المناصب لمن لا يستحقها » ، وتم القبض عليه وإيداعه فى سجن سجستان الكبير[٦٥] وبذلك زالت دولة الطاهريين فى شوال ٢٥٩هـ/ يوليو ٨٧٣م بعد أن حكمت خراسان نحو نصف قرن[٦٦] .

مما تجدر الإشارة إليه أن الأمير الطاهرى لم يبد مقاومة تذكر فى مواجهة الجيش الصفارى ، واستسلم هو وأتباعه ليعقوب فى سهولة ،

---

(٦٤) باستانى باريزى : يعقوب بن الليث ، ص١٦٤ .

(٦٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٩ ، ص٥٠٧ .

(٦٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص٣٦٨ .

وضمانا للقضاء على الطاهريين ، قام يعقوب بالقبض على بقاياهم والزج بهم فى السجون(٦٧) .

### ٣ ـ علاقة الصفاريين بالخلافة العباسية :

أنفذ يعقوب بن الليث بكتاب إلى الخليفة العباسى فى سامراء يطلب إليه توليته على المدن والأقاليم التى استولى عليها ، ويبرر له ما قام به من أجل زيادة سلطة وسيطرة الخلافة على الأقاليم التابعة لها بعد أن دب الضعف فى أوصال الطاهريين ، ولم تعد لهم القدرة على القيام بهذه المسئولية ، غير أن هذه المراسلات لم تؤد إلى إرضاء الخليفة ـ الذى رد رسل يعقوب وأرسل إليه كتاباً جاء فيه : « إن أمير المؤمنين لا يقر يعقوب على ما فعل ، وأنه يأمره بالانصراف إلى العمل الذى ولاه إياه ، فليرجع فإنه إن فعل كان من الأولياء ، وإلا لم يكن له إلاّ ما للمخالفين »(٦٨) .

لم يكترث يعقوب بما جاء فى رسالة الخليفة وراح يوطد سلطانه على ما استولى عليه من أقاليم ، فضلا عن مد سلطانه على الأقاليم المتاخمة حتى بلغت حدوده العراق مقر الخلافة العباسية ، وذلك أنه سار إلى طبرستان وطارد الحسن بن زيد إلى أرض الديلم ، ودخل يعقوب سارية(٦٩) ، وكتب إلى الخليفة بما حققه من انتصارات ، كما اتجه إلى فارس التى كان ابن واصل قد استولى عليها بعد تغلبه على ابن مفلح قائد جيش الخلافة ، وانتصر يعقوب على ابن واصل واستولى على فارس وضمها إلى أملاكه ، ورتب الأمور فيها وأعاد إليها النظام والأمان(٧٠) .

---

(٦٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص٣٦٨ .
نظام الملك : سياست نامه ، ص٥١ .

(٦٨) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص٧ ـ ٨ .

(٦٩) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٥ ، ص٣٧١ .

(٧٠) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٩ ، ص٣٨٤ ـ ٣٨٥ .

لما رأى الخليفة المعتمد من انتصارات يعقوب ، وأيقن أن القوة الصفارية باتت لها الزعامة ، أنفذ إسماعيل بن إسحق إلى يعقوب بن الليث برسالة تعبر عن رضاء الخلافة عن الصفاريين، وتوكيداً أطلق المعتمد أسرى الصفاريين الذين تم القبض عليهم لما قام يعقوب بحبس محمد بن طاهر .

لما أتم يعقوب بن الليث فتح نيسابور والقضاء على ملك الطاهريين فى خراسان ، بقى فى الحاضرة حتى علم أن عبد الله بن محمد السجزى سار من دامغان إلى جرجان وتحالف مع الحسن بن زيد العلوى ، فعول على غزو جرجان على الرغم من مخاطر عبور طبرستان وبخاصة الغابات الشمالية، وأنفذ رسالة إلى الحسن بن زيد يطلب منه تسليم عبد الله السجزى وأخوته ، وهم أعداء يعقوب الذين لجؤوا إلى جرجان ، لكنه لم يرسل السجزيين ، فقام على رأس جيشه متوجها إلى جرجان فى المحرم ٢٦٠هـ/ أكتوبر ٨٧٣م، وفى الوقت نفسه استطاع يعقوب أن يستميل أحد أعوان الحسن بن زيد واسمه « سكنى » وقد وعده يعقوب بولايتى جرجان واستراباذ، إذا خالف الحسن بن زيد وانضم إليه ، فسهل له تقدم جيشه إلى سارى .

ولما علم الحسن العلوى بمقدم يعقوب هرب مع عبد الله بن محمد إلى جبال الديلم ، فما كان من يعقوب إلاّ أن تعقب الحسن بن زيد واستمرت المطاردة لمدة شهرين حتى وصل إلى كَجُورْ ، فلما أنهك جيشه أراد العودة إلى سجستان، لكنه واجه غضب الطبيعة الذى لا يقهر ، فتعرض جنده لهطول أمطار مازندران الغزيرة وما ترتب عليها من السيول ، التى لم يتعرضوا لمثلها من قبل بعد أن استمرت تنهمر أربعين يوما دون انقطاع(٧١)، مما أعاق انتقال الجيش من مكانه(٧٢)، ولم يقتصر الأمر على المطر ، بل

---

(٧١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص٣٧١ .

(٧٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٩ ، ص٥٠٩ .

تعرضت المنطقة التى يخيم فيها الجيش لزلزال مدمر ، دفن نحو ألفين من جنود يعقوب تحت الطين والتراب ، مما كان له أسوأ الأثر فى معنويات يعقوب(٧٣) ، فاضطر للعودة إلى كجور التى وصلها منهمكا هو وأتباعه ، واتجه إلى آمل ، وهناك اكتشف أن أغلب جنده قد هلكوا فى هذه الحملة التى لم تؤت ثمارها ، ولم تحقق أهدافها .

من ناحية أخرى أرسل أهالى جرجان جماعة من أشرافهم إلى بغداد لمقابلة الخليفة يتظلمون من ظلم يعقوب وقسوته ، فغضب غضبا شديداً وأعلن استنكاره لما قام به يعقوب ، وأمر أن يلقى القبض على أصحاب يعقوب وغلمانه المقيمين فى ديوان الخلافة ببغداد ، وسجنهم وصادر أموالهم ، وأمر عبد الله بن عبد الله بن طاهر حاكم العراق أن يجمع حجاج خراسان وطبرستان وجرجان والرى ، ويقرأ عليهم منشور الخليفة بأن يعقوب لم يعد حاكما على خراسان ، ففعل عبد الله وأرسل ثلاثين نسخة من المنشور إلى سائر الأنحاء ليطلع عليه الناس(٧٤) ، وكان مضمونه «لقد كنا منحنا يعقوب بن الليث ولاية سجستان ، والآن وقد ظهرت على وجناته علامات الطغيان فإننا نحكم بلعنه »، وأعلن أن يعقوب يعتبر كافراً واتهمه بالباطنية(٧٥) ، وادعى أنه قبل دعوة الباطنية ويريد أن يسىء إلى الدين

---

(٧٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص٤٦٤ .

(٧٤) ابن خلكان : المصدر نفسه ، جـ٥ ، ص٤٥٥ .

(٧٥) الباطنية : تطلق على طائفة من الشيعة تعتقد أن جميع جوانب الشرع ومنها القرآن الكريم لها معان باطنية غير ظاهرها ، وتقول بالتأويل فى القرآن والحديث، وكان شعارهم :

أنا باطنى باطنى باطنى ∴ حتى تموت أنت أيها الظاهرى

فعلى كل مؤمن أن يعارض ، وقد تأثر يعقوب كثيراً من أمر الخليفة ، وبدأت الكوارث تحيط به من كل صوب وحدب ، فبلغه أن أهل بخارى أسقطوا اسمه من الخطبة ، وأحلوا محله اسم نصر بن أحمد السامانى ، فضلاً عن خروج أحد أعوان الصفاريين المقربين على الحكم الصفارى وهو أحمد بن عبد الله الخجستانى(٧٦) ، الذى كان يفتخر دوما بأصله الوضيع وبأنه وصل بمجهوده إلى إمارة خراسان ، ويقول : « كنت يوما مكاريا فقرأت ديوان حنظلة البادغيسى وفيه » :

خذ الرفعة ولو كانت فى فم أسد كاسر .٠. فخاطر وخذها من فم الأسد

فإما العظمة والعز والنعمة والجاه .٠. أو واجه الموت وجها لوجه كالرجال

ويردف قائلاً : فدعانى داع فى نفسى جعلنى لا أرضى بأى شكل من الأشكال ، على الحال التى كنت فيها ، وبعت الحمير واشتريت خيلا ورحلت عن موطنى ، والتحقت بخدمة على بن الليث شقيق يعقوب بن الليث ثم استقر رأيى على الخروج على طاعة الصفاريين ، وكان قد اجتمع لى حوالى ألفين من الفرسان فجئت إلى نيسابور واستوليت عليها ، وأخذ أمرى فى الارتفاع حتى استوليت على خراسان كلها ، وكان السبب فى كل هذا هذين البيتين من الشعر ، لكنه لم يستطع مواجهة يعقوب بن الليث عند عودته إلى نيسابور فسلم له العاصمة ، واستأذن منه أن يعود إلى بلدته فوافق يعقوب ، لكنه قال : « أقسم بالله أن خروجه هذا خروج رجل طاغ ثائر ، وأعلن أن هذا آخر عهدنا به وطاعته لنا »(٧٧) .

---

(٧٦) كان مكاريا يبيع الحمير . السمرقندى : جهار مقاله ، ترجمة عبد الوهاب عزام ، يحيى الخشاب ـ اللجنة المصرية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦ ، المقالة الأولى ، ص١٣ .

(٧٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٨ .

لم يمض وقت طويل حتى قدم أحمد بن عبد الله الخجستانى نيسابور مع أتباعه ، وأخرج عامل يعقوب عليها وهو عزيز بن السرى واستولى عليها ، مستغلاً مسير يعقوب إلى سجستان لأنباء مقلقة وردت إليه من هناك[٧٨] ، وضرب الدراهم باسمه[٧٩] سنة ٢٦٢هـ/ ٨٧٦م[٨٠].

لما عاد يعقوب إلى سجستان ورأى أن حملته على جرجان قد باءت بالفشل ولم تحقق أهدافها فى مواجهة الحسن بن زيد العلوى ، حاول أن يسترضى الخليفة المعتمد العباسى ، بأن أرسل له رأس عبد الرحمن الخارجى الذى كان قد أصبح زعيما للمناوئين للخلفاء العباسيين فى المشرق، بعد أن جمع الخوارج من حوله وادعى الخلافة ولقب نفسه : «المتوكل على الله »، فسر الخليفة بجهود يعقوب فى توطيد سلطان الخلافة فى المشرق وأمر أن يطاف برأسه فى بغداد : « هذا رأس من ادعى الخلافة، قتله يعقوب بن الليث وأرسل رأسه »، ووجد المعتمد نفسه مضطراً ليرد على كتاب يعقوب بطريقة ودية ، وبخاصة أن حاكم فارس من قبل الخلافة محمد بن واصل أعلن هو الآخر العصيان ، وانتصر فى رامهرمز على الجيش الذى أرسلته بغداد إلى فارس بقيادة عبد الرحمن بن مفلح وطاشتمر للقضاء عليه ، فقتل طاشتمر وأسر ابن مفلح[٨١] وقد وجد يعقوب فى هذا الخطاب فرصة سانحة لاسترضاء الخليفة واستعادة فارس فعزم على

---

(٧٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص٤٥٥ .

(٧٩) Mitchiner, Michael : The world of Islam, Oriental Coins and their values, London 1977, P. 628 .

(٨٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص١٠ .

(٨١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٩ ، ص٥١٢ .

السير إليها بعد أن عين ابن عمه أزهر بن يحيى نائبا عنه فى سجستان ، واصطحب معه أسراه من القواد السابقين وهم على بن حسين بن شبل وأحمد بن عباس هاشم ومحمد بن طاهر .

لما اقترب جيش يعقوب من نُوبَنْدَجَانْ إحدى نواحى كازرون على مقربة من القلعة البيضاء إحدى قلاع فارس ، أرسل محمد بن واصل رسولا إلى يعقوب هو « بشير بن أحمد » ، فلما علم يعقوب بمقدمه استعمل الحيلة ، فأمر جيشه أن يبتعد كثيرا عن مخيمه ولا يظهر ، فلما وصل هذا السفير لم ير حول يعقوب سوى بعض صغار الغلمان، وقال يعقوب له : « لقد خرجت من سجستان على هذه الحال ولم أحضر جيشا ، ووصلت مع هذه القلة من الغلمان ليتأكد محمد بن واصل من صداقتى فيتحد معى ، فهو أعظم رجل فى وسط إيران وخراسان ، وليعلم أن أحمد بن عبد الله الخجستانى كان معى ثم تركنى، ولا سبيل إليه إلاّ أن يمدنى محمد بن واصل بجيش حتى أدركه وإلا سيخرج على أمر سجستان ويضيع كل شيء»[٨٢] .

فلما عاد الرسول إلى محمد بن واصل أخبره بعدم استعداد يعقوب وقال له : « إنك إذا هجمت عليه فإنك ستخلعه من الدنيا فى ساعة» ، فطمع محمد بن واصل وهاجم يعقوب بجيش متواضع غير مستعد ، والتقى الجيشان عند القلعة البيضاء ، وفى هذه اللحظة ظهر عشرة الآف من فرسان يعقوب وطوقوا مؤخرة جيش محمد بن واصل ، ولم يكد جيش ابن واصل يفيق من الصدمة حتى خسر كثيراً من جنده ، ثم توجه يعقوب إلى رَامَهُرْمُزْ ، فلما

---

(٨٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٢ ـ ٣ .
، باستانى باريزى : يعقوب بن الليث ، ص١٩٦ .

علم بذلك محمد بن واصل ولى هاربا سنة٢٦٢هـ/ ٨٧٦م[٨٣] ، ومن هناك أرسل يعقوب إلى الخليفة المعتمد يبشره بالنصر على محمد بن واصل ، فتلقى الخليفة رسالة يعقوب بالترحاب وأمر أخاه الموفق أن يرسل خلعة ليعقوب بن الليث ، ونادى فى التجار والحجاج والمسافرين إلى خراسان وطبرستان وجرجان وفارس وكرمان والسند والهند معلنا العفو عن يعقوب ، فضلاً عن ذلك منحه الرئاسة الفخرية بشرطة بغداد ، فوصل المبعوث إلى يعقوب فى رامهرمز وسلمه الرسائل والخلع والمنشور .

لما انتهت مراسيم الاستقبال ، أرسل يعقوب قائده عزيز بن عبد الله على رأس فريق من جيشه لمطاردة ابن واصل ، وتمكن القائد من القبض على ابن واصل ، فأركبوه بغلا وهو مقيد اليدين عارى الرأس وحملوه إلى يعقوب الذى استولى على خزائن القلعة التى كان يتحصن بها من قبل، وكان بها ما لا يحصى من أحمال الدراهم والدنانير والبسط ، والديباج ، والسلاح القيم والأوانى الذهبية ، والفضية ، فضلاً عن الإبل والبغال وخزائن الطعام .

على الرغم من العلاقات الودية التى سادت بين الصفاريين والخلافة العباسية وقتذاك ، فإن الأحوال سرعان ما تبدلت فوضع يعقوب بغداد نصب عينيه دون إدراك خطورة هذا العمل الذى هو مقدم عليه ، والواقع أن قوة يعقوب المتنامية وعلو شأنه أغرت الطامعين فى حاضرة الخلافة فى الاستعانة به للوصول إلى أغراضهم ، فكانت هناك مكاتبات بين الموفق طلحة أخى الخليفة وولى عهده وبين يعقوب للتآمر ضد المعتمد ، فضلا

---

(٨٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٩ ، ص٥١٦ .

عن قيام عبد الله بن الواثق بمقابلة يعقوب ودعوته للقدوم إلى بغداد والقضاء على المعتمد ، ومساعدته فى أن يلى عرش الخلافة ، وهكذا دعى يعقوب من بغداد نفسها للتوجه إلى الحاضرة ، أما السبب الرئيسى فقد كان نجاح يعقوب الخاطف الذى عاد عليه بأضرار جسيمة ، وكان أخطرها إصراره على السير إلى بغداد ، فلما أساء الخليفة الظن بيعقوب استدعى كبار رجال الدولة وأعلن لهم : « أعتقد أن يعقوب شق عصا الطاعة وهو قادم إلى هنا ، ولم آذن له فى الحضور إلينا وأمرته بالعودة فلم يرجع ، إذن فهو يحمل فى قلبه الخيانة ، ولهذا لا يجب الغفلة عن اتخاذ الحيطة »(٨٤) .

لما كان الخليفة العباسى يدرك مدى قوة يعقوب وجيشه عول على استخدام الحيلة ، وذلك بمحاولة استدعاء يعقوب للقاء الخليفة منفردا بدون سلاح ، ثم القضاء عليه بعد إيقاعه فى الفخ ، فأنفذ الخليفة المعتمد رسالة رسمية صادرة من ديوان الخلافة إلى يعقوب بن الليث يدعوه للقائه شخصيا لرؤيته وتقديره على خدماته ومما جاء فيها : « ولتعلم أننا نرضى بالخطبة لأننا من بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وتقوى أنت دينه لأن لك غزوات كثيرة فى ديار الكفر ... وأثر سيفك واضح على الكفار فى كل مكان ، وقد أصبح حقك واجبا على كل المسلمين وقد أمرنا أن يخطب لك فى الحرمين ... ونحن والمسلمون الآن عون لك حتى تعود الدنيا على يديك إلى دين واحد هو دين الإسلام »(٨٥) .

وبهذا استطاع الخليفة ومعاونوه من خداع يعقوب ، فتوجه يعقوب دون استعداد كامل صوب بغداد ، فوصل إلى عسكر كرم فى خوزستان ، ومن هناك أرسل رسالة إلى الخليفة يطلب إليه فيها منشوراً بحكم الولايات

---

(٨٤) نظام الملك : سياست نامه ، ص٥١ ـ ٥٢ .

(٨٥) باستانى باريزى : يعقوب بن الليث ، ص٢٠٦ .

التى وعده إياها من قبل ، بعد أن توجس يعقوب فى نفسه خيفة ، لكن الخليفة لم يرد على طلب يعقوب وأمر باستعداد الجيش للقاء يعقوب ، وأمر بلعنه بعد أن ظهرت على وجناته مظاهر العصيان والطغيان .

وتولى الموفق قيادة الجيش وسار به قرب دير العاقول شرق دجلة ، والتقى الجمعان ، فتقدم أحد قواد الخليفة صوب جيش يعقوب وخاطبهم بصوت مرتفع قائلاً : « يا أهل خراسان وسجستان ، إننا نعلم أنكم تطيعون أمر الخليفة وتقرأون القرآن ، وتؤدون فريضة الحج وتأمرون بالمعروف ، ولن يكتمل دينكم إلاّ بطاعتكم للخليفة ، وليس لدينا شك فى أن هذا الملعون (يعقوب) قد جركم إلى هنا ، وترون أن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واقف فى مواجهتكم ، فكل من يتمسك منكم بالدين المحمدى يجب عليه الآن أن ينفصل عن يعقوب وينضم للخليفة ... واعلموا أن يعقوب قد عصى وجاء ليقتلع بنى العباس ، ويأتى بخصومهم من الباطنية ، ويقضى على السنة ويظهر البدعة ، فمن منكم الآن يختار الجنة بدل النار وينصر الحق ، ويلوى وجهه عن الباطل ويكون معنا لا علينا »[٨٦] . ويبدو أن بعض أمراء خراسان قد تأثروا برؤية الخليفة وبيانه وارتدوا عن يعقوب ، ولحقوا بالخليفة ، وقالوا له : « لقد ظننا أنه قادم إليك طائعا مسلما ، ولكن لما بدت لنا مخالفته وعصيانه تركناه »[٨٧] .

لم يمض وقت طويل حتى حملت ميسرة يعقوب على ميمنة الموفق التى كان يقودها موسى بن بغا فكسرتها ، وقتل جماعة من أصحاب الموفق إلاّ أن الموفق ثبت وكشف رأسه وقال : أنا الغلام الهاشمى وحمل ومعه

---

(٨٦) باستانى باريزى : يعقوب بن الليث ، ص٢٠٩ .
(٨٧) نظام الملك : سياست نامه ، ص٥٢ .

عسكره على جند يعقوب ، واقتتلوا قتالا شديدا استمر حتى العصر، وعند الغروب تقهقر كثير من جند يعقوب ، وأصيب هو بثلاثة أسهم فى حلقه وفى يديه(٨٨) . وفى هذه الأثناء استطاع محمد بن طاهر الهرب من أسره وحمل إلى بغداد ، وأعطاه الخليفة منشوراً بولاية خراسان مرة أخرى(٨٩) .

وبعد أن منى يعقوب بالهزيمة ، وتفرق عنه جيشه ، سار إلى واسط ومنها عاد إلى خوزستان فى رجب ٢٦٢هـ/ ابريل ٨٧٦م بعد أن هلك كثير من جيشه ودوابه ، وجاءته أنباء مزعجة من نيسابور بأن أحمد بن عبد الله الخجستانى قد سيطر على الأوضاع هناك ، فزاد ذلك من مرارة الهزيمة ، مما كان له أسوء الأثر على صحته ومواجهة الأمور بعد أن ضعفت الروح المعنوية إلى أبعد حد .

على الرغم مما كان يعقوب يعانى منه وقتذاك فإنه لم يستفد من عرض صاحب الزنج الذى كان قد قام بثورة عارمة ضد الخلافة ، وأوشكت حركته أن تؤتى ثمارها، وكان العلوى البصرى ـ صاحب الزنج ـ قد أنفذ كتابا إلى يعقوب يعرض عليه فيه مساعدته فى إعادة الهجوم على بغداد ، لكن يعقوب استدعى كاتبه وأمره أن يرد على الرسالة رداً بليغاً مختصراً فكان الرد بسورة الكافرون : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾(٩٠)، وجاء ذلك فى نفس اليوم الذى منى فيه بالهزيمة (٩١) .

---

(٨٨) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص٣١٣ .

(٨٩) البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٤ ، ص٦١ .

(٩٠) القرآن الكريم : سورة الكافرون .

(٩١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٨ .

وكان يعقوب بن الليث يرى أنه لو تعاون مع الزنج فسوف تكون نهايته فى العالم الإسلامى ، لأنه سيصبح متهما بالزندقة والكفر وأنه من القرامطة والخوارج، ولأنه من ناحية أخرى كان يعتبر الزنج إباحيين ومخالفين للدين ، ولم يكن باستطاعته أن يمد يد الصداقة لأى عدو للإسلام وقال :

خراسان أحويها وأعمال فارس ∴ وما أنا عن ملك العراق بآيس

إذا ما أمور الدين ضاعت وأهملت ∴ ورثت فصارت كالرسوم الدوارس[٩٢]

على أن يعقوب بن الليث بدأ يعد جيشه لجولة ثانية مع الخلافة ، يتضح ذلك عندما وفد إليه رسول الخليفة يعاتبه عما بدر منه فى حق الخلافة ويثنيه عن مجرد التفكير فى إعادة الكرة ، وأن الخليفة «قد عفا عما بدر منك ويمنحك إمارة خراسان وتعود مسرعا إليها وتنشغل بها»[٩٣]، فلما انتهى يعقوب من سماع رسالة الخليفة ، أمر بأن يأتوه بقطعة من الخبز الجاف وبصلة ، ووضعوهما بجانب سيفه الذى كان موضوعا أمامه ، ثم قال للرسول: « إننى صفار وقد تعلمت هذه الصنعة عن أبى ، وكان طعامى خبز الشعير والسمك والبصل والكراث ، وحصلت على هذا الملك والثروة والنعمة عن طريق العيارة والشجاعة وليست ميراثا عن أبى أو عطاء منك ... وقد عقدت العزم على ألا أستريح حتى أقهر الخليفة ، فإذا مت فقد استرحت منك واسترحت منى ، وإن عوفيت فليس بينى وبينك إلا هذا السيف حتى آخذ بثأرى أو تكسرنى وأعود إلى هذا الخبز والبصل»[٩٤]، ثم لم يلبث أن توفى يعقوب فى جنديسابور بعد حكم دام إحدى عشرة سنة

---

(٩٢) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٤ ، ص٩٤ .

(٩٣) نظام الملك : سياست نامه ، ص٥٣ .

(٩٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٢١ .

(٢٥٤ ـ ٢٦٥هـ/ ٨٦٨ ـ ٨٧٩م)، ودفن بها بعد مرض دام ستة عشر يوما وبعد دفنه كتبوا على قبره البيتين التاليين [٩٥]:

ملكت خراسان واكتـاف فارس .·. وما كنت من ملك العراق بآيس

سلام على الدنيا وطيب نسيمها .·. إذا لم يكن يعقـوب فيها بجـالس

ولى عمرو بن الليث حكم الصفاريين بعد وفاة أخيه يعقوب بن الليث ورأى من مصلحة دولته أن يهادن الخليفة العباسى، فأرسل للمعتمد رسالة أظهر له فيها الطاعة والولاء، فمنحه الخليفة منشوراً بحكم كرمان وأصفهان وسجستان وطبرستان والهند والسند[٩٦] وما وراء النهر على أن يرسل خراجا سنويا إلى حاضرة الخلافة قدره عشرون ألف ألف درهم، فوافق عمرو وعاد من جنديسابور إلى سجستان[٩٧]، وشرع يدبر أمور بلاده، لكنه اصطدم بأحمد بن عبد الله الخجستانى الذى كان قد استفحل أمره بعد أن واصل الاستيلاء على أملاك الصفاريين فدخل جرجان فى رمضان سنة٢٦٥هـ/ ٨٧٩م، ثم استغل وفاة يعقوب بن الليث فسار إلى نيسابور واستولى عليها[٩٨]، فلما علم بذلك عمرو بن الليث سار على رأس قواته ومعه أخوه على بن الليث وابنه محمد من سجستان إلى نيسابور لمحاربة الخجستانى، إلاّ أن الصفاريين هزموا فى القتال الذى دار بين الطرفين، وانسحب عمرو بن الليث إلى هراة، وأقام الخجستانى فى نيسابور وأحكم السيطرة عليها سنة ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م، وضرب الدنانير

---

(٩٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ٥، ص٥٦٥ .

(٩٦) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، جـ٩، ص٥٤٥ .

(٩٧) باستانى باريزى : يعقوب بن الليث، ص٢٤٣ .

(٩٨) بارتولد : تركستان، ص٣٤٣ .

والدراهم باسمه واسم الخليفة العباسى[٩٩] لإضفاء الشرعية على حكمه[١٠٠].

ذلك أن أحمد بن عبد الله لما أحكم قبضته على نيسابور ، أصدر النقود باسمه من دار سك نيسابور ، فمن ذلك درهم ضرب نيسابور مؤرخ ٢٦٨هـ[١٠١]، وفى نفس العام سار إلى هراة وحاصرها إلى أن تم الاستيلاء عليها سنة ٢٦٨هـ/ ٨٨١م، وأصدر النقود باسمه من دار سك هراة فى نفس العام تدعيمًا لنفوذه وامتداداً لسلطانه على حساب الصفاريين ، وسجل عليها لقب الخليفة العباسى لإضفاء الشرعية على حكمه ، فمن ذلك درهم ضرب هراة مؤرخ ٢٦٨هـ[١٠٢]، وقام فيه بنقش اسمه على مركز الوجه **(الوفى أحمد بن عبد الله)** وسجل فى الهامش الداخلى **(بسم الله ضرب هذا الدرهم بهراة سنة ثمان وستين ومائتين)**، وسجل على مركز الظاهر لقب الخليفة العباسى بعد لفظ الجلالة والشهادة المحمدية **(لله ، محمد رسول الله)**.

ظل أحمد بن عبد الله يقلق بال الصفاريين والخلافة جميعا ، حتى تمكن اثنان من غلمانه ـ وهما أمجور متولى خزائنه، وقتلغ ساقيه ـ من

---

(٩٩) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٩ ، ص٦٠ .

(١٠٠) Mitchiner : The World of Islam, Oriental Coins and their values, P. 628 .

(١٠١) عاطف منصور : الكتابات غير القرآنية على السكة فى شرق العالم الإسلامى ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م ، ص٢٣٧ ، مسلسل٦٠ .

(١٠٢) متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، رقم السجل ٥/ ١٦٨٩٤ ولمزيد من التفاصيل انظر : محمود عرفة : النقود فى مصر والدول المستقلة فى الشرق الإسلامى خلال القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦ ، مجلد ٢ ، ص ١٢٢ ـ ١٢٣ ، لوحة ٥٧ .

التآمر عليه وقتله فى شوال سنة ٢٦٨هـ/ ٨٨١م)[١٠٣]، وأجمع قوات جيشه على تولية رافع بن هرثمة بهراة ، فسار رافع بجيشه إلى نيسابور وحاصرها حتى اشتد بها الغلاء واستسلم أهلها فدخلها سنة ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م، وخطب فيها باسم محمد بن طاهر[١٠٤]. أما عمرو بن الليث فكان يحاول توطيد نفوذه فى فارس التى خرج عامله عليها محمد بن الليث على الطاعة ، فسار إلى هناك وهزم محمد بن الليث ثم توجه إلى اصطخر ومنها إلى شيراز .

وفى سنة ٢٧١هـ/ ٨٨٤م شكا رافع بن هرثمة من عمرو بن الليث للخليفة وأنه يعد الجيش للاستيلاء على خراسان ، فاستدعى الخليفة حجاج خراسان ، وأعلن لهم : « إننى عزلت عمرو بن الليث عن خراسان وأمرت بلعنه »[١٠٥]، وأن والى خراسان هو محمد بن طاهر ، ولم يلبث المعتمد أن أنفذ جيشا من واسط بقيادة صاعد بن مخلد لمحاربة عمرو بن الليث ، فلما التقى الجيشان هزم عمرو بن الليث وجرح ، ونجا من أرض المعركة وسار إلى فارس[١٠٦]، ثم اتجه إلى سجستان لإعادة تنظيم جيشه ، وتدبير أمور دولته .

أما رافع بن هرثمة فقد استفحل أمره واستولى على الرى وأرض الديلم حتى اتصل بحدود قزوين ، ورفض أمر الخليفة المعتضد بتخليه قرى السلطان بالرى ، فكتب الخليفة إلى عمرو بن الليث بتوليته خراسان ومحاربة رافع ابن هرثمة ، فلما التقيا عند الرى انهزم عمرو بن اليث ، لكنه قام بمناورة لتشتيت رافع بن هرثمة ، فاتجه إلى نيسابور ، بينما سار

---

(١٠٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص١٢ ـ ١٣ .

(١٠٤) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص٥٨ .

(١٠٥) ميرخواند : روضة الصفا ، ص٦١ .

(١٠٦) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٤ ، ص٢٠٩ .

رافع إلى طبرستان سنة ٢٨١هـ/ ٨٩٥م[١٠٧]، وهناك خلع طاعة الخليفة العباسى وراسل محمد بن زيد العلوى ، وخطب له على منابر طبرستان ، ثم سار رافع بن هرثمة إلى نيسابور لملاقاة عمرو بن الليث ، وجرى بين الطرفين حرب شديدة انهزم فيها رافع واتجه إلى أَبْيُورْدْ .

ولما خرج عمرو بن الليث لمطاردته ، التف رافع ودخل نيسابور وتحصن فيها ، لكن عمراً حاصره هناك ، فلما اشتد الحصار استأمنه بعض قواد رافع ، وانهزم هو وأصحابه ، وحاول الاستنجاد بمحمد بن زيد لكنه لم يمده برجل واحد ، وتفرق عنه أصحابه وغلمانه وخرج هو منهزما إلى خوارزم ، لكنه قتل هناك فى شوال ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م ، وحمل رأسه إلى عمرو بن الليث وهو بنيسابور ، فأنفذ عمرو الرأس إلى المعتضد بالله . وبهذا بدأت علاقة جديدة طيبة بين الصفاريين والخلافة العباسية ، فأمر أن يكتب اسم عمرو بن الليث على الفرش والمقاعد والأعلام[١٠٨]، فضلاً عن ذلك أمر الخليفة المعتضد بجمع حجاج خراسان وأن يقرأ عليهم منشور تولية عمرو بن الليث خراسان وفارس وكرمان وسجستان[١٠٩]، ورد عمرو على ذلك بإرسال هدايا قيمة إلى قصر الخلافة فى بغداد وذلك سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٨م[١١٠].

لم تستمر العلاقات الطيبة بين الخلافة وعمرو بن الليث طويلا ، فقد طلب عمرو بن الليث إلى المعتضد بالله أن يوليه ما وراء النهر التابعة لإسماعيل بن أحمد السامانى ، فوجه الخليفة إليه الخلع واللواء بذلك وهو

---

(١٠٧) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١ ، ص٥٦ .

(١٠٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٧٥ .

(١٠٩) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ١٠ ، ص٦٧ .

(١١٠) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص٨٨ .

بنيسابور ، غير أن المراسلات بين عمرو بن الليث وإسماعيل بن أحمد الذى رفض تسليمه ما وراء النهر لم تجد نفعا ، فأنفذ عمرو بن الليث فريقا من جيشه بقيادة محمد بن بشير لقتال الأمير السامانى الذى عبر نهر جيحون ، فلما التقيا حلت الهزيمة بالجيش الصفارى ، الذى ولى هاربا إلى نيسابور ، بينما عاد إسماعيل إلى بخارى ، ولم يلبث عمرو بن الليث أن سار على رأس قواته لإعادة الكرة ومحاربة إسماعيل ، فالتقيا فى بلخ ، ودارت بينهما معارك ضارية أدت إلى هزيمة الصفاريين ووقع عمرو بن الليث فى الأسر فى ربيع الآخر ٢٨٧هـ/ أبريل ٩٠٠م، وقال عمرو : ( أصبحت أميراً وأمسيت أسيراً )[١١١] . فأرسله الأمير السامانى إلى بغداد ، فأمر الخليفة المعتضد بوضعه فى السجن ، وظل محبوسا حتى قتل سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م، وأرسل المعتضد بالخلع لإسماعيل فولاه ما كان بيد عمرو ، فاستولى على خراسان وصارت بيده[١١٢] .

ولى أمر الصفاريين طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث ، فبقى بسجستان ، وأنفذ إليه الخليفة المستكفى الخلع بولاية فارس ، لكنه تشاغل باللهو والصيد ، وقضى ليله ونهاره فى الشراب ، ولم يهتم بالملك ، وخشى عقلاء قواد الجيش من عاقبة هذا السلوك ، وذهبوا إلى طاهر بن محمد وقالوا له : لقد أخذنا هذا الملك بسيوفنا ، فهل تريد أن تحفظه بلهوك ؛ إن الملك لا يبقى بالهزل[١١٣] ، لكن طاهر لم يهتم بمثل هذه الأقوال ، ولم

---

(١١١) نظام الملك : سياست نامه ، ص٥٥ .

الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ١٠ ، ص٧٧ .

(١١٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٩٦ .

(١١٣) باستانى باريزى : يعقوب بن الليث ، ص٢٤٧ .

يمض وقت طويل حتى جاء إلى سجستان محمد بن على بن الليث واستولى عليها ، واضطر طاهر للفرار سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م ، كما غلب سبك السبكرى ـ غلام عمرو بن الليث ـ على فارس وضرب النقود باسمه مع لقب الخليفة العباسى، ولم يكتف بذلك بل أسر طاهراً وأخاه يعقوب وأرسلهما إلى بغداد حتى تصفو له الأمور ولا يبقى له شريك فى الحكم(١١٤) .

والواقع أن الدولة الصفارية قد سارت نحو الانهيار بخطى سريعة بعد نحو أربعين عاما من قيامها ، بسبب النزاع والتنافس على الحكم ، مما أدى إلى تطلع الخارجين على سلطتها والطامعين فى ممتلكاتها من الاستيلاء على أقاليمها ، يؤكد ذلك قيام سبك السبكرى بسك النقود ، لتأكيد بسط سلطانه على إقليم فارس ، فمن ذلك درهم ضرب فارس سنة ٢٩٦هـ(١١٥)، الذى جاءت كتاباته على النحو التالى :ـ

| مركز الوجه | مركز الظهر |
|---|---|
| لا إله إلا | لله |
| الله وحده | محمد رسول |
| لا شريك له | الله |
| سبكرى | المقتدر بالله |

ترجع أهمية هذا الدرهم إلى أنه يعطى صورة واضحة لما آلت إليه أحوال الصفاريين ، وما أصابهم من ضعف ووهن فى مواجهة الفتن التى تعرضت لها دولتهم .

---

(١١٤) ميرخواند : روضة الصفا ، ص٦٥ .

(١١٥) متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، رقم السجل ١٧٠٤٣/٨ .

ومهما يكن من أمر فإن سبك السبكرى لم يلبث أن طرد من فارس على يد الأمير أحمد السامانى ، إلى أن طلب الخليفة المقتدر من أحمد أن يرسل إليه السبكرى ومحمد بن على بن الليث الذى كان قد غلب على سجستان إلى بغداد ، فقبض عليهما وسيرهما إلى هناك ، وأدخلا إلى بغداد مشهرا بهما على فيلين سنة ٢٩٨هـ/ ٩١٠م ، وفضلا عن ذلك طارد أحمد بن إسماعيل باقى أفراد الأسرة الصفارية حتى أسرهم أجمعين ، وولى ابن عمه أبا صالح منصورين إسحق سجستان فى ربيع أول سنة ٢٩٩هـ/ أكتوبر ٩١١م، بعد زوال الدولة الصفارية[١١٦] .

مما تجدر الإشارة إليه أن بعض المراجع أشارت بإيجاز إلى ظهور أحد أحفاد عمرو بن الليث بن الصفار واستيلائه على سجستان وبم ، وهو خلف ابن أحمد ـ حفيد عمرو بن الليث ، وأنه توفى أثناء نقله من سجن إلى آخر فى رجب ٣٩٩هـ/ مارس١٠٠٩م ، بعد أن وقع أسيراً فى يد السلطان محمود الغزنوى[١١٧]، بينما يستمر صاحب روضة الصفا فى التأريخ للصفاريين حتى القرن الخامس الهجرى[١١٨]، إلا أن الأحداث الواردة فى المرجعين

---

(١١٦) Lane Poole : The Muhammadan Dynasties, P. 130 .

(١١٧) باريزى : يعقوب بن الليث ، ص٢٨٤ .

* لما رأى أبو الحسن على بن جلوغ السجزى ما آل إليه حال الصفاريين ، ترك سجستان ويمم وجهه شطر بلاد ما وراء النهر بعد أن خدم أبوه جلوغ الأمير خلف الصفارى ؛ قائلا:

خرجت من سجستان مع قافلة بحلة منسوجة من أشجان روحى

ومعى حلة مطرزة بدماء قلبى

براون : تاريخ الأدب فى إيران ، جـ٢ ، ص١٤٥ .

(١١٨) ميرخواند : روضة الصفا ، ص٦٩ ـ ٧٢ .

غاية فى الاختصار والاضطراب ، مما يؤكد أن انهيار الدولة الصفارية وسقوطها حدث فى نهاية القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى .

قصارى القول أنه على الرغم من القوة الناشئة للصفاريين وعزيمتهم وبأسهم فى الحروب فإن عداءهم للزنج المارقين ، وتطلعهم لتوسيع رقعة دولتهم ، ومد نفوذهم على حساب الأقاليم التابعة للخلافة أدى إلى ضعف أمرهم ، وذبول دولتهم وسقوطها فى نهاية الأمر . ومن ناحية أخرى كانت دولتهم ذات سياسة متناقضة ، فبينما هم يحاربون فى كل مكان ويعادون الخلافة العباسية ذاتها عسكريا ، فإنهم فى الوقت نفسه كانوا يعتبرون الخليفة العباسى الزعيم الروحى والدينى لبلادهم ، فكانوا يخطبون باسمه على المنابر ويضربون النقود بألقابه ، وذلك لإضفاء الشرعية على حكمهم الأقاليم التى استولوا عليها ، حتى يضمنوا ولاء رعاياهم الذين لم يكونوا راضين عن معاداة الخلافة العباسية وزعيمها الدينى ، المتمثل فى شخص الخليفة ، وليس أدل على ذلك من تحول فريق من جند يعقوب عنه فى ساحة الحرب عندما ظهر الخليفة فى صفوف الجيش العباسى ، فقد أظهر ممن يحاربون مع يعقوب كراهية القتال معه ، « وتخلوا عنه لما رأوا السلطان قد حضر لقتاله فتخلوا عن يعقوب ، ولم يبق معه إلاّ خاصته الذين مضوا معه مفارقين موضع الحرب »(١١٩) .

الواقع من خلال استقراء الأحداث أن يعقوب بن الليث يبدو أنه كان يبذل جل جهوده للقضاء على نفوذ الخلافة فى بلاد فارس وخراسان واستعادة السلطان الفارسى على تلك البلاد تحت رئاسته ، فلم يرض بمهادنة الخلافة له بعد أن تجرع من الهزيمة أمام جيوشها ، ولم يثنه ذلك

(١١٩) ميرخواند : روضة الصفا ، ص٥٩ ـ ٦٠ .

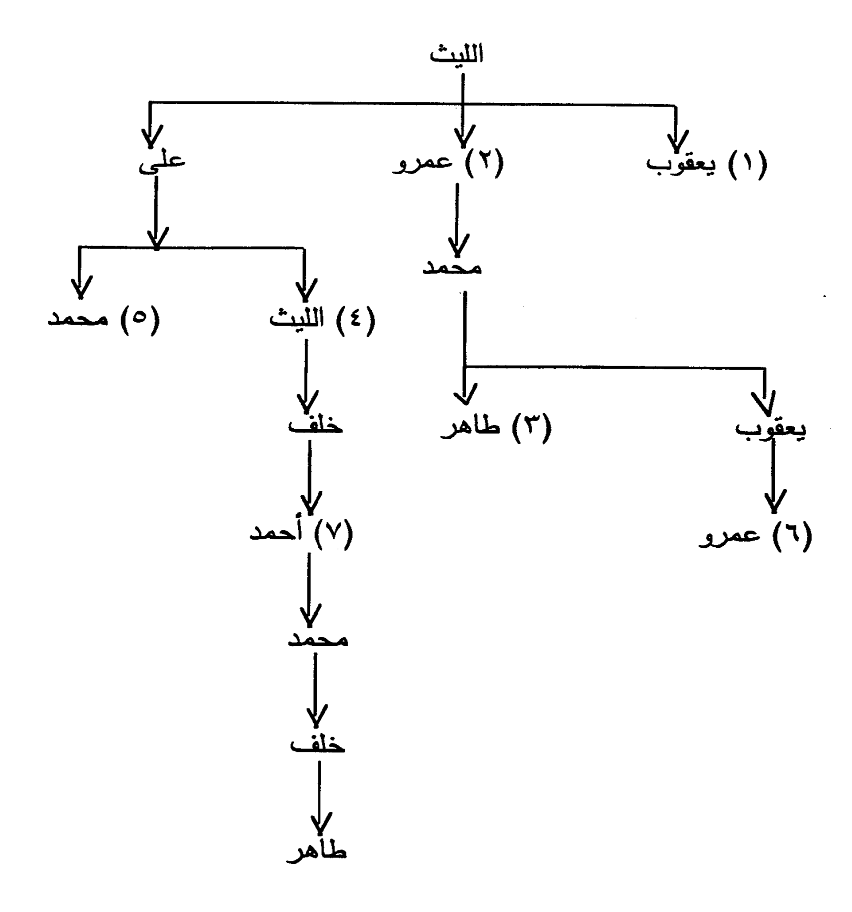
عن عزمه أو يتراجع عن أهدافه ، مما يؤكد أن قيام الدولة الصفارية يعد إحدى حلقات حركة معاداة السيادة العربية لاستعادة النفوذ الفارسى والتى تعرف بالشعوبية، لذلك لم يرسل الصفاريون أبداً خراج الأقاليم المستولى عليها أو حتى النذر اليسير منه ، والذى كان يدل على الخضوع والتبعية لحاضرة الخلافة العباسية ، وإنما اكتفوا بالولاء الظاهرى المتمثل فى الخطبة وسك العملة إلى جانب بعض الهدايا والتحف من البلاد المفتوحة ، لكنهم من ناحية أخرى أدوا خدمات جليلة فى سبيل نشر الإسلام وتطبيق مبادئه التى تقوم على العدل والإحسان ، والقضاء على الخوارج المارقين فى شرق الدولة الإسلامية .

# جدول

## بأسماء حكام الدولة الصفارية

| هجرى | ميلادى | أسماء الأمراء |
|---|---|---|
| ٢٥٤ | ٨٦٨ | يعقوب بن الليث الصفار |
| ٢٦٥ | ٨٧٩ | عمرو بن الليث |
| ٢٨٨ | ٩٠١ | طاهر بن محمد بن عمرو |
| ٢٩٦ | ٩٠٨ | الليث بن على بن الليث |
| ٢٩٨ | ٩١٠ | محمد بن على بن الليث |
| ٢٩٩ | ٩١٢ | عمرو بن يعقوب بن محمد بن عمرو |
| ٣٠٠ | ٩١٣ | أحمد بن خلف بن الليث |

## مشجرهم وتسلسل توليهم الحكم



# الفصل الرابـع

# الدولـة السامانيـة

**الأمير قمر وبخارى سماء .·. والقمر يسرى إلى السماء**

# الفصل الرابع

# الدولـة السامانيــة

## ١ ــ قيام الدولة السامانية :

كان السامانيون من العناصر الفارسية التى ذاع صيتها واشتهر أمرها فى بلاد ما وراء النهر وخراسان ، وكان موطنهم الأصلى بقرية سامان بنواحى بلخ ، ويرجع نسبهم إلى سامان[١] الذى كان من أسرة فارسية نبيلة[٢]، تعتنق الزرادشتية ، إلاّ أن سامان الجد الأكبر الذى تنتسب إليه الدولة اعتنق الإسلام بعد أن اتصل بأسد بن عبد الله القسرى ــ والى خراسان من قبل الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك ، وأسلم على يديه بعد أن قام أسد بن عبد الله بمؤازرة سامان فى التصدى لأعدائه من الترك حتى انتصر عليهم ، لذلك سمى ابنه أسداً باسم حاكم خراسان[٣]، وصار سامان وأتباعه فى خدمة الدولة الأموية منذئذ ، واشتركوا معها فى القضاء على الثورات التى قامت ضد الحكم الأموى فى شرق الدولة الإسلامية[٤].

لما ولى أسد أمر السامانيين بعد وفاة أبيه ، انتقل ولاء السامانيين إلى ولاة الدولة العباسية فى خراسان وعلى رأسهم على بن عيسى بن هامان ، وقد توفى أسد بن سامان خلال ولايته ، بينما استمر ولاء أبنائه للعباسيين ،

---

(١) هو سامان خداه بن صمان بن طمغاث بن نوشرد بن بهرام جوبين بن بهرام خشنش ، (الكرديزى : زين الأخبار ، ص٣٩) .

(٢) البيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص٣٩ .

(٣) عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص١٢٣ .

، النرشخى : تاريخ بخارى ، ص١١١ .

(٤) النرشخى : المصدر نفسه ، ص٩٠ .

فمن ذلك مساعدتهم هرثمة بن أعين والى سمرقند من قبل الرشيد فى صراعه مع رافع بن الليث(٥)، واستطاعوا حمل رافع على طلب الصلح من هرثمة فزال الخطر بذلك عن سمرقند ، وتم إعادتها إلى حظيرة الدولة العباسية .

ارتفع شأن السامانيين فى عهد المأمون فقد أمر غسان بن عباد واليه على خراسان أن يولى أبناء أسد على أقاليم ما وراء النهر ، فولى نوح بن أسد سمرقند(٦) ، وأحمد بن أسد فرغانة ، ويحيى بن أسد على الشاش

---

(٥) كان رافع بن الليث بن نصر بن سيار ، قد تزعم ثورة ضد الخلافة العباسية فى خراسان سنة ١٩٢هـ/ ٨٠٧م، وأنفذ إليه الرشيد جيشًا بقيادة خزيمة بن الخازم ، لكنه هزم الجيش العباسى ، واستفحل أمره ، مما اضطر الخليفة إلى الخروج بنفسه فى شعبان ١٩٢هـ/ ٨٠٧م، واستخلف ابنه محمد الأمين على بغداد ، واصطحب معه وزيره الفضل بن الربيع وابنه عبد الله المأمون إلى مرو ، ثم اتجه هو إلى طوس ، وهناك اشتدت عليه وطأة المرض ، فتوقف عن استكمال المسير إلى رافع بن الليث ، وظل الحال على ذلك حتى تم القضاء على ثورته فى عهد الخليفة المأمون بالاستعانة بالسامانيين .

، فاميرى : تاريخ بخارى ، ص٩٠ .

(٦) سمرقند : تقع جنوبى الصغد وتبعد عن بخارى مائة وخمسين ميلا من جهة الشرق ، وكان يحيط بسمرقند وضواحيها سور طوله إثنا عشر فرسخا وبه اثنا عشر بابا ، ولها قلعة (كهندز) على سفحها البساتين والأشجار ، تكثر فيها أشجار السرو ، وللمدينة أربعة أبواب رئيسية ، باب الصين جهة الشرق ، باب بخارى شمالا ، باب النوبهار غربا ، والباب الكبير أو باب كسن فى جهة الجنوب .

لسترنج : بلدان الخلافة ، ص٥٠٧ ، وقد وصلت إلى أعلى مدارجها من الإعمار والازدهار فى عهد السامانيين .

النرشخى : تاريخ بخارى ، ص١٩ .

وأشروسنة ، بينما ولى إلياس هراة ، وظل أبناء أسد بن سامان ولاة على أقاليمهم حتى بعد قيام الدولة الطاهرية فى خراسان سنة ٢٠٥هـ/ ٨٢١م ، وأظهروا الولاء والطاعة للطاهريين حتى زوال دولتهم سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م، فانتقل الولاء للحكم العباسى مباشرة إلى أن استقلوا بولاياتهم ، وبخاصة أحمد بن أسد الذى امتد حكمه إلى الصغد والشاش وسمرقند وفرغانة ، وإن ظل الولاء والخضوع للخلافة العباسية وولاتها على خراسان .

ولما توفى أحمد ولى ابنه نصر على أقاليم ما وراء النهر(٧) ، وأصدر المعتمد مرسوما(٨) بتعيينه على تلك الولايات سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٤م(٩) وبذلك تأسست الدولة السامانية ، على رأسها نصر بن أحمد بن سامان مؤسس الدولة السامانية ، فاتخذ من سمرقند حاضرة له، وصار بذلك يتبع الحكومة المركزية فى بغداد مباشرة ولم يعد تابعا لولاة خراسان .

والواقع أن تلك التبعية للخليفة العباسى كانت على جانب كبير من الأهمية من أجل إضفاء الصفة الشرعية على حكم السامانيين ، بينما سار السامانيون بخطى واسعة نحو تدعيم أواصر حكمهم على أقاليم ما وراء النهر، ومد سلطانهم إلى ما جاورها من أقاليم ، فأنفذ أخاه إسماعيل بن أحمد

---

(٧) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص١١٢ .

(٨) يلاحظ أن فاميرى قد أخطأ حين ذكر أن ولاية نصر بن أحمد السامانى كانت فى عهد الواثق بالله ، حيث إن الخليفة كان وقتذاك هو المعتمد على الله .

، فامبرى : تاريخ بخارى ، ص٩٤ .

(٩) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٣ .

ابن سامان إلى بخارى(١٠) سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٤م(١١).

يلاحظ أن علاقة السامانيين بالخلافة العباسية مرت بمرحلتين ، المرحلة الأولى منذ ولاهم المعتمد على بعض ولايات خراسان وما وراء النهر حتى تغلبهم على الصفاريين سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م(١٢) ، وتتسم هذه المرحلة بالتبعية الكاملة للخلافة ، فقد ظل الأمراء السامانيون مجرد ولاة يتبعون الخليفة ، يتضح ذلك من استقراء النقوش التى تحملها نقودهم ، فنقش السامانيون عليها ألقاب الخلفاء وأولياء عهودهم دون أسماء أو ألقاب السامانيين أنفسهم ، وذلك على السكة الرئيسية وهى الدنانير الذهبية .

أما المرحلة الثانية فتمتع فيها الأمراء السامانيون بالسيادة والاستقلال الذاتى على ولاياتهم ، بعد أن اكتشف السامانيون أن الخليفة المعتضد بالله العباسى يولى عمرو بن الليث الولايات نفسها التى يولى عليها السامانيين ،

---

(١٠) بخارى : من أجل مدن ما وراء النهر تشتمل على عدة مدن من أهمها بخارى ، وكان أمراء بخارى قبل الإسلام يحملون لقب « بخارخدا » وتكتب بالفارسية (بخار خدات) ومعناه أمير بخارى أو صاحب بخارى ، وكانت تابعة للطاهريين حتى سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م، ثم انتقل حكمها إلى الصفاريين حتى ولى الأمير السامانى نصر ابن أحمد أخاه إسماعيل حكمها ، فظلت فى حوزتهم حتى سقوط دولتهم ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م، وتتميز بخارى بمعالم ثلاثة هى : القلعة وتسمى بالفارسية « كهندز » أى الحصن القديم وتكتب بالعربية قهنبذ ، والمدينة تسمى بالفارسية شهرستان ؛ والربض أو الضاحية بين المدينة القديمة والسور الذى بنى فى عهد المسلمين ، وكانت القلعة فى أيام السامانيين فى موضع يسمى ريكستان ، وكان قصر بخارخدا يوجد داخلها .
النرشخى : تاريخ بخارى ، جـ٨ ـ ١٠ .

(١١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٤ .

(١٢) الكرديزى : زين الأخبار ، ص٢٣١ .

فاحتفظ السامانيون بتبعية اسمية للخلافة العباسية ، بينما فرضوا سيادتهم الكاملة على ولاياتهم ، ويتجلى ذلك فى نقش أسمائهم على النقود مع ألقاب الخلفاء العباسيين ، فضلا عن عدم التزام السامانيين بإرسال الخراج إلى حاضرة الخلافة العباسية كسابق عهدهم فى المرحلة الأولى(١٣)، ويعلق على ذلك بارتولد بقوله : « وصارت دخول السامانيين كلها تحت تصرفهم ، وتم فصل خراج البلدان الشرقية تماما عن ميزانية الخليفة العباسى»(١٤)، مما تجدر الإشارة إليه أن السامانيين كانوا يتعاملون إلى جانب الدنانير والدراهم الخالصة بالسكة القديمة المعروفة بالفضة الغطريفية(١٥).

لما وصل إسماعيل بن أحمد إلى بخارى تولى زمام الأمور فيها وعين حسين بن محمد واليها السابق نائبا له ، وأظهر أشراف بخارى لإسماعيل الولاء والطاعة ، وحظى هناك باحترام عظيم من قبل أهلها ، ونودى على المنابر باسم نصر بن أحمد بدلا من يعقوب بن الليث(١٦)، وبدأ إسماعيل عهده بالقضاء على عصابات اللصوص والمارقين وأمر صاحب شرطته

---

(١٣) محمود عرفة : النقود فى مصر والدول المستقلة فى الشرق ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، ص ١٣٣ ـ ١٦٣ .

(١٤) بارتولد : تركستان ، ص٣٥٧ ـ ٣٥٨ .

(١٥) تنسب النقود الغطريفية إلى غطريف بن عطا أمير خراسان على عهد الخليفة الرشيد وكان غطريف أخا للخيرزان أم الرشيد وهى ابنة عطا ، ملك اليمن من جُرَش ، ولما كانت الفضة قليلة وشحيحة وقتذاك (١٨٥هـ / ٨٠١م)، تم سك العملة الغطريفية وهى خليط من الفضة والقصدير والحديد والنحاس ، وكانت كل ستة دراهم غطريفية تساوى درهما واحدا من الفضة الخالصة ، وظلت مستخدمة حتى عام ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م، النرشخى : تاريخ بخارى ، ص٦٢ ـ ٦٣ .

(١٦) النرشخى ، المصدر نفسه ، ص١١٥ .

حسين بن العلاء بمحاربتهم ، وقام بالمهمة على خير وجه بمساعدة أهل بخارى وأعيانها ، وقبض على رئيس اللصوص وقضى عليه وألقى القبض على زملائه .

ومن ناحية أخرى لما علم إسماعيل بن أحمد بقدوم حسين بن طاهر الخوارزمى على رأس قواته إلى جيحون للاستيلاء على بخارى ، جمع له إسماعيل القوات السامانية وترصد له ، فلما عبر الخوارزمى نهر جيحون اصطدم بإسماعيل وجيشه ، ودارت معركة حاسمة بين الطرفين انتهت بهزيمة الخوارزمى ، وتشتت جيشه بين فريق غريق فى النهر وبين أسير فى أيدى القوات السامانية ، بينما عاد حسين بن طاهر منهزمًا إلى مرو[١٧] ، ولمزيد من السيطرة على الأمور فى بخارى أسر إسماعيل بعض الأشراف أصحاب النفوذ وانفذهم إلى سمرقند ، وطلب من أخيه نصر القبض عليهم فتم له ذلك ، وألقى بهم نصر فى السجون وعلى رأسهم أبو حاتم اليسارى ، وبذلك تخلص إسماعيل من أكثر المعارضين له فى بخارى[١٨] .

لما قويت شوكة إسماعيل فى بخارى حدثته نفسه بمد نفوذه على حساب ممتلكات أخيه نصر ، فسار إلى سمرقند دون أن يأذن له نصر بذلك، فلما علم بذلك نصر لم يخرج لاستقبال أخيه ، بل اكتفى بتعيين صاحب شرطته حارسا عليه[١٩] ، واستمر الجفاء بين الأخوين ، حتى تدخل

---

(١٧) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٩ ، ص٥١٤ .
(١٨) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص١١٥ .
(١٩) النرشخى : المصدر نفسه ، ص١١٦ .

ابن العم محمد بن نوح بمساعٍ حميدة بينهما حتى وافق نصر على العفو عن أخيه وأعاده إلى بخارى بعد أن عين له الفضل بن أحمد المروزى نائبا ، وعصمت بن محمد المروزى وزيرا ، وصارا بمثابة عيون لنصر على أخيه[20] ، فلما أيقن إسماعيل بذلك عادت الوحشة بين الأخوين ، يعقب ابن الأثير على الجفوة بين نصر وإسماعيل بقوله : « ثم سعت السعاة بين نصر وإسماعيل فأفسدوا ما بينهما »[21] .

تطورت العلاقات بين نصر وأخيه إسماعيل من الجفاء والوحشة إلى اللقاء المسلح ، فلما عجز إسماعيل عن إرسال الخراج المقرر على بخارى وقدره ٥٠٠ ألف درهم سنويا ، رأى نصر أن يجهز جيشاً كبيراً لهذا اللقاء فتم له ذلك بعد أن انضم إليه جيشا أبى الأشعث من فرغانة ، وأبى يوسف يعقوب من الشاش ، وسار الجميع إلى بخارى سنة ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م[22] ، مما اضطر إسماعيل إلى ترك بخارى والسير إلى فاراب ، ودخل نصر بخارى دون حرب ثم اتجه إلى بيكند ، أما إسماعيل فأرسل إلى حليفه رافع ابن هرثمة بخراسان طالبا منه العون والمساندة ، وسار الحليفان بجيوشهما عبر الصحراء نحو سمرقند ، لكن الجيوش تعرضت للمجاعة ونقص المياه فهلك منهم عدد كبير[23] ، أما نصر فتوجه إلى طوس لقطع الطريق على المتحالفين ، وفى الوقت نفسه أرسل إلى ابنه ـ نائبه على سمرقند ـ يأمره بالاستعداد وتعبئة القوات لملاقاة إسماعيل ورافع .

---

(٢٠) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص١١٦ .
(٢١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٤ .
(٢٢) النرشخى : المصدر نفسه ، ص١١٨ .
(٢٣) النرشخى : المصدر نفسه ، ص١١٩ .

لما رأى أسماعيل من الهلاك الذى تعرض له الجيش ، أنفذ حمويه بن على أحد المقربين له للوساطة بينه وبين أخيه ، فسار حمويه أولا إلى رافع ابن هرثمة قائلاً : « قد ظهر لى من نصر وإسماعيل ما كان خفيا عنى ولست آمنهما عليك ، والرأى أن لا تشاهد الحرب ، وتحملهما على الصلح » ، فقبل ذلك فتصالحا وانصرف عنها(٢٤) . وعاد رافع إلى خراسان ، أما نصر فاشترط لقبول الصلح تحجيم سلطات إسماعيل بحيث يتولى الخراج فقط ، بينما يلى إسحق بن أحمد ولاية بخارى ، وعاد نصر إلى سمرقند سنة ٢٧٣هـ/ ٨٨٥م(٢٥)، بعد أن ضمن رافع بن هرثمة أن يرسل إسماعيل الخراج المقرر ٥٠٠ ألف درهم سنويا .

لم يستمر الصلح بين نصر وإسماعيل طويلا ، فلما لم يلتزم إسماعيل بإرسال خراج سنة٢٧٥هـ/ ٨٨٧م، طلب نصر من رافع بن هرثمة التدخل، إلا أن إسماعيل لم يلتفت إلى تلك المساعى ، فجهز نصر الجيش السامانى وضم إليه قوات ابن الأشعث من فرغانة ، وسار صوب بخارى ، ودارت بين الطرفين عدة حروب تبادل فيها الطرفان النصر والهزيمة ، ثم التقى الطرفان فى معركة حاسمة انتهت بانتصار إسماعيل الذى قبض على أخيه نصر ، لكنه لم يلبث أن أعاده إلى سمرقند بمنتهى الاحترام فى جمادى الآخرة سنة ٢٧٥هـ/ يناير ٨٨٨م ، وأعلن إسماعيل لنصر الولاء والطاعة وأن يحكم بخارى نائبًا عنه « إننى أحكم هذه الديار نائبًا عنك»(٢٦) .

---

(٢٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٤ .

(٢٥) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص١٢٠ .

(٢٦) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ١٠ ، ص٣٣٠ .

لما توفى نصر بن أحمد فى سمرقند فى جمادى الآخرة ٢٧٩هـ/ مارس ٨٩٢م خلفه أخوه إسماعيل فى حكم الدولة السامانية واتخذ من بخارى حاضرة له(٢٧)، وأنفذ له الخليفة المعتضد بالله العباسى مرسوما بذلك فى المحرم سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م(٢٨)، وبدأ عهده بمكاتبة أخوته بالاحترام اللائق لكسب ودهم وقال فى ذلك : « يجب علينا إذا زادنا الله رفعة ألا ننقص إخواننا بل نزيدهم رفعة وعلوا وجاها ليزيدوا لنا إخلاصاً وشكراً»(٢٩) .

كانت ضياع بخارى وأملاكها ومستغلاتها فى أيدى أولاد بخارى خداه(٣٠)، وآخرهم هو أبو إسحاق إبراهيم بن خالد بن بنيات الذى كان يقيم فى بخارى ويتحكم فى أملاك ما وراء النهر(٣١)، ويرسل كل عام بالخراج والغلات إلى أخيه نصر بن خالد بن بنيات الذى يقوم بدوره بإرساله إلى أمير المؤمنين المقتدر بالله ، وظل الحال على ذلك حتى ولى الأمير إسماعيل بن أحمد إمارة السامانيين ، وذات يوم دخل أبو إسحق إبراهيم على الأمير فسأله إسماعيل السامانى يا أبا إسحق .. ما مقدار ما يعود عليك كل عام من الغلة من هذه الضياع؟ فقال أبو إسحق : تغل كل عام عشرين

---

(٢٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٧٤ .

(٢٨) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص١٢٣ .

(٢٩) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص٧٦ .

(٣٠) لقب ملوك بخارى .

(٣١) ما وراء النهر = بارداريا Par - Daria ، وأطلق اسم ترانسوكسيا Transoxiane على الولايات الواقعة شمال مجرى نهر جيحون ( Oxus) وهى جزء من التركستان الغربية الذى يضم جمهورية أوزبكستان وجمهورية طاچيكستان الحالية ، النرشخى : المصدر نفسه ، انظر هامش ص٢٥ .

ألف درهم بعد كثير من التعب والكلف ، فأمر الأمير إسماعيل صاحب شرطته أحمد بن الليث قائلا : « خذ هذا الموضع وقل لأبى الحسن العارض أن يعطيه كل عام عشرين ألف درهم ، وبذلك تم ضمها إلى أملاك السامانيين(٣٢) .

قام إسماعيل بن أحمد بتوطيد سلطانه على أقاليم ما وراء النهر وما حولها لكنه اصطدم بقوة الصفاريين ، فقد كانت لهم السيادة على سجستان وخراسان ، وكانوا يتطلعون لفرض سيادتهم على ما وراء النهر ، فانفذ عمرو بن الليث إلى الخليفة العباسى طالبا توليته على بلاد ما وراء النهر، فتحقق له ذلك خاصة حينما أنفذ عمرو بن الليث إلى المعتضد برأس رافع بن هرثمة ليعبر له عن مدى ما وصلت إليه القوة الصفارية ، فأجابه الخليفة وأصدر مرسوما بولاية عمرو بن الليث ما وراء النهر ، وعزل إسماعيل بن أحمد عنها وذلك فى المحرم ٢٨٥هـ/ أبريل ٨٩٨م، فبعث عمرو بن الليث إلى إسماعيل بن أحمد لتسليم ما وراء النهر إذعانا وطاعة لأمر الخليفة ، فما كان من إسماعيل إلا أن أهان مبعوث الأمير الصفارى وكتب إليه : « لقد بلغ الجهل إلى أن تعدنى مثلهما (أميرى بلخ وجوزجان – اللذان قبلا بتسليم ولاياتهما لعمرو بن الليث) ، وهما بمنزلة العبيد عندى، إنى سأرد عليك بالسيف ولن يفصل بيننا إلا الحرب »(٣٣) .

لما وصلت رسالة إسماعيل بن أحمد إلى عمرو بن الليث الصفار ، رأى الأخير أن يهادن إسماعيل فكتب إليه : « مع أن أمير المؤمنين قد أعطانى هذه الولاية فإنى أشركتك فيها ، فيجب عليك أن تكون عونا لى حتى لا

---

(٣٢) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص٢٦ .

(٣٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ١٠ ، ص٣٤ .

يجد النمام طريقا بيننا ، وتدوم المحبة والمودة ... وقد منحناك تلك الولاية ولا نريد إلا إسعادك وإسعاد أسرتك ، إننا نعتمد عليك فينبغى أن تعتمد علينا حتى تدوم روابط المحبة »[٣٤] . فلما وصل الوفد رفض إسماعيل مقابلته ، لأن هذا العرض يعنى أن الصفار قد من بالولاية على إسماعيل ، وأن إسماعيل يحكم ما وراء النهر من قبل الصفاريين ، مما يعد خضوعا من السامانيين للصفاريين ، وهذا ما لا يمكن أن يقبله إسماعيل بن أحمد السامانى[٣٥] ، ورد على عمرو بن الليث الصفار : « إنك قد وليت دنيا عريضة فاقنع بها عما فى يدى من هذه البلاد »[٣٦] .

لم تؤد المراسلات المتبادلة بين السامانيين والصفاريين إلى تهدئة الأحوال بين الطرفين ، فأرسل عمرو بن الليث قائد جيشه على بن شروس نحو جيحون ، وبعث إليه بإمدادات عسكرية أخرى بقيادة محمد بن الليث ، ولما علم إسماعيل بذلك خرج من بخارى على رأس الجيش السامانى، وعبر نهر جيحون إلى الجانب الغربى، وقام بشن الهجمات على الصفاريين وانتهى القتال بهزيمة الصفاريين ومقتل على بن شروس وأسر طائفة من قادة الجيش[٣٧] ، وقد أحسن إسماعيل معاملتهم وأعادهم مكرمين إلى ديارهم ، وعاد الأمير السامانى إلى بخارى .

لم يرض عمرو بن الليث بما تعرض له جيشه من الهزيمة ، وأرسل فريقا من جيشه بقيادة محمد بن بشير نحو آمل ، فلما التقى بإسماعيل

---

(٣٤) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص١٢٤ .

(٣٥) محمد على حيدر : الدويلات الإسلامية فى المشرق ، ص١١٣ .

(٣٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٩٥ .

(٣٧) النرشخى : المصدر نفسه ، ص١٢٥ .

السامانى لقى هزيمة نكراء ، وقتل القائد الصفارى وكثير من جنده ، فلما علم عمرو بن الليث بما تعرض له الجيش الصفارى رأى أن يقود الحرب ضد السامانيين ، فخرج على رأس جيشه من نيسابور متجها إلى بلاد ما وراء النهر ، فلما وصل إلى بلخ عسكر هناك وحفر خندقا ، بينما سار الجيش السامانى بقيادة محمد بن هارون إلى عليا باد ، وبعد أن أتم استعداداته تظاهر بالسير نحو عمرو بن الليث عن طريق تمازكاه ، مما دعا الجيش الصفارى أن يتجه بثقل إلى هذه الناحية ، إلاّ أن الجيش السامانى غير وجهته فجأة وسار من الناحية العكسية مناوراً وقام بحصار عمرو بن الليث وجيشه .

والتقى الجيشان فى عدة معارك انتهت بهزيمة الجيش الصفارى الذى ولى هاربا ، وقام أهل بلخ بالقبض على عمرو بن الليث وتسليمه أسيراً إلى إسماعيل بن أحمد[٣٨] ، فأحسن إسماعيل وفادته وأمر له بخيمة وأرسله إلى سمرقند فى جمادى الأولى ٢٨٧هـ/مايو ٩٠٠م[٣٩] ، وقال الأمير إسماعيل السامانى لأتباعه : « اعلموا أن عمرو بن الليث كان رجلا عالى الهمة معطاء ، كثير السلاح والعدة ، صاحب رأى وتدبير ، يقظا فى كل شىء ، وكريماً عارفاً للحق، وسأسعى جاهداً لإنقاذ حياته وفكاكه من الأسر» ، وأنفذ رسولاً إلى عمرو بن الليث يقول : « ليهدأ بالك فإننى بصدد الشفاعة لك لدى الخليفة لإنقاذ حياتك » ، لكن عمرا رد قائلاً : « إننى أعلم أنه لا خلاص لى من هذا الأسر أبداً ، وأنه لم يبق من العمر إلا أقله ، وأن الخليفة لن يرضى بغير موتى بديلا»[٤٠] ، وأردف قائلاً للرسول: قل لإسماعيل: «إنك

(٣٨) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص١٢٧ .
(٣٩) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٩٥ .
(٤٠) نظام الملك : سياست نامه ، ص٥٥ .

لم تهزمنى ، بل إن تدينك ، واعتقادك وحسن سيرتك ، وعدم رضى أمير المؤمنين عنى هى التى هزمتنى ، إن الله عز وجل هو الذى سلبنى الملك ووهبك إياه ، وأنت بهذه الهبة والنعمة والخيرات جدير ، أما أنا فقد قبلت قضاء الله عز وجل وحكمه ولا أبغى لك سوى الخير »، وقد عقب إسماعيل على قول عمرو بن الليث : « إن عمرو بن الليث يريد بحنكته وذكائه أن يحرز قصب السبق على الأذكياء فيوقعهم فى الفخ ويبتليهم بمحنة أبدية » ، وذكر عباس إقبال أن إسماعيل طلب من عمرو عشرين ألف ألف دينار مقابل إطلاق سراحه ، ثم تنازل فى النهاية عن نصف المبلغ ، فلما لم يرسل أصحاب عمرو المبلغ من سجستان ، ظل عمرو بن الليث رهين الأسر إلى أن سلمه إسماعيل إلى عمال الخليفة فى سمرقند(٤١) .

وبذلك امتد نفوذ السامانيين ليشمل أقاليم بلاد ما وراء النهر وخراسان وتركستان وجرجان، وأنفذ الخليفة المعتضد مرسوما لإسماعيل بن أحمد بذلك(٤٢)، وأرسل إليه خلعا جليلة ، فبعد أن لبس جميع الخلع قَبَّلَ مناشير الخليفة وقدم لها شروط التعظيم ، وكان يصلى ركعتين مع ارتداء كل خلعة(٤٣) .

### ٢ ــ الصعوبات التى واجهت السامانيين :

من ناحية أخرى تعرضت الدولة السامانية للاعتداءات الخارجية من قبل الزيدية بطبرستان وذلك عندما حاول محمد بن زيد العلوى صاحب طبرستان تجاوز حدود دولته لضم خراسان وجرجان ، فكتب إليه إسماعيل

---

(٤١) عباس إقبال : ايران بعد الإسلام ، ص١٢٧
، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٩٥ .
(٤٢) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص١٢٩ .
(٤٣) ميرخواند : روضة الصفا ، ص٨٣١ .

ابن أحمد : « إلزم عملك ولا تقصد خراسان »، لكنه أصر على تحقيق مطامعه ، وسار على رأس قواته نحو جرجان ، فالتقى عند بابها بالجيش السامانى بقيادة محمد بن هارون ، ودار خلال الصدام بين الجيشين عدة مناوشات تبادلا خلالها النصر والهزيمة ، إلى أن انتهت المعارك بانتصار السامانيين ، وجرح محمد بن زيد بجروح خطيرة مات على أثرها ، بينما حمل ابنه زيد بن محمد إلى الأمير إسماعيل بن أحمد الذى أكرم وفادته، وأنزله بخارى معززاً مكرماً ، من ناحية أخرى استمر الجيش السامانى فى تقدمه إلى أن دخل طبرستان سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م(٤٤)، فلما حقق محمد بن هارون الانتصارات على الزيدية ولاه إسماعيل بن أحمد جرجان وطبرستان مكافأة له على خدماته الجليلة التى أداها للسامانيين .

غير أن محمد بن هارون أعلن العصيان على الخلافة العباسية بعد أن اغتر بقوته ، فلما كاتبه أهل الرى بالمسير إليهم ليخلصهم من واليها من قبل الخلافة ، سار إليها وقتل واليها وضمها إلى حوزته سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م، فلما علم الخليفة المستكفى بذلك كتب إلى إسماعيل بالمسير إلى محمد بن هارون وطرده من الرى(٤٥)، فلما وصلت رسالة الخليفة إلى إسماعيل سار على رأس جيشه نحو الرى ، فانسحب منها محمد بن هارون متجها إلى قزوين ، لكن الجيش قام بمطاردته إلى أن وقع فى الأسر ، وحمل إلى بخارى وبقى هناك إلى أن لقى حتفه فى شوال ٢٨٩هـ/يناير٩٠٣م، وضم إسماعيل بن أحمد الرى وقزوين إلى أملاك الدولة السامانية(٤٦).

من ناحية أخرى قام إسماعيل بن أحمد بتوسيع رقعة دولته على

---

(٤٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ١٠ ، ص٩٣ .

(٤٥) Miles : Numismatic History of Rayy , P. 133 .

(٤٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص١٠٧ .

حساب الترك ، فسار على رأس الجيش السامانى نحو طراز ، وبعد حصار طويل وعدة حروب مع أميرها استولى عليها إسماعيل(٤٧) ، وتم الدعاء على المنابر باسم الخليفة العباسى المعتضد بالله ، وعاد إسماعيل إلى بخارى ، وقد حمل معه الكثير من الغنائم والأسرى الذين كان من بينهم إمرأة أميرطراز وأبوه(٤٨) .

لما رأى الأتراك من تطلع السامانيين إلى التوسع على حساب أراضيهم قاموا بشن هجمات متتالية متفرقة خلال عام ٢٩١هـ/ ٩٠٣م، فتصدى لهم السامانيون بقيادة الأمير إسماعيل السامانى، وردوهم وقاموا بمطاردتهم بعد أن ألحقوا بهم خسائر فادحة ، ولم يكتف إسماعيل بذلك ، بل قام بشن هجوم مفاجئ على أراضيهم واستولى منها على مواضع عدة سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م(٤٩) . وبذلك تمكن إسماعيل بن أحمد من تأمين حدود دولته .

هكذا ضمت الدولة السامانية فى أوج عظمتها بلاد ما وراء النهر وفارس والجبل وكرمان خلال حكم الأمير إسماعيل بن أحمد سنة٢٧٩ـ ٢٩٥هـ/ ٨٩٢ ـ ٩٠٧م، فضلاً عن طبرستان التى انتزعوها من أيدى الزيدية(٥٠)، ولمواجهة اتساع الدولة جعل الأمير ـ الذى اتخذ من بخارى مقراً له ـ فى كل ولاية نائبا عنه لإدارتها .

شهدت الدولة السامانية تقدما مذهلا فى كافة نواحى الحضارة وبلغ العلماء فى عهدهم منزلة العظماء، ويذكر المقدسى(٥١) عن حكمة أمراء

---

(٤٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٧٧ . .

(٤٨) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص٧٧ .

(٤٩) النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٣ ، ص١٧٢ .

ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص١١٤ .

(٥٠) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ١ ، ص٧١ .

(٥١) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص٢٩٠ .

الدولة وسيطرتهم على أمورها أنه : « لو أن شجرة خرجت على آل سامان ليبست » ، وليس أدل على ذلك من أن عضد الدولة لما تعرض للسامانيين وحاول انتزاع خراسان ، أهلكه الله وشتت ملكه وفرق جيوشه ومكن أعداءه من ممالكه فتبا لمن عاند آل سامان »[٥٢] .

كانت علاقة السامانيين بالخلافة العباسية طيبة ، وكان الأمراء يرسلون بالهدايا فى المناسبات المختلفة ولا سيما حال الانتصارات ، فأرسل أحمد بن إسماعيل الهدايا الجليلة إلى الخليفة العباسى مما استولى عليه من صد غارة الترك على المسلمين سنة ٣٠١هـ/ ٩١٢م، كما أرسل نصر الثانى بن أحمد هدية جليلة إلى الخليفة العباسي ومعها رأس أحد ثوار الديلم وهو ما كان بن كالى سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤٢م [٥٣] .

كان من أثر قيام الدولة السامانية وبسط نفوذها فى أواسط آسيا أن انتشر على أيديهم الإسلام فى تلك المناطق ، خاصة فى تركستان ، وفى بلاد ما وراء النهر ، فانتشر الإسلام فى بلاد ما وراء نهر سيحون ، وكاشغر فضلاً عن المناطق الواقعة فيما بين طشقندوفاراب[٥٤] ، وأمام قوة الإسلام تلاشت البوذية التى كانت تنتشر فى تلك البلاد وبخاصة فى بلخ ، بل أصبح علماء الفقه يلقون أعظم التقدير ، وقد نبغ الكثير منهم فى الاجتهاد ، منهم أبو حاتم محمد بن حيان السمرقندى بتصانيفه العديدة والذى كان الكثير من المحدثين يرحلون إليه ليتعلموا على يديه علم الحديث وبخاصة الجرح والتعديل واستفاد منه علماء الشريعة[٥٥] . كما برع فى الفقه أبو بكر

---

(٥٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص٢٩٣ .

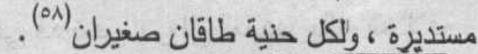
(٥٣) المقدسى : المصدر نفسه ، ص٢٩ .

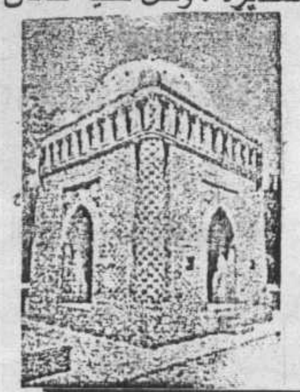
(٥٤) بارتولد : الحضارة الإسلامية ، ص٥٧ .

(٥٥) أحمد أمين : ظهر الإسلام ، جـ١ ، ص٢٦٥ .

محمد بن المنذر النيسابورى وكان إماما مجتهداً ت٣١٦هـ/ ٩٢٦م، ومن فقهاء الشافعية البارعين كان محمد بن على القفال الشاشى إمام عصره فى بلاد ما وراء النهر ، وله كثير من المؤلفات فى الفقه وأصوله، فضلاً عن أبى بكر أحمد ابن الحسين البيهقى ـ من بيهق التى تقع بالقرب من نيسابور ـ الحافظ الشافعى ، وهو أول من جمع نصوص الشافعى وأقام بنيسابور لنشر العلم وبقى فيها حتى وفاته[٥٦] ، وكان أبو منصور الماتريدى ـ ماتريد من أعمال سمرقند ـ إمام الحنفية فى المشرق ، كتب كتاب التوحيد وأوهام المعتزلة ومآخذ الشرع فى الفقه ، والجدل فى أصوله ت٣٣٣هـ/ ٩٤٤م[٥٧] .

توفى إسماعيل بن أحمد سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م، بعد أن قام بتوطيد أركان الدولة ، وأقيم له مشهدٌ عظيم يعد الأقدم من نوعه فى تاريخ العمارة الإسلامية فى المشرق ، ويوجد غرب مدينة بخارى ، ويتميز بوجود مناطق انتقال إلى القبة ويوجد فى كل واجهة عشرة عقود ، والقبة الكبيرة الرئيسية تقوم على أركانها الأربعة قباب صغيرة ، ويكتنف الحنايا زخارف مستديرة ، ولكل حنية طاقان صغيران[٥٨] .







(٥٦) أحمد أمين : ظهر الإسلام ، جـ١ ، ص٢٦٤ .

(٥٧) أحمد أمين : المرجع نفسه ، جـ١ ، ص٢٦٥ .

(٥٨) Creswell : Early Moslem Architecture , P. 283 .

لما ولى أحمد بن إسماعيل مقاليد الحكم الساماني بعد وفاة أبيه في منتصف صفر سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م، وحصل على تفويض من الخليفة المكتفي بحكم البلاد التي كان يليها أبوه إسماعيل وتلقب بأبي نصر[٥٩]، وجه اهتمامه للقضاء على الصفاريين بسجستان ، إلا أن عمه إسحق بن أحمد حاكم سمرقند، كان يمثل عقبة في سبيل طموحات أحمد بن إسماعيل، لذا قرر تحجيم تطلعاته باستدعائه إلى بخارى، وأمر باعتقاله سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م[٦٠] ، كما تصدى لأطماع القائد پارس كبير والي جرجان الذي استولى على أموال الخراج الواردة من الري وطبرستان بعد أن علم بوفاة إسماعيل بن أحمد (الذي لقب بعد وفاته بالأمير الماضي)[٦١]، فلما ولي أحمد بن إسماعيل سار على رأس الجيش إلى جرجان لتأديب پارس ، الذي ولى هاربا إلى بغداد ، بعد أن استأذن الخليفة المكتفي للمثول بين يديه فأذن له ، فسار إلى هناك على رأس أربعة آلاف شخص ، وخزينة ثقيلة محملة بالنقود الذهبية والفضية والأمتعة التي لا حصر لها ، فلما وصل إلى هناك كان المكتفي قد توفي ، وولي المقتدر بالله الخلافة فاهتم برعاية پارس واعتبره وأمواله غنيمة ، لكن أمراء الخليفة توجسوا منه خيفة ، واحتالوا على غلام من مماليكه ليدس له السم ، وارتاح خاطرهم جميعا من همه بعد التخلص منه[٦٢].

لما فرغ أحمد بن إسماعيل من الصعوبات التي تعرض لها في بداية

---

(٥٩) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ٦ ، ص١١٧ .

(٦٠) الكرديزي : زين الأخبار ، ص٢٣٨ .

(٦١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ١٠ ، ص١٣٧ .

، ميرخواند : روضة الصفا ، ص٨٣ .

(٦٢) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص١١٨ .

، ميرخواند : المرجع نفسه ، ص٨٥ .

حكمه ، عول على محاربة الصفاريين للاستيلاء على سجستان التى كان يلى أمرها المعدل بن على بن الليث الصفار ، فسار أحمد بن إسماعيل نحو بست والتقى مع محمد بن على بن الليث فى معركة كبيرة وألحق به الهزيمة وأخذه أسيراً ، وأنفذ أحمد فريقا من الجيش إلى سجستان بقيادة الحسين بن على ، فلما وصل إليها اضطر المعدل بن على بن الليث لعقد اتفاق مع القائد السامانى استلم بموجبه الحسين بن على سجستان وعاد إلى بخارى ، بصحبة المعدل بن على ، وولى أبو صالح منصور بن إسحق ولاية سجستان ٢٩٥هـ/٩٠٧م(٦٣) .

لما رأى السبكرى حاكم فارس ما تعرض له الصفاريون خشى أن يلقى مصيرهم ، فخرج على رأس جيشه لمحاربة السامانيين ، فلما علم بذلك أحمد بن إسماعيل أنفذ إليه جيشاً كبيراً ألحق به الهزيمة ، وتم أسر السبكرى وضمه إلى حليفه الأسير محمد بن على بن الليث ، وقام أحمد بإرسالهما إلى حاضرة الخلافة العباسية مع طائفة من الغلمان والخيول من الهدايا الثمينة(٦٤) ، وفى المقابل أرسل الخليفة المقتدر الخلع والهدايا لأحمد بن إسماعيل(٦٥) .

لم تستقر الأحوال بسجستان بسبب النزاع الذى نشب بين الحسين بن على والى سجستان والشيخ محمد بن هرمز الخارجى ـ أحد أشراف الإقليم ـ الذى دعا إلى عودة الصفاريين ، والتف حوله طائفة كبيرة من أهل الإقليم ، ودعوا سراً إلى عمرو بن يعقوب بن محمد بن عمرو بن الليث

---

(٦٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٢٠ .

(٦٤) عريب بن سعيد : صلة تاريخ الطبرى ، ص٣٧ .

(٦٥) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٢٠ .

، وانضم إليهم فى هذه الدعوة محمد بن العباس المشهور بأبى الحفار ، وتفاقم الأمر إلى حد القبض على والى سجستان وقتذاك منصور بن إسحق الذى كان قد ولى سجستان خلفا للحسين بن على، وإيداعه السجن وإقامة الخطبة لعمرو بن يعقوب على منابر سجستان .

أنفذ أحمد بن إسماعيل فريقا من الجيش السامانى تحت قيادة الحسين ابن على الذى ما إن وصل سجستان ، حتى فرض عليها الحصار مدة تسعة أشهر حتى وفاة المولى الصندلى ، وانهار التحالف الصفارى ، فطلب ابن هرمز وعمرو بن يعقوب الأمان مقابل إطلاق سراح الوالى السامانى منصور بن إسحق فقبل ذلك القائد السامانى وعاد إلى بخارى ومعه ابن الحفار وعمرو بن يعقوب فى رجب سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م[٦٦]، وقام أحمد بن إسماعيل بتولية ابن عمه منصور بن إسحق على نيسابور، وسيجور الدوائى على سجستان[٦٧] .

لما فرغ أحمد بن إسماعيل من توطيد سلطان السامانيين على سجستان وجه اهتمامه نحو طبرستان واستعمل عليها محمد بن نوح فقام بمهمته على أكمل وجه ، فلما توفى ابن نوح ولى أمرها محمد بن إبراهيم أبو العباس الذى أساء السيرة فى أهل طبرستان وبخاصة أشرافها، مما أثار غضب الديلم ، وانتهز الحسن بن على الأطروش[٦٨] هذه الفرصة للخروج

---

(٦٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٢٣ .

(٦٧) النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٣ ، ص١٧٤ .

(٦٨) الأطروش : أبو محمد الحسن على بن الحسن بن محمد الأشرف بن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن أبى طالب، ولد بالمدينة ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م، عاش فى طبرستان =

على طاعة السامانيين ، وقد تبعه كثير من الديالمة ، وأعلنوا جميعا الثورة وتصدوا للجيش الساماني وأوقعوا به الهزيمة عند شالوس في جمادى الأولى ٣٠١هـ/ ديسمبر ٩١٣م ، وامتدادا لنصر الأطروش اتجهوا إلى سارية واستولوا عليها ، ولم تستطع قوات السامانيين التصدي لهم[٦٩] ، وكان لهذا الانتصار أثر بالغ على السامانيين ، فلما ورد الخبر إلى الحاكم الساماني أحمد بن إسماعيل بتغلب الأطروش على طبرستان واستيلائه عليها ، حزن حزنا شديداً ، وكان وقتذاك في رحلة صيد ، فعاد إلى معسكره وأثناء الليل هاجمه فريق من غلمانه وقتلوه فلقب (بالشهيد) ودفن في بخاري في جمادى الآخرة سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م[٧٠] .

لما توفي أحمد بن إسماعيل خلفه في الحكم ابنه السعيد نصر الثاني

---

= خلال عهد الداعي الحسن بن زيد ، وفي عهد أخيه محمد بن زيد سار إلى نيسابور وعاش في كنف حاكمها محمد بن علي الخجستاني ، غير أن العلاقة تغيرت بينهما فسجنه الخجستاني وأمر بتعذيبه حتى فقد سمعه فلقب بالأطروش ، ولما أطلق سراحه عاد إلى طبرستان ، واشترك مع محمد بن زيد (القائم) في المعركة التي دارت بين القائم وبين محمد بن هارون قائد الجيش الساماني سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م، فلما لحقت الهزيمة بالقائم فر الأطروش إلى بلاد الديلم (دائرة المعارف الإسلامية ، جـ٢ ، ص٣٠٩) ، ومكث في بلاد الديلم يدعوهم إلى الإسلام لنحو ثلاثة عشر عاما وذلك على مذهب الزيدية ، ومن هناك سار إلى بلاد الجبل لاستكمال دعوته إلى الإسلام وتلقب (الناصر بالحق) ، وقام بالدعوة إلى الإسلام بين قبائل ساحل بحر قزوين ، ومن أهمها قبيلة جيلان ، ولما كثر أتباعه سار بهم إلى طبرستان سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م ، ودخلها بعد أن انتصر على عاملها الساماني محمد بن إبراهيم .
ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ٨ ، ص٢٦ .

(٦٩) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٢٧ .

(٧٠) عريب بن سعيد : صلة تاريخ الطبري ، ص٤٦ .

وكان في الثامنة من عمره فتولى مقاليد الأمور أحمد بن الليث في بادئ الأمر ثم صار قائداً للجند الساماني ، وتولى تدبير أمور الحكم أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني ، فقام بضبط الأمور على أكمل وجه(٧١) في داخل العاصمة بخارى ، بينما سادت الاضطرابات ولايات الدولة الأخرى، وذلك لصغر سن الحاكم ، ولقوة زعامة إسحق بن أحمد الساماني صاحب سمرقند بين أهالي ما وراء النهر(٧٢) ، فضلاً عن تطلع حكام الولايات والمدن إلى الاستقلال ومن بينهم محمد بن الحسين ، أبو الحسن بن يوسف، الحسين ابن علي المروزي ، أحمد بن سهل ، ليلى بن النعمان الديلمي زعيم العلويين بطبرستان ، وماكان بن كالي ، فضلاً عن إخوته يحيى ، ومنصور، وإبراهيم ، وابن داود ، ومحمد بن إلياس ، ونصر بن محمد ، ومرداويج ، ووشمكير .

على الرغم من انضمام أنصار أحمد بن إسماعيل إلى نصر الثاني بن أحمد فإن إسحق بن أحمد كان من أشد المناوئين له ، فقد اتخذ من سمرقند مركزا له ، وأنفذ رسالة إلى الخليفة العباسي يطلب إليه تعويضا بحكم الدولة السامانية على اعتبار أنه عميدها تفويضا ، ولم ينتظر رد الخليفة بل سار على رأس جيشه نحو بخارى للاستيلاء عليها ، فلما علم بذلك نصر بن أحمد ، بعث بفريق من الجيش الساماني إلى سمرقند بقيادة حموية بن علي

---

(٧١) النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧ ، ص١٧٥ .

(٧٢) ما وراء النهر : نهر جيحون وهو معروف باسم (Oxus) لدى الغرب الأوربي كما يسمى أموداريا أي نهر آمو ـ النرشخي : تاريخ بخارى ، ص٢٧ .
وعموده نهر خرياب ـ ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص١٧٣ .

الذى استطاع التغلب على إسحق بن أحمد ، بعد معارك عنيفة ، ودخل القائد حموية بن على سمرقند وأسر إسحق بن أحمد وبعث به إلى بخارى فظل هناك حتى وفاته(٧٣)، ولا شك أن هزيمة إسحق بن أحمد كان لها أثر بالغ فى توطيد نفوذ نصر بن أحمد ، حيث دعى باسمه على المنابر فى خراسان وما وراء النهر .

ومن ناحية أخرى خرج الأمير منصور بن إسحق والى نيسابور على طاعة نصر بن أحمد ، وتحالف مع الحسين بن على القائد السابق للجيش السامانى ، على أن يلى منصور بن إسحق خراسان مقابل تعيين الحسين ابن على نائبا له فى حالة الانتصار على نصر بن أحمد ، وسار الحسين بن على من هراة للانضمام إلى منصور بن إسحق وسارا معا نحو سمرقند ، إلاّ أن خيوط المؤامرة لم تكتمل لوفاة منصور بن إسحق ، فى الوقت الذى سار فيه حموية بن على قائد جيش نصر بن أحمد نحو سمرقند ، فلما اقترب منها ، ولى الحسين بن على هاربا إلى هراة(٧٤) .

لم يهدأ الحسين بن على بل ظل ينتهز الفرصة للثأر لهزيمته ، فلما لجأ إليه محمد بن حيدر صاحب شرطة بخارى ، الذى كان قد أرسل إلى نيسابور من قبل نصر بن أحمد غير أنه لم يتجه إليها وسار إلى الحسين بن على ، فلما وصل إلى هراة ، اتفق مع الحسين بن على ، على المسير إلى نيسابور للاستيلاء عليها ، وخرجا معا بعد أن استخلف الحسين بن على أخاه منصور على هراة ، أما نصر بن أحمد فأنفذ القائد أحمد بن سهل

---

(٧٣) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص٩٢ .

(٧٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٢٨ .

لمحاربة الحليفين والقضاء على حركتهما ، فسار إلى هراة وحاصرها واستولى عليها بعد أن استسلم واليها منصور بن على ، ومن هناك سار ابن سهل إلى نيسابور ، وهناك دار قتال شديد بين الطرفين فانهزم الحسين بن على ، وتم القبض عليه وإرساله إلى بخارى فى ربيع الأول سنة ٣٠٦هـ/ أغسطس ٩١٨م(٧٥)، وكان من نتيجة استسلام منصور بن على وهزيمة أخيه الحسين بن على أن سار محمد بن حيدر طائعا إلى القائد أحمد بن سهل فقبض عليه وبعث به إلى بخارى(٧٦).

لم تكد الأمور تستقر لنصر بن أحمد بعد القضاء على المناوئين لسلطته فى مرو وهراة ونيسابور حتى واجه حركة تمرد من أشد ما تعرض له ، فخرج قائد جيوشه أحمد بن سهل والذى كان من كبار قواد الأمير إسماعيل ابن أحمد وابنه أحمد بن إسماعيل وحفيده نصر بن أحمد ، وكان نائبا لعمرو بن الليث على مرو ، فقبض عليه عمرو ونقله إلى سجستان ، إلاّ أنه استطاع الفرار من سجستان واتجه إلى مرو واستولى عليها ، واستأمن إلى إسماعيل بن أحمد ببخارى فأكرمه وقدمه ورفع قدره ، فلما خرج الحسين ابن على خالعا طاعة السامانيين أنفذ إليهم أحمد بن سهل فظفر بهم ، ولما خرج على طاعة الأمير نصر بن أحمد قال : « لا ينبغى لأحمد بن سهل أن يغيب عن باب السلطان فإنه إن غاب عنه أثار شغلا عظيماً »(٧٧).

غير أن أحمد بن سهل سار إلى نيسابور فاستولى عليها ، وأسقط اسم

---

(٧٥) النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٣ ، ص١٧٦ .
(٧٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص١٦١ .
(٧٧) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص١٦٤ ــ ١٦٥ .

نصر بن أحمد من الخطبة وبعث إلى بغداد يطلب تفويضًا من الخليفة العباسى بحكم ما يلى من بلاد ، ثم اتجه إلى جرجان فاستولى عليها بعد هزيمة واليها قراتكين ، ثم سار إلى مرو وتحصن بها ، لما علم بخروج الجيش السامانى بقيادة حموية بن على لردعه ، وقد التقى العدوان اللدودان عند مروالروذ وبعد عدة معارك شرسة بين الطرفين حلت الهزيمة بابن سهل الذى أسر وحمل إلى بخارى ، وظل بها إلى أن توفى فى ذى الحجة ٣٠٧هـ/ أبريل ٩٢٠م(٧٨).

انتهز ليلى بن النعمان والى جرجان من قبل الزيدية بطبرستان فرصة انشغال الجيوش السامانية فى قتال بعضها البعض ، فسار إلى نيسابور للاستيلاء عليها ، فأنفذ إليه نصر بن أحمد جيشاً كبيراً بقيادة حمويه بن على الذى تقابل مع ليلى بن النعمان عند طوس ، فحلت الهزيمة بجيش حموية فى بادئ الأمر ، إلاّ أنه صمد فى القتال وأعاد تنظيم صفوف الجيش بمعاونة قادته أبى جعفر صعلوك ، وخوارمشاه ، وسيجمور الدواتى وتقاتلوا جميعا مع ليلى بن النعمان ، فحلت الهزيمة به وولى هاربا إلاّ أن حموية بعث من احتز رأسه وأنفذها إلى بخارى ومنها حملت إلى بغداد فى ربيع الأول ٣٠٩هـ/يوليو٩٢١م(٧٩).

كانت الدولة العباسية تستعين بالسامانيين لتوطيد نفوذها فى بلاد المشرق الإسلامى ، فلما خرج غلام يوسف بن أبى الساج والى الرى على طاعتهم ، أرسل المقتدر بالله إلى نصر بن أحمد تفويضا بحكمها ، وجاء

---

(٧٨) النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٣ ، ص٧٦ .

(٧٩) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ١٦٩ .

فى منشور التولية : « لما كنا قد عيناك على الرى ، فتوجه بنفسك إلى هذه الناحية » فسار إليها واستولى عليها فى جمادى الآخرة وعين عليها سيجمور الدواتى وعاد إلى بخارى(٨٠).

لم يمض وقت طويل حتى استدعى الأمير السامانى عامله على الرى وعين مكانه محمد بن صعلوك ، فلما مرض سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م، كاتب الداعى الحسن بن القاسم ، وماكان بن كالى فى القدوم ليسلم إليهما الرى ، فقدما إليه فسلم الرى إليهما وسار عنها ، فلما بلغ الدامغان توفى هناك(٨١)، وبعد عدة أيام قتل الداعى واستولى أسفار بن شيرويه الديلمى على الرى وطبرستان ، وقرأ الخطبة باسم الأمير نصر بن أحمد السامانى(٨٢)، حتى يأمن غضب الأمير السامانى . إلا أن أسفار أساء السيرة فى ولايته ، وصادر أموال الناس ، فكتب إليه الأمير السعيد نصر بن أحمد السامانى لكى يكف يده عن التصرفات غير المقبولة ، ومن ناحية أخرى اغتر أسفار بقوته وخرج على طاعة الخليفة المقتدر الذى أرسل إليه جيشاً غير أنه هزم(٨٣)، واستفحل خطر أسفار بن شيرويه حتى قتل على يد أحد كبار قواده وهو مرداويج بن زيار الديلمى(٨٤).

لم تقتصر الأخطار التى أحدقت بحكم نصر بن أحمد على ما تعرض

---

(٨٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص١٨٤ ـ ١٨٥ .

(٨١) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص١٨٥ .

ميرخواند : روضة الصفا ، ص٨٩ .

(٨٢) عريب : صلة تاريخ الطبرى ، ص١٣٢ .

(٨٣) عريب : المصدر نفسه ، ص١٣٢ .

(٨٤) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص١٩٨ .

له من جانب قواده وولاته ، بل خرج على طاعته أخوته أبو زكريا يحيى ، وأبو صالح منصور ، وأبو إسحق إبراهيم سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م ، بعد أن استطاع أبو بكر الخباز الأصبهانى المسئول عن التحفظ عليهم أن يخرجهم من محبسهم ببخارى ، بالاتفاق مع جماعة من العسكر مستغلين مسير الأمير السامانى من بخارى إلى نيسابور ، فاتجهوا إلى ممتلكات الأمير ونهبوا خزائنه ودوره وقصوره، فلما علم بذلك الأمير السامانى عاد إلى بخارى وتمكن من القبض على الخباز الأصبهانى ، وأمر بإحراقه فى التنور ونثر رماده فى النهر أما أبو بكر زكريا يحيى فسار إلى نيسابور وبها ماكان بن كالى فمنعه عنها ، ولما قارب الأمير السامانى هراة تركها يحيى وولى هاربا إلى بخارى ، ثم اتجه إلى سمرقند ، ولما لم يجد مفرا من مطاردة أخيه نصر بن أحمد طلب منه الأمان ، فبذله له ، الأمير السعيد بنيسابور فوافاه يحيى هناك ، فأكرمه وأحسن إليه فى جمادى الآخرة سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م(٨٥) .

انتهز مرداويج بن زيار والى الرى فرصة النزاع بين نصر بن أحمد وأخوته ، وسار نحو جرجان يريد الاستيلاء عليها سنة ٣٢١هـ/ ٩٣٣م، فلما علم أبو بكر محمد بن المظفر والى جرجان بذلك أرسل إلى نصر بن أحمد بنيسابور لدعمه ، لكن نصر بن أحمد طلب من وزيره محمد بن عبيد الله البلعمى أن يكتب إلى مرداويج يهادنه ويلقى الرعب فى قلبه ، فى الوقت نفسه قائلاً : « أنا لا أرى لك محاربة إنسان يطوف به مائة ألف رجل من غلمانه، ومواليه وموالى أبيه ، والرأى عندى أن تترك جرجان وتنزل عن

---

(٨٥) النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٣ ، ص١٧٧ .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

الرى ما لا تصالحه عليه »، فأعجب مرداويج برأيه وقبل مصالحة نصر بن أحمد[٨٦].

لما رأى ماكان بن كالى أحد قادة مرداويج من تخاذل قائده ، انقض عليه وجماعة من جنوده وقتلوه ، ثم انضموا إلى وشمكير بن زيار فسار بهم إلى الرى وأقاموا هناك ، وبدؤوا فى الاستعداد لغزو كرمان ، وفى الجانب الآخر أمر نصر بن أحمد القائد ماكان بن كالى أن ينضم إلى محمد بن المظفر والمسير إلى الرى للقضاء على حركة وشمكير بن زيار[٨٧] ، وفى الوقت نفسه تطلع بنو بويه للاستيلاء على كرمان ، بعد أن ظهر أمرهم واستيلاؤهم على بلاد فارس والجبل ، فلما علم بذلك إبراهيم بن سيمجور الدواتى قائد الجيش السامانى انصرف عن كرمان إلى خراسان سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م[٨٨].

وفى سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م سار أبو على بن محتاج قائد الجيش السامانى من خراسان إلى الرى لاستردادها من وشمكير ، الذى سار إلى طبرستان وأقام أبو على بالرى ، ومن هناك سير وشمكير الجيوش إلى بلاد الجبل فاستولى عليها ، وامتدت فتوحاته إلى حدود حلوان ، ورتب فيها العمال وجبى أموالها، وتحصن وشمكير بسارية ، فسار إليه أبو على وحاصره هناك إلى أن طلب الأمان فصالحه على طاعة الأمير نصر بن أحمد فى جمادى الآخرة سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٢م[٨٩].

---

(٨٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٢١٥ .

(٨٧) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص٢٣٠ .

(٨٨) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص٢٥٦ .

(٨٩) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص٢٨٧ .

مما يجدر ذكره أن الأمير نصر الثانى بن أحمد كان فى بداية حكمه من أكبر معارضى المذهب الإسماعيلى الشيعى ، فقبض على الداعى الحسن بن على المروزى وسجنه لما علم بقيامه بنشر الدعوة الإسماعيلية فى البلاد التابعة للأمير[٩٠]، وظل فى سجنه حتى توفى[٩١]، غير أن أبا عبد الله محمد بن أحمد النسفى تلميذ المروزى استطاع أن يضم إلى المذهب الإسماعيلى كثيرا من أهالى خراسان ، بعد أن عينه المروزى خلفا له ونائبا وعهد إليه بنشر الدعوة فى شرق الدولة الإسلامية ، وأوصاه أن يعبر نهر جيحون إلى بخارى وسمرقند لنشر الدعوة ، فعين النسفى خليفة له فى مروالروذ من زعماء الباطنية يقال له «ابن سوادة»، وسار إلى بخارى بعد أن أكد له طائفة من كبار أتباعة : « تعالى إلى الحضرة بخارى فستصل بدعوتك إلى عنان السماء فى أقصر وقت ، وندخل فى مذهبك العظماء والأعيان» ، وكانت خطة النسفى فى الدعوة أن يدعو الناس إلى الشيعة أولاً ثم يجرهم تدريجيا إلى السبعية ، وكان يأخذ على كل من يستجيب له عهداً بأن : « لا تبح بشيء لأحد ما لم أقل لك »، ودخل فى مذهبه رئيس مدينة بخارى وصاحب خراجها وكبار التجار ، وحسن ملك ، من خاصة الأمير نصر بن أحمد ، وعلى الزراد وكيل أعماله الخاص ، وكانوا من المقربين للأمير ومعتمديه ، فلما كثر أتباعه، وجه اهتمامه إلى الأمير نفسه، وأوعز إلى أصحابه من خاصة الأمير أن يذكروه بالخير أمام الأمير، فلما تم له ما أراد، مضوا به إلى الأمير نصر ، بعد أن أشادوا بعلمه وأكثروا من الثناء عليه ، حتى شغف به الأمير نصر من دهائه وحسن

---

(٩٠) ابن النديم : الفهرست ، ص٢٦٦ .

(٩١) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٨٣ .

سياسته ، وأخذ نصر بن أحمد يكرمه ويرفع من قدره[٩٢] .

فلما ازدادت مكانة النسفى وعلا شأنه جاهر بدعوته ، وسانده أتباعه الذين ازدادوا جرأة وقوة ، وأصبح صاحب الأمر والنهى فى دولة نصر الثانى بن أحمد الذى مال إلى الدعوة الإسماعيلية ، مما أثار حفيظة قادة الجند من الأتراك والعلماء وكبار رجال الدولة من السنيين ، وأخذوا يكيدون للنسفى ولأنصار المذهب الإسماعيلى ، وذهب العلماء إلى القائد الأعلى للجيش وقالوا له : « حذار حذار ، فالإسلام فيما وراء النهر فى محنة وضياع ، لقد أضل هذا النسفى ... الأمير وجعله قرمطيا وحرف الناس عن طريق الحق، ولقد آل أمره إلى حد يدعو فيه الناس إلى مذهبه جهاراً وعلانية ، لا نستطيع أن نلوذ بالصمت أكثر من هذا »، وفى اليوم التالى كلم قائد الجيش الأمير نصر الثانى بن أحمد فى الأمر دون جدوى ، فاجتمع قادة فرق الجيش واتفقوا على عزل الأمير السامانى والتخلص منه ومبايعة القائد الأعلى بالإمارة ، فلما علم بذلك نوح بن نصر مضى مسرعا إلى قصر أبيه، وأخبره بالأمر واتفق مع أبيه على التنحى ومبايعة نوح ، قائلا : «ولتتنح أنت عن العرش أمام قادة الجيش وتجعلنى وليا للعهد ... لأن الجيش لن يكون على وفاق معك بعد الآن وإنك ستنجو بهذا من قتلهم وتموت موتاً عادياً »[٩٣] .

لما نزل نصر الثانى بن أحمد عن الإمارة لابنه نوح سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٢م وجه اهتمامه إلى القضاء على الدعوة الإسماعيلية وأنصارها فى

---

(٩٢) نظام الملك : سياست نامه ، ص٢٦٢ ـ ٢٦٤ .

(٩٣) نظام الملك : المصدر نفسه ، ص٢٦٦ .

بلاده ، فدعا الفقهاء لمناظرة النسفى ، فلما تغلبوا عليه بحجتهم أمر بقتله ، وقتل كبار القواد الذين دخلوا فى المذهب الإسماعيلى ، فقضى رجال نوح سبعة أيام بلياليها يطوفون فى بخارى ، ونواحيها يقتلون الباطنية وينهبون ثرواتهم(٩٤).

توفى نصر الثانى بن أحمد فى نفس العام بعد حياة حافلة بالجهاد ضد أعداء الدولة التى أحدقت بها الأخطار الخارجية ، فضلاً عما تعرض له من نزاع وتنافس من جانب إخوته ، وقادة دولته ، إلاّ أن المصادر أجمعت على أنه كان حليما كريما عاقلاً ، وكان الشاعر أبو عبد الله جعفر بن محمد الرودكى ـ أبو الشعر الفارسى ـ قد مدحه قائلا :

اسعدى يا بخارى وعيشى طويلا ⁖ فإن الملك مقبل ضيفا عليك

الأمير سرو وبخارى بستان ⁖ والسرو يمضى نحو البستان

الأمير قمر وبخارى سماء ⁖ والقمر يسرى إلى السماء(٩٥)

لما ولى الأمير نوح بن نصر إمارة السامانيين تلقب بالأمير الحميد ، وفوض أمر وتدبير الدولة إلى أبى الفضل محمد بن أحمد الحاكم ، وأمر أبا على بن محتاج أن يخرج على رأس الجيش إلى الرى ويخلصها من يد ركن الدولة بن بويه ، فلما التقى الطرفان على مقربة من الرى ، انهزم ابن محتاج لخروج جماعة الأكراد التى كان يتألف منها جيشه عليه، وانضمامهم لركن الدولة ، فعاد إلى نيسابور سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٥م(٩٦)، غير أن أبا على لم يلبث أن أعاد الرى إلى حظيرة الدولة السامانية .

---

(٩٤) نظام الملك : سياست نامه ، ص٢٦٨ .

(٩٥) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص١٤٨ ـ ١٤٩ .

(٩٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٣١١ .

لم تنعم الدولة السامانية بالاستقرار فى بداية عهد الأمير نوح بن نصر، فخرج على طاعته قائد جيوشه أبو على بن محتاج ، وذلك بسبب إرسال الأمير نوح مندوبا من طرفه لضبط مال الرى، التى كان أبو على قد استردها ، فضلاً عن تفويض إمارة خراسان لسيمجور ، ومن ناحية أخرى اشتكى رؤساء الجيش وسائر الجنود من الوزير محمد بن أحمد بن الحاكم قائلين : « إن الوزير قد عقد عصابة العصيان وأبدى تصرفات غير لائقة ، واستولى على مبالغ من رواتبنا »، فلما تأكد من صدق دعواهم ، سلم إليهم الوزير فقتلوه فى جمادى الآخرة ٣٣٥هـ/ ديسمبر ٩٤٦م .

كذلك استولى إبراهيم السامانى الذى تحالف مع أبى على بن محتاج على خراسان ، وتوجها معًا إلى بخارى التى رحل عنها الأمير نوح إلى سمرقند ، ودخل أبو على بخارى وأمر أن يخطب فيها باسم إبراهيم السامانى، لكن الأمير إبراهيم السامانى عجز عن ضبط أمور الدولة ، فطلب الأمان من الأمير نوح بن نصر ، واتفق الطرفان على أن يكون الأمير نوح حاكما، والأمير إبراهيم قائداً للجيش ، وسر أهالى بخارى جميعا بهذا الاتفاق وأرسلوا الرسل إلى الأمير نوح الذى قدم من سمرقند إلى بخارى ، حيث استقبله إبراهيم بجيش بخارى لخدمته وتعانقا[٩٧] .

على الرغم من الاتفاق الذى تم بموجبه عودة الأمير نوح إلى مقر حكمه فإنه تعرض لحروب كثيرة مع الطامعين فى ملكه ، وظل الحال على ذلك حتى استقر فى حكمه سنة ٣٤١هـ/ ٩٥٢م، وبعد سنتين توفى نوح فى ربيع الآخر سنة ٣٤٣هـ/أغسطس ٩٥٤م، بعد أن دام حكمه اثنتى عشرة سنة[٩٨] .

---

(٩٧) ميرخواند : روضة الصفا ، ص٩٢ .

(٩٨) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص١٣٧ .

### ٣ ـ الدور الحضارى للدولة السامانية :

ومهما يكن من أمر فلم تؤثر الخلافات والحروب التى دارت بين الأمراء السامانيين وبين مخالفيهم والخارجين عن طاعتهم ، والطامعين فى الاستيلاء على ممتلكاتهم فى استمرار وازدهار عجلة التقدم فى الحاضرة والولايات التابعة لهم ، وليس أدل على ذلك من قيام أبى بكر محمد بن جعفر النرشخى من تأليف كتاب تاريخ بخارى الذى انتهى منه سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م، وقدمه للأمير الحميد نوح بن نصر السامانى(٩٩)، فضلاً عن استدعاء الطبيب الفيلسوف الشاعر الكبير ابن سينا لعلاج الأمير نوح بن نصر ، وظل يعالجه حتى أتم الله عليه الشفاء(١٠٠).

فلما نجح فى معالجته ، قربه الأمير وأغدق عليه ، وسمح له بالتردد على مكتبته الزاهرة بالمؤلفات ، والتى كانت عديمة المثل كما وصفها ابن خلكان(١٠١)، وقد قام ابن سينا بوضع تجاربه الطبية والصيدلانية فى كتابه الشامل : « القانون فى الطب »، الذى أصبح بحق المرجع الأساسى لهذا العلم فى كافة أرجاء العصور الوسطى(١٠٢)، ومن مصنفات ابن سينا التى تربو على المائة كتاب الشفاء فى الحكمة والنجاة والإشارات ، وهو يتعلق بعلوم الطبيعة والرياضيات ، وابن سينا فضلاً عن تفوقه فى الطب فهو يصنف من الأوائل فى الفلسفة ، فقد اشتغل بتحصيل الكتب وشرح النصوص ، وقرأ ما وراء الطبيعة لأرسطو ، وألف فى المنطق والفلسفة ، وشرح الهيات أرسطو ، وحاول التوفيق بين الفلسفة وعقيدة أهل السنة ، وله

---

(٩٩) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص٥ .

(١٠٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص١٥٢ .

(١٠١) ابن خلكان : المصدر نفسه ، جـ١ ، ص١٥٣ .

(١٠٢) بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، جـ٢ ، ص١١٦ .

رسائل قيمة فى الأنساب والنفس الإنسانية والعقل(١٠٣).

ومن أجمل قصائد ابن سينا وأدعاها للإعجاب قصيدته العربية المشهورة عن الروح ومنها :

هبطت إليك من المحل الأرفع .·. ورقاء ذات تعزز وتمنع

محجوبة عند كل مقلة عارف .·. وهى التى سفرت ولم تتبرقع

وغدت تغرد فوق ذروة شاهق .·. والعلم يرفع كل من لم يرفع

وهى التى قطع الزمان طريقها .·. حتى لقد عربت بغير مطلع

فكأنها برق تألق بالحمى .·. ثم انطوى فكأنه لم يلمع

ومن رباعياته المشهورة :

ما بين حضيض الأرض واوج زحل
استطعت حل مشكلات الفلك بغير ثقل
ونجوت بنفسى من أحاييل المكر والحيل
وحللت كل العقد ، ما عدا عقدة الأجل(١٠٤).

كما اشتهر فى عهد السامانيين الطبيب البارع والعبقرى الفذ أبو بكر محمد بن زكريا الرازى ، الذى أقبل على دراسة الطب بعد أن بلغ الأربعين من عمره ، وترك لنا تراثا طبيا هائلاً من خلال مؤلفاته التى من أهمها الحاوى الذى يقع فى ثلاثين مجلدا ، فضلاً عن الجامع والأعصاب

---

(١٠٣) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ، ص١٨١ .
ابن أبى أصيبعة : طبقات الأطباء ، جـ٢ ، ص٢ .
(١٠٤) براون : تاريخ الأدب فى إيران ، جـ٢ ، ص١٢٥ ، ١٢٧ .

والمنصورى الذى أهداه إلى أبى صالح منصور السامانى(١٠٥)، ووصف ابن النديم كتاب الحاوى ، وذكر أنه يتألف من أقسام رائعة تحتوى على معلومات قيمة عن علاج المرضى ، والأمراض وحفظ الصحة ، والجبر والجراحات ، فضلاً عن الأدوية والأغذية ، والأدوية المركبة ، ودراسة علم الأبدان ، والتشريح ومنافع الأعضاء ، وذيله بالمدخل إلى صناعة الطب وأسماء وأعلام الطب(١٠٦) . كما ألف الرازى كتبا قيمة عن الحمية المفرطة التى تضر الأبدان ، والأغذية النافعة والضارة ، وأعراض الجدرى والحصبة ، وعلاج حصوات الكلى والمثانة ، والفالج ، ووصف هيئة الكبد ، تحدث عن النقرس ، وأوجاع المفاصل ، والقلب ، وصناعة الطب بكل فروعها (١٠٧)، ومن أقواله الحكيمة فى الطب : « ومهما قدرت أن تعالج بالأغذية فلا تعالج بالأدوية ، ومهما قدرت أن تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب »(١٠٨) .

ويضيف ابن خلكان فى وصفه للرازى : « كان إمام وقته فى علم الطب ، متقنا لهذه الصناعة تشد إليه الرحال لأخذها عنه ، وتنقل فى بلاد كثيرة وأقام قبره عند السامانيين، وألف أكثر من مائتى كتاب »(١٠٩) .

تميزت عدة مدن فى هذا العهد بازدهار الحركات العلمية والأدبية ، فضلاً عن الطب فمن بينها أصبهان والرى فى فارس وبخارى وسمرقند فى بلاد ما وراء النهر ، ووصف الثعالبى بخارى بقوله : « كانت بخارى فى

---

(١٠٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٢ ، ص٧٨ .
(١٠٦) ابن النديم : الفهرست ، ص٤١٧ .
(١٠٧) ابن النديم : المصدر نفسه ، ص٤١٨ ـ ٤١٩ .
(١٠٨) ابن خلكان : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٧٨ .
(١٠٩) ابن خلكان : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص١٠٣ .

الدولة السامانية مثابة المجد ، وكعبة الملك ، ومجمع أفراد الزمان ، ومطلع نجوم أدباء الأرض وموسم فضلاء الدهر »(١١٠)، فقام الوزير أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهانى وزير نصر بن أحمد السامانى ، بتشجيع الحركة الأدبية فى بخارى ، وكان حسن النظر لمن قصده معينا له(١١١)، كذلك كان للوزير أبى على محمد بن البلعمى وزير منصور بن نوح السامانى ، أثر كبير فى النهضة الأدبية والحركة العلمية فى العهد السامانى ، أما فى سمرقند ، فقد برع أبو حاتم محمد بن حيان التميمى السمرقندى فى الحديث والفقه ، وولى القضاء وكان قبلة للناس لأخذ العلم عنه ت٣٥٤هـ/ ٩٦٥م، ومن المحدثين الفقهاء أيضًا أبو الليث نصر بن محمد السمرقندى الملقب بإمام الهدى ت٣٧٣هـ/ ٩٨٢م(١١٢).

من ناحية أخرى نشطت بخارى فى مضمار الآداب والعلوم ، وعاش العلماء فى ظل الأمراء السامانيين فى رغد من العيش وتفرغوا للإبداع ، فظهر فى عهدهم الرودكى زعيم الشعراء الفرس ، وبرع فى ظلهم الدقيقى، والفردوسى الذى نظم لنوح بن نصر السامانى منظومة كبيرة عن تاريخ الفرس أسماها الشاهنامة(١١٣). يقول الفردوسى : « فلما قرئت هذه القصص على الناس أعارتها الدنيا سمعها وقلبها ، وأولع بها العقلاء الحكماء»(١١٤).

---

(١١٠) الثعالبى : يتيمة الدهر ، جـ٣ ، ص٣٣ .

(١١١) ياقوت : معجم الأدباء ، جـ١٧ ، ص١٥٧ .

(١١٢) أحمد أمين : ظهر الإسلام ، جـ١ ، ص٢٦٥ .

(١١٣) الفردوسى : هو الحسن بن الطوسى ت٤١٦هـ/ ١٠٢٥م ، قدم نسخة عن الشاهنامة للسلطان محمود الغزنوى فيما بعد .
براون ، تاريخ الأدب فى إيران ، جـ٢ ، ص١٥٢ ـ ١٥٦ .

(١١٤) براون : المرجع نفسه ، جـ٢ ، ص١٦٨ .

وكلا الشاعرين الدقيقى والفردوسى ظهرا وعاشا فى ظل السامانيين. والشاهنامة تزكى الروح الوطنية، وتحيى ماضى الفرس العريق فى مجال التمدن والتحضر ، وفضلاً عن ذلك قام الوزير البلعمى ــ وزير المنصور السامانى ــ بترجمة تاريخ الطبرى إلى اللغة الفارسية(١١٥).

كما شهدت العمارة الإسلامية تقدما ملحوظا فى اتخاذ العقود ومناطق الانتقال ، والقباب المتنوعة الكبيرة والصغيرة ، فضلاً عن الزخارف الدقيقة، يتجلى ذلك فى مشهد الأمير إسماعيل بن أحمد السامانى الذى حكم بين سنتى ٢٧٩ــ٢٩٥هـ/ ٨٩٢ــ٩٠٧م، وهو من أقدم المشاهد فى تاريخ العمارة الإسلامية بعد مشهد قبة الصليبة(١١٦)، بناه الأمير السامانى فى الضواحى الغربية لمدينة بخارى ، ويعد من روائع فن العمارة التى ترجع إلى القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى ، وهو بحق من مفاخر العمارة السامانية ، وبخاصة أن زخارف الواجهة استخدم فيها قوالب الآجر بدقة متناهية بحيث تبدو للناظرين كأنها قطعة نسيج ، إلى جانب استخدام الأعمدة من الآجر أيضاً المدمجة فى البناء(١١٧).

واشتهرت سمرقند فى العهد السامانى بصناعة الخزف ، فأنتجت تحفا خزفية تمتاز ببساطتها واتزانها مع جمال ألوانها وإبداع زخارفها ، فبدت ذات مسحة فنية ممتازة ، وعثر على كميات وافرة من الخزف المحفوظ

---

(١١٥) فيليب حتى : تاريخ العرب ، ص٤٦٣ .

(١١٦) مشهد الصليبة : قبة الصليبة فى سامراء بنيت على الضفة الغربية لنهر دجلة ، فوق قمة تل ، ولا تزال أنقاض المشهد باقية ، وكان مقاماً على قاعدة مثمنة ، قامت ببنائه أم الخليفة المنتصر بعد موته فى ربيع الثانى ٢٤٨هـ/ يونيو ٨٦٢م .
Creswell : Early Moslem Architecture vol. II, P. 367.

(١١٧) Creswell : op. cit., vol, II, P. 283 .

حاليا فى سمرقند ، ومتحفى الهرميتاج ، وألبرت وفيكتوريا ، ويغلب على هذا الخزف استخدام الأرضية الداكنة ، واستخدام زخارف بديعة يظهر فيها اللون الأحمر . وقوام الزخارف رسوم نباتية ، ومراوح نخيلية ، ورسوم طيور وبخاصة البط والبجع ، إلى جانب كتابات بالخط الكوفى الدقيق ، وهى تدور فى منظومة غاية فى الرقى حول مركز واحد[١١٨] .



(١١٨) زكى حسن : الفنون الإيرانية ، ص١٦٧ .

اشتهرت سمرقند فى عهد السامانيين بصناعة الورق الذى يصنع من الكتان ويسمى الكاغد ، حتى قيل إن كواغيد سمرقند عطلت قراطيس مصر (ورق البردى)(١١٩)، وبدأ استخدامه منذ سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م، وانتقلت صناعته من سمرقند إلى كافة حواضر الخلافة ، ورغم ذلك ظلت سمرقند أكبر مركز لصناعته(١٢٠).

كذلك ازدهرت فى عهدهم صناعة المنسوجات على اختلاف أنواعها، وكانت أهم مراكز صناعة القطن تقع فى مرو ونيسابور ، واشتهرت مدينة بم شرق كرمان بالطيالس وهى الثياب الفاخرة ، وكانت الملابس الكتانية تصنع بفاس حتى عرفت بدمياط الأعاجم(١٢١).

ومهما يكن من أمر فلم يظهر بعد نوح نصر السامانى أمير قدير من السامانيين ، وأخذت بوادر الانهيار تظهر فى أوصال الدولة منذ منتصف القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى ، بسبب وقوع النزاع بين الأمراء وضعفهم ، وخروج القادة وكبار رجال الدولة عليهم ، فلما توفى نوح بن نصر ، ولى ابنه الأمير الرشيد عبد الملك بن نوح وكان فى العاشرة من عمره ، فطمع الولاة فى ولاياتهم ، ودارت منازعات كثيرة فى خراسان وهراة ، وفى سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م وقع الأمير عبد الملك من فوق ظهر جواده أثناء لعب الصولجان ومات لساعته(١٢٢).

ولى إمارة السامانيين الملك المظفر أبو صالح منصور بن نوح بعد وفاة أخيه ، وتطلع البويهيون إلى امتلاك بلاده ، فقامت الحرب بين منصور بن

---

(١١٩) الثعالبى : لطائف المعارف ، ص١٢٦ .

(١٢٠) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ٢ ، ص٣٠٩ .

(١٢١) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص٢٣٤ .

(١٢٢) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص١٣٩ .
، ميرخواند : روضة الصفا ، ص٩٥ .

نوح السامانى وركن الدولة بن بويه ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م، وظل العداء قائماً بين الطرفين حتى تم الصلح بينهما سنة ٣٦١هـ/ ٩٧٢م ، على أن يرسل ركن الدولة سنويا مائة وخمسين ألف درهم نيسابورية[١٢٣] ، وقد حكم الأمير منصور خمس عشرة سنة ، وأثر عنه العدل والإنصاف وتوفى منتصف شوال سنة ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م[١٢٤].

لما توفى منصور بن نوح ولى حكم السامانيين الأمير الرضى نوح بن منصور بن عبد الملك ، واتخذ من أبى الحسين سيمجور مستشاراً له ، وأسند الوزارة إلى أبى الحسين العتبى ، فانتظمت بكفايته شئون الملك على أتم وجه ، واستهل هذا الأمير حكمه بخروج واليه على سجستان خلف بن أحمد الذى امتنع عن إرسال الخراج ، فأرسل إليه جيشًا بقيادة ابن أخته الحسين بن طاهر الذى ظل محاصرا له سبع سنوات دون أن يظفر به ، ولذلك قلت هيبة السامانيين فى القلوب ، وقامت الفتن والحروب فى مناطق عديدة بسبب التآمر على الوزير العتبى وقتله على أيدى سيمجور وتاش والاستيلاء على نيسابور ، وبعد أن استولى أبو الحسين سيمجور على خراسان بعث إلى الأمير السامانى يطلب العفو وتوليته رسميا على خراسان، فقبل الأمير نوح ملتمسه وأعطاه الإمارة فارتفع شأنه ، لكنه لم يلبث أن أنكر الجميل واتصل ببغراخان[١٢٥] (من نسل افراسياب)[١٢٦]، وحرضه على طلب ملك

---

(١٢٣) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص١٤١ .

(١٢٤) تاريخ كزيدة ، فصل ٢ ، باب ٤ ، للمستوفى القزوينى ، نقلاً عن الترجمة الواردة فى تاريخ بخارى للنرشخى ، ص١٥١ .

(١٢٥) بغراخان : هو لقب حكام الدولة الخاقانية أو الإيلك خانية ، وهم ملوك ترك حكموا بلاد ما وراء النهر نحو مائتين وثلاثين سنة ٣٨٠ ـ ٦٠٩هـ/ ٩٩٠ ـ ١٢١٢م .
نظامى العروضى : جهار مقالة ، ص١٤١ .

(١٢٦) افراسياب : بطل تركى يعتبر جد الطورانيين ، ورد ذكره فى الشاهنامة للفردوسى ؛ الفردوسى : الشاهنامة ، ترجمة عبد الوهاب عزام ، جـ١ ، ص٨١ .

السامانيين ، فتوجه بغراخان إلى بخارى ، فأنفذ له الأمير السامانى جيشاً عظيماً بقيادة آبج الحاجب ، إلاّ أن الجيش السامانى انهزم ووقع قائده فى الأسر ، فلما علم بذلك الأمير نوح ولى هاربا من بخارى واتجه إلى جرجان، فاستقبله واليها المأمون بن محمد الفريغونى واحتفى به ، ودخل بغراخان بخارى وجلس على سرير الملك ، لكن الأمور لم تصف له ، فأصيب بمرض عضال قرر على أثره الرحيل إلى تركستان فمات فى الطريق ، وعاد الأمير نوح بن منصور إلى دار الملك(١٢٧) .

غير أن النزاع والتنافس لم يلبث أن اشتعل بين قادة الجيش وكبار رجال الدولة السامانيين ووقوفهم ضد الأمير السامانى ، مما اضطر الأخير إلى الاستعانة بالأمير سبكتكين فتوجه مع ابنه محمود إلى بخارى وسارا لحرب سيمجور وحليفه فائق والى بلخ(١٢٨) ، فلجأ الحليفان إلى فخر الدولة الديلمى الذى احتفى بهما وترك لهما جرجان ، بينما أعطى الأمير نوح إمارة خراسان للأمير سبكتكين ولقبه ناصر الدين ، ولقب ابنه سيف الدولة سنة ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م، وظلت ولايات الدولة السامانية فى صراع دائم

---

(١٢٧) حمد الله مستوفى : گزيدة ، الترجمة بكتاب بخارى للنرشخى ، ص١٥٤ .

(١٢٨) بلخ من مدن خراسان الكبرى ، حيث يحيط بها ثلاثة أسوار ، ولها ثلاثة عشر بابا تمتاز بتوسطها إقليم خراسان ، حيث تقع على بعد ثلاثين مرحلة من كل من فرغانة وكابل وكرمان وكشمير وخوارزم والملتان .

اليعقوبى : البلدان ، ص٢٨٧ ــ ٢٨٨ . وتمتاز بلخ بحسن الموقع وسعة الطرق ، بهجة الشوارع ، وتعتمد فى اقتصادها على الزراعة التى تدر على خزانة سلطانها المال الوفير فى كل عام .

المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص٣٠١ ــ ٣٠٢ .

لسترنج : بلدان الخلافة ، ص٤٦٣ .

ومنازعـات حـتى توفى نوح بن منصـور فى رجب ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م فى بخارى[١٢٩] .

ولى أبو الحارث منصور بن نوح بن منصور الملك بعد أبيه وحكم سنة وسبعة أشهر ، وولى فائقا الإمارة ، وأبا مظفر العتبى الوزارة ، لكن جماعة من قادة أركان دولته اتصلوا بإيلك خان، ودعوه للاستيلاء على بخارى ، فلما سار إليها واقترب منها ، ولى الأمير السامانى هاربا ، لكنه لم يلبث أن استعاد ملكه بمعاونة فائق ودخلا بخارى ، لكن فائقا تآمر مع بكتوزون حاكم خراسان ضد الأمير السامانى ، فقبضا عليه فى الطريق إلى حاضرة ملكه وسملا عينيه سنة ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م[١٣٠]، وأجلسوا أخاه عبد الملك الذى كان طفلا على العرش ، فلما علم سيف الدولة محمود بن سبكتكين بالخبر أرسل إليهما رسولاً ليلومهما على إضاعة حق ولى النعمة ، وهتك الحرمة ، فردا عليه بالخداع ووعدا بالرعاية والعناية لعبد الملك بن نوح لكنه لم يقبل، وذلك لحميته الإسلامية وغيرته الدينية ، واتجه نحوهما فاستولى عليهما الرعب والخوف واضطربا على فعلتهما[١٣١] .

وفى ذلك الوقت توجه إيلك خان[١٣٢] من كاشغر إلى بخارى ، وأرسل رسالة ودية إلى الأمير السامانى الذى اغتر بزخارف قوله ، وأرسل الأعيان

---

(١٢٩) حمد الله المستوفى : تاريخ گزيدة ، ص١٥٥ .

(١٣٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص١٩٧ .

(١٣١) ميرخواند : روضة الصفا ، ص١١٠ ـ ١١١ .

(١٣٢) ايلك خان : هو أبو نصر أحمد بن على ولقبه شمس الدولة .
ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٧ ، ١٩٧ .

والقواد والأمراء إلى استقباله ، فلما استقر إيلك فى بخارى أمر بالقبض عليهم جميعا ، بينما ولى عبد الملك هاربا فى ذى القعدة ٣٨٩هـ/ أكتوبر ٩٩٩م(١٣٣)، وبذلك ضاع ملك السامانيين . **« وانقضت دولتهم كأن لم تغن بالأمس كدأب الدول قبلها . إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار »**(١٣٤) .

---

(١٣٣) البيهقى : تاريخ البيهقى ، ص٦١٦ .

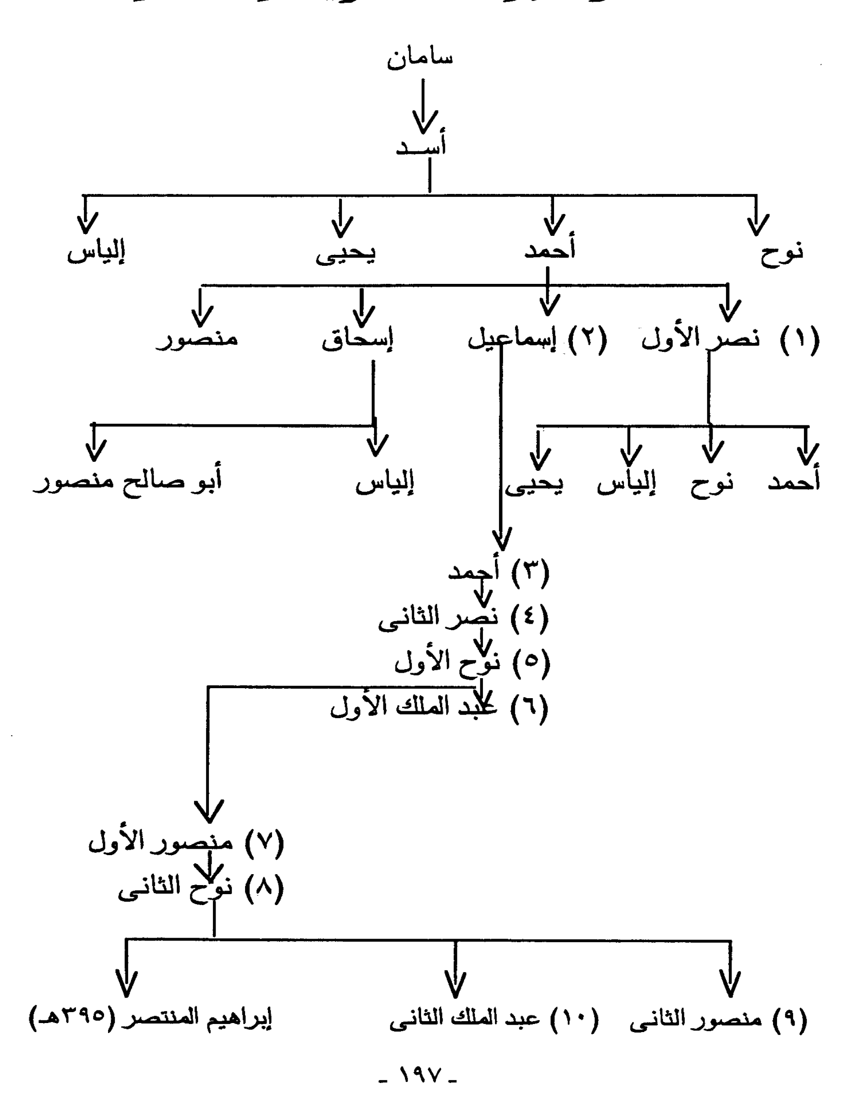
(١٣٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص١٩٧ .

# جدول

## بأسماء حكام الدولة السامانية

| هجرى | ميلادى | اسماء الأمراء |
|---|---|---|
| ٢٦١ | ٨٧٤ | نصر الله بن أحمد |
| ٢٧٩ | ٨٩٢ | إسماعيل بن أحمد |
| ٢٩٥ | ٩٠٧ | أحمد بن إسماعيل |
| ٣٠١ | ٩١٣ | نصر الثانى بن أحمد |
| ٣٣١ | ٩٤٣ | نوح الأول بن نصر |
| ٣٤٣ | ٩٥٤ | عبد الملك الأول بن نوح |
| ٣٥٠ | ٩٦١ | منصور الأول بن نوح |
| ٣٦٦ | ٩٧٧ | نوح الثانى بن منصور |
| ٣٨٧ | ٩٩٧ | منصور الثانى بن نوح الثانى |
| ٣٨٩ | ٩٩٩ | عبد الملك الثانى بن نوح الثانى |

# مشجرهم وتسلسل توليهم الحكم





# الفصل الخامس

# الدولة البويهية

**وازداد أمر الخلافة إدبارًا**

**ولم يبق لهم من الأمر شيء البتة**



## الفصل الخامس

## الدولـة البويـهيـة

### ١ ـ ظهور بنى بويه واتساع نفوذهم :

لما ضعفت الإدارة المركزية للدولة العباسية وأصبحت غير قادرة على ضبط أمور الأقاليم التابعة لها ، استقلت معظم الولايات وخضعت لحكومات أقليمية مستقلة غير خاضعة للنفوذ العباسى ، اللهم إلاّ من ذكر اسم الخليفة فى الخطبة ، وكان من بين هذه الحكومات الإقليمية ؛ البويهيون وهم من العناصر الفارسية التى سيطرت على بعض بلدان الخلافة الإسلامية ولعبت دوراً هاماً فى سياستها الداخلية والخارجية .

يرجع أصل بنى بويه إلى طوائف الديلم التى كانت قد اتخذت من الجهات التى تقع فى الجنوب الغربى لبحر قزوين موطنا لها ، وكانت بلاد الديلم خاضعة للامبراطورية الفارسية حتى تم فتحها فى عهد الخليفة عمر ابن الخطاب ، غير أنهم ظلوا على وثنيتهم فى ظل التسامح الإسلامى وكانت لهم علاقات حسن الجوار مع أهل طبرستان ، وظل الحال على ذلك حتى من قبل الطاهريين على حدود الديلم ، لكن العلاقات تبدلت بين الطرفين إلى العداء ، فلما غلب الحسن بن زيد على طبرستان ، وأقام الدولة الزيدية بايعه أهل الديلم ونصروه ودخل كثير من أهل الديلم فى الدين الإسلامى على عهد محمد بن زيد أخى الحسن ، إلاّ أن الحسن بن على الملقب بالأطروش (ت٣٠٤هـ/٩١٦م) كان له الفضل الأكبر فى دعوة أهل الديلم إلى اعتناق الإسلام ، وظل يدعوهم نحو ثلاث عشرة سنة ، فأثمرت دعوته وأسلم منهم خلق كثير كان من بينهم بنو بويه .

أسس بنو بويه إمارة وراثية دامت مائة وثلاثة عشر عاما (٣٣٤ ـ

٤٤٧هـ/ ٩٤٥ ـ ١٠٥٥م) ، وكان الخليفة خلال الحكم البويهى لا يعدو كونه رمزاً دينياً لإضفاء الصفة الشرعية على حكم الأمراء المستقلين على إماراتهم[١]، وقد امتدت مناطق نفوذ الدولة البويهية إلى بلاد الجبل وأقاليم خوزستان وفارس وكرمان ، فضلا عن مناطق العراق والجزيرة[٢]، فأقام أمراؤها دولة قوية عظيمة النفوذ فى شرق العالم الإسلامى ، فكانت فارس فى يد عماد الدولة بن بويه، والرى وأصبهان والجبل فى يد ركن الدولة بن بويه ، وما وراء النهر فى أيدى السامانيين ، وطبرستان فى يد الديلم[٣].

وقد استسلم الخلفاء العباسيون للأمر الواقع بعد أن ازداد أمرهم إدباراً على حد قول ابن الأثير[٤]، والواقع أن الخليفة العباسى مصدر الحكم الشرعى ، كان يصدر منشوراً بتولية من يستولى على الإمارات والأقاليم فى شرق الدولة الإسلامية ؛ بل ازداد الأمر سوءاً فى حاضرة الخلافة نفسها فكان الأمير البويهى هو الحاكم الفعلى والمسيطر على إدارة الخلافة العباسية كلها . فكان يخلع عليه الخلع ، فضلا عن منشور التولية الصادر عن الخليفة ويتضمن : « أفوض إليك ما وكل الله تعالى إلىّ من أمور الرعية فى شرق الأرض وغربها »[٥].

كان بنو بويه من أهالى بلاد الديلم[٦]، ولما كانت طوائف الديلم قد اتخذت من حياة الجندية سبيلا للعيش والارتزاق فانحازت كل طائفة من

---

(١) ابن دحية : النبراس فى تاريخ بنى العباس ، ص١٢١ .
(٢) ابن الساعى : مختصر أخبار الخلفاء ، ص٨٣ .
(٣) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص٣٥٠ .
(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٣١٥ .
(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٧ ، ص٩٩ ـ ١٠٠ .
(٦) بلاد الديلم : تقع بأرض الجبال قرب بحر قزوين .
ياقوت : معجم البلدان ، بيروت ١٩٧٩ ، مجلد ٤ ، ص٢٤٢ .

طوائفهم إلى أحد رؤساء الديلم الأقوياء ، والتحق بنو بويه بخدمة القائد الديلمى (ماكان بن كاكى)(٧) .

وظلوا على هذه الحال إلى أن تطور النزاع بين ماكان بن كاكى ومرداويج بن زيار الديلمى إلى عدة حروب بينهما ، انتهت بانتصار مرداويج بن زيار واستيلائه على ماكان بيد (ماكان بن كاكى) من نواحى طبرستان وجرجان(٨) . فلما رأى على بن بويه وأخوه الحسن ضعف أمر رئيسهم ماكان بن كاكى وعجزه عن تدبير أرزاقهم ، استأذناه فى ترك خدمته لتخف عنه مؤنتهما على أن يرجعا إليه إذا صلح أمره(٩) .

سار على بن بويه وأخوه الحسن مع من انضم إليهما من قواد ماكان ابن كاكى إلى مرداويج بن زيار ، الذى رحب بهم وأسند إلى كل قائد منهم ناحية من نواحى بلاده(١٠) ، فولى على بن بويه (أكبر أخوته) بلاد الكرج(١١) . وبينما كان على بن بويه ينزل فى الرى(١٢) وهو فى طريقه إلى

---

(٧) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، كتاب التحرير ، سنة ١٩٦٧ ، مجلد ٢ ، ص٥٩٧ .
محمد بن عبد الملك الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ، كتاب ذيول تاريخ الطبرى ، دار المعارف ١٩٧٧ ، ص٢٥١ .
(٨) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص٢٧٦ .
(٩) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ١٩٧٩ ، مجلد ٣ ، ص٣١٥ .
(١٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٢٣١ .
ابن خلدون : المصدر نفسه ، مجلد ٣ ، ص٣٩٥ .
(١١) الكرج : بفتح أوله وثانيه . مدينة بين همذان وأصبهان .
ياقوت : معجم البلدان ، مجلد ٤ ، ص٤٤٦ .
(١٢) الرى : مدينة تقع على بعد مائة وستين فرسخا من نيسابور ، وسبعة وعشرين فرسخا من قنوين ، وهى قصبة بلاد الجبال .
ياقوت : المصدر نفسه ، مجلد ٣ ، ص١١٦ .

ولايته وصلت رسالة من مرداويج بن زيار إلى أخيه وشمكير بن زيار الذى كان يلى بلاد الرى ، يأمره فيها بصرف هؤلاء القادة وردهم إليه بعد أن ساورته الشكوك نحو ولائهم ، فصرفهم عدا على بن بويه الذى استطاع الخروج إلى ولايته بمساعدة أبى عبد الله الحسن بن محمد الملقب بالعميد ، وزير وشمكير ، لما رآه فيه من الكرم وحسن التدبير(١٣) .

ولما استقام الأمر لعلى بن بويه فى بلاد الكرج اتجه إلى أصبهان على رأس تسعمائة رجل ، فاستولى عليها بعد أن انتصر على واليها العباسى ، المظفر بن ياقوت الذى كان يقود جيشا قوامه عشرة آلاف مقاتل، فعظم أمره وقويت شوكته(١٤) .

استقر رأى مرداويج بن زيار - بعد أن استفحل أمر على بن بويه - على القضاء عليه ، فأنفذ إليه جيشا بقيادة أخيه وشمكير فاضطر على بن بويه إلى السير نحو أرّجان(١٥) وضمها إلى حوزته سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م(١٦) . ثم اتجه إلى مدينة النوبندجان(١٧)، بعد أن مكث فى أرّجان مدة أربعة أشهر

---

(١٣) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص٢٧٨ .

(١٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٢٣٢ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد ٣ ، ص٣٩٥ .

(١٥) أرجان : بفتح أوله وتشديد الراء ، مدينة كبيرة بين شيراز وسوق الأهواز على بعد ستين فرسخا من كل منهما .
ياقوت : معجم البلدان ، مجلد ١ ، ص١٤٣ .

(١٦) مسكويه : المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٢٨٠ .
ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، حيدر أباد الدكن ، سنة ١٣٥٧هـ ، جـ٦ ، ص٢٧٠ .

(١٧) النوبندجان : بالضم وباء مفتوحة ، مدينة من أرض فارس من كورة سابور ، بينها وبين أرجان ستة وعشرون فرسخا .
ياقوت : المصدر نفسه ، مجلد ٥ ، ص٣٠٧ .

استطاع خلالها جباية الأموال ، ولم يلبث أن رحل عنها إلى مدينة اصطخر[١٨] ، ومنها إلى البيضاء[١٩] ، حتى إذا ما بلغ مدينة شيراز[٢٠] ، دخلها واستقر بها واتخذها قاعدة له سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م[٢١] .

ولما استقرت الأمور لعلى بن بويه فى شيراز ، كتب إلى الخليفة العباسى الراضى (٣٢٢ ـ ٣٢٩هـ/٩٣٤ـ٩٤١م) أن يفوضه أعمال فارس التى بسط سلطانه عليها ، على أن يدفع ألف ألف درهم فى كل سنة[٢٢] . فوافق الخليفة الراضى على ذلك ، وأرسل إليه الخلعة والتفويض واللواء مع أحد رسله ، فتسلم على بن بويه التفويض وبذلك أصبح واليا شرعيا على إقليم فارس من قبل الخلافة العباسية[٢٣] ، ثم عمل على كسب رضاء مرداويج بن زيار الديلمى ، فأقام له الخطبة على منابر البلاد التى بسط سلطانه عليها[٢٤] .

غير أن مرداويج بن زيار الديلمى ما لبث أن قتل على يد جنوده

---

(١٨) اصطخر : بكسر أوله : بلدة بفارس بينها وبين شيراز اثنا عشر فرسخا .
ياقوت : معجم البلدان ، مجلد ١ ، ص٢١١ .

(١٩) البيضاء : مدينة بفارس بينها وبين شيراز ثمانية فراسخ .
ياقوت : المصدر نفسه ، مجلد ١ ، ص٥٢٩ .

(٢٠) شيراز : بالكسر ، قصبة بلاد فارس .
ياقوت : المصدر نفسه ، مجلد ٣ ، ص ٣٨٠ .

(٢١) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص٢٩٨ .
ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٦ ، ص٢٧٠ .

(٢٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٢٣٥ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد ٣ ، ص٣٩٦ .

(٢٣) مسكويه : المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٣٠٠ .
عبد الملك الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ، ص٢٩٢ .

(٢٤) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص٢٣٩ .

الأتراك الذين تآمروا عليه سنة ٣٢٣هـ/٩٣٥م[٢٥]. وكان من نتيجة ذلك أن تفرق جند مرداويج وانضم فريق منهم إلى على بن بويه[٢٦]، مما أتاح الفرصة أمام البويهيين للتوسع فى بلاد فارس ، فسير على بن بويه أخاه الحسن على رأس جيش كبير إلى بلاد العراق ، فتم له الاستيلاء على أصبهان وهمذان[٢٧] والرى ، كما أنفذ على بن بويه أخاه الأصغر أحمد إلى كرمان[٢٨] فاستولى عليها دون مقاومة تذكر سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م[٢٩]، بعد أن فر واليها محمد بن إلياس بن اليسع الصفدى إلى سجستان[٣٠]، ثم تقدم أحمد بن بويه نحو الأهواز[٣١] فاستولى عليها سنة ٣٢٦هـ/٩٣٨م[٣٢].

كان على بن بويه يهدف إلى مد سلطانه على العراق بعد أن وصل إلى علمه ضعف الخلافة واضطراب أمورها ببغداد ، غير أنه شغل عن ذلك

---

(٢٥) الصولى : أخبار الراضى بالله والمتقى لله ، مطبعة الصاوى ، القاهرة سنة ١٩٣٥ ، ص٢٠ ـ ٢١ .
المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، مجلد ٢ ، ص٦٠٤ .

(٢٦) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص٣١٥ .
ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص١٨٢ .

(٢٧) همذان : مدينة مشهورة من مدن بلاد الجبال .
ياقوت : معجم البلدان ، مجلد ٥ ، ص٤١٠ .

(٢٨) كرمان : بالفتح ، ولاية تقع بين فارس ومكران وسجستان وخراسان .
ياقوت : المصدر نفسه ، مجلد ٤ ، ص٤٥٤ .

(٢٩) مسكويه : المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٣٥٣ .

(٣٠) سجستان : بكسر أوله وثانيه ، ولاية واسعة مدينتها زرنج .
ياقوت : المصدر نفسه ، مجلد ٣ ، ص١٩٠ .

(٣١) الأهواز : كورة بين البصرة وفارس ، من مدنها سوق الأهواز .
ياقوت : المصدر نفسه ، مجلد ١ ، ص٢٨٥ .

(٣٢) مسكويه : المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٣٨٢ ـ ٣٨٣ .

بأمور بلاد فارس ، فعهد إلى أخيه أحمد بن بويه بتنفيذ هذه المهمة وسيره إلى العراق[٣٣] . وكانت هذه البلاد تعانى من الاضطراب وسوء الأحوال ، فقد تجلى منذ بداية عهد الخليفة الراضى (٣٢٢هـ/٩٣٤م) عجز الوزراء عن إدارة الدولة ، بينما ازداد نفوذ القواد من الأتراك[٣٤] ، مما حمل هذا الخليفة على استدعاء محمد بن رائق أمير واسط والبحيرة إلى بغداد وذلك سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م[٣٥] وأسند إليه كافة شئون الدولة ، ولقبه أمير الأمراء ، فأصبح بيده تولية الولاة وعزلهم وعلت مرتبته على مرتبة الوزراء[٣٦] ، على أنه ما لبث أن عجز عن إقرار الأمور ببغداد وضعف نفوذه من جراء منافسة الأمراء له ، فقد حاربه أبو عبد الله البريدى[٣٧] ـ صاحب الأهواز ـ كما خرج عليه أحد قواده الأتراك ويدعى بجكم ، ودخل بغداد وأوقع به الهزيمة سنة ٣٢٦هـ/٩٣٨م ، وتقلد إمرة الأمراء[٣٨] .

لم يقف محمد بن رائق مكتوف الأيدى إزاء ما حدث له على يد بجكم ، فانتهز فرصة سير الخليفة الراضى وبجكم إلى ناصر الدولة بن حمدان بسبب تأخره عن إرسال المال المقرر عليه ، ودخل بغداد سنة

---

(٣٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٤٠٤ .

(٣٤) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، ص٤٢ .

(٣٥) عبد الملك الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ، ص٣٠٣ ـ ٣٠٤ .
ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص١٨٤ .

(٣٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٢٥٤ .
ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٢٨ .

(٣٧) ابن خلدون : المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤٠٢ .
جمال سرور : المرجع نفسه ، ص٤٢ .

(٣٨) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٦ ، ص٢٩٦ .

٣٢٧هـ/٩٣٩م، وأثار سخط العامة على بجكم ولم يخرج منها إلا بعد أن قلده الخليفة الراضى ولاية الشام(٣٩).

لم ينعم بجكم بمنصب إمرة الأمراء طويلا ، بسبب الخلاف الذى نشب بينه وبين ابن عبد الله البريدى ، فعزم على السير إليه لكنه ما لبث أن قتل على يد بعض الأتراك(٤٠)، فتفرق جنده وانحاز فريق منهم إلى جانب البريدى ، فقوى بهم وسار إلى بغداد فى رمضان سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م(٤١). لكنه لم يلق الخليفة الراضى ، وتعرض لثورة الجند الديلمى بزعامة كورتكين الديلمى ـ مما اضطره إلى الرحيل عن بغداد إلى واسط(٤٢). ولما رأى الأتراك ظهور قوة الديلم عليهم ، راسلوا محمد بن رائق فى أمر العودة إلى حاضرة الخلافة(٤٣). كما كتب إليه الخليفة الراضى يستدعيه للقدوم إلى بغداد ، فسار ابن رائق من دمشق وعاد إلى بغداد فى ذى الحجة سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م(٤٤). فخلع عليه الخليفة المتقى وقلده منصب أمير الأمراء .

لما علم أبو عبد الله البريدى بعودة محمد بن رائق إلى بغداد سير إليه أخاه أبا الحسين البريدى فى جيش من الأتراك والديلم فأحل الهزيمة بجيش ابن رائق(٤٥)، واضطر الخليفة المتقى إلى السير إلى الموصل للاستنجاد

---

(٣٩) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص٤٠٩ .

(٤٠) ابن العمرانى : الأنباء فى تاريخ الخلفاء ، لايدن ١٩٧٣ ، ص١٦٨ .

Muir : The Caliphate, P. 572 .

(٤١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد ٣ ، ص٤١٠ .

(٤٢) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٣٠ .

(٤٣) عبد الملك الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى . ص٣٢٩ .

(٤٤) مسكويه : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٢٢ .

ابن العمرانى : المصدر نفسه ، ص١٦٩ .

(٤٥) ابن الساعى: مختصر أخبار الخلفاء ، المطبعة الأميرية ببولاق ، سنة١٣٠٩هـ، ص٨١.

بالحسن بن عبد الله بن حمدان ليعاونه فى القضاء على البريديين ، فأنفذ الحسن أخاه أبا الحسين على بن عبد الله بن حمدان لنصرته ، بينما دبر مؤامرة لاغتيال محمد بن رائق(٤٦) . ولما علم الخليفة بذلك استدعى الحسن ابن عبد الله بن حمدان وخلع عليه ولقبه ناصر الدولة وقلده منصب أمير الأمراء ، بينما خلع على أخيه أبى الحسين على ولقبه سيف الدولة ، وعاد الخليفة المتقى بصحبة ناصر الدولة إلى بغداد فى شوال سنة ٣٣٠هـ/٩٤٢م(٤٧) .

لم تنعم الخلافة فى ظل تقلد الحمدانيين إمرة الأمراء فى بغداد بالاستقرار ، فقد استأثر ناصر الدولة بالسلطة دون الخليفة وضيق عليه فى نفقاته وأساء معاملته(٤٨) . لكن ناصر الدولة لم يبق طويلا فى بغداد وقرر العودة إلى الموصل سنة ٣٣١هـ/٩٤٣م(٤٩)، فوقع اختيار الخليفة المتقى على توزون ــ أحد كبار قواد الأتراك ــ لمنصب أمير الأمراء(٥٠) .

لما دخل توزون بغداد فى رمضان سنة ٣٣١هـ/٩٤٣م، وتولى منصب أمرة الأمراء ، لم يراع حرمة الخلافة ، مما حمل الخليفة المتقى

---

(٤٦) عبد الملك الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ، ص٣٣٣ .
ابن العمرانى : الأنباء فى تاريخ الخلفاء ، ص١٧٠ .
(٤٧) الخزرجى : أخبار الدول المنقطعة ، ص ٥ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٤١٢ ــ ٤١٣ .
(٤٨) الصولى : أخبار الراضى بالله والمتقى لله ، ص٢٣٥ ــ ٢٣٦ .
ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٦ ، ص٢٣٠ .
(٤٩) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص٤٥ .
ابن خلدون : المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤١٥ .
(٥٠) ابن العمرانى : المصدر نفسه ، ص١٧١ .
ابن الساعى : مختصر أخبار الخلفاء ، ص٨٢ .

على الخروج من بغداد مستنجدا بالحمدانيين ، لكن توزون استطاع التغلب على الحمدانيين ، أما الخليفة المتقى فسار إلى الرقة[٥١]، حيث استنجد بمحمد بن طغج الإخشيد ، والى مصر ، الذى حضر إلى الرقة والتقى بالخليفة ودعاه إلى السير معه إلى مصر[٥٢]، لكن الخليفة مال إلى مصالحة توزون ورحل من الرقة قاصدا بغداد فى المحرم سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م[٥٣]. فخرج توزون للقائه ، ولم يلبث أن قبض عليه وهو فى طريقه إلى حاضرة الخلافة ، ثم سمل عينيه وحبسه ، وأحضر عبد الله بن المكتفى وقلده الخلافة ولقبه المستكفى بالله بينما صارت السلطة كلها فى يد توزون[٥٤] .

لم يستمر توزون طويلا فى الحكم ، فقد توفى سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م، وخلفه كاتبه أبو جعفر بن شيرزاد فى منصب إمرة الأمراء ، وقد ازدادت الأوضاع سوءا فى عهده بعد أن لجأ إلى مصادرة أموال الناس وزاد من الضرائب ، فعم الفساد والاضطراب أرجاء البلاد[٥٥] وضاعت هيبة الحكومة وتطلع الناس إلى التخلص من نظام إمرة الأمراء الذى أثبت فشله .

لم يجد ينال كوشة الذى كان يلى واسط من قبل ابن شيرزاد وبعض قواد بغداد بدا من مراسلة أحمد بن بويه يطلبون إليه السير إلى بغداد لضبط

---

(٥١) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام .
ياقوت : معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٥٩ .
(٥٢) عبد الملك الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ، ص٣٤٧ .
Muir : The Caliphate, P. 574 .
(٥٣) ابن الساعى : مختصر أخبار الخلفاء ، ص٨٢ .
(٥٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٤١٩ .
جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، ص٤٥ .
(٥٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٣١٤ .

الأمور . فرحل أحمد بن بويه من الأهواز قاصداً حاضرة الخلافة ، فدخلها فى جمادى الأولى سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م[٥٦] فخرج عنها الأتراك ، بينما استقبله الخليفة المستكفى وخلع عليه ولقبه ( معز الدولة ) ولقب أخاه عليا (عماد الدولة) ، وأخاه الحسن (ركن الدولة)، وأمر أن تنقش أسماؤهم على الدنانير والدراهم[٥٧] . وبدخول بنى بويه بغداد بدأ عهد جديد فى تاريخ الدولة العباسية ، هو العهد البويهى الذى استمر أكثر من قرن من الزمان .

هكذا كانت الأحداث فى بغداد تسير فى صالح البويهيين بعد أن كثرت ثورات الجند، وتوالت الفتن وعجز أمير الأمراء أبو جعفر بن شيرزاد عن السيطرة على مقاليد الأمور[٥٨] ، فلما دخل أحمد بن بويه بغداد لم يجد مقاومة تذكر ، بعد أن فر الأتراك الذين كانوا يمثلون أحد العناصر الأساسية فى الجيش العباسى إلى الموصل ، بينما بقى العنصر العربى فى حاضرة الخلافة وانحازوا إلى جانب بنى بويه[٥٩]، غير أن الأتراك ما لبثوا أن عادوا إلى حاضرة الخلافة العباسية وانضموا إلى العناصر الأخرى تحت إمرة البويهيين[٦٠] .

### ٢ ـ استئثار أمراء بنى بويه بالسلطة دون الخلفاء :

كانت سياسة البويهيين تهدف إلى الاستبداد بالسلطة وإضعاف هيبة

---

(٥٦) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٦ ، ص٣٤٠ .
ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٣١ .
(٥٧) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جـ٢ ، ص٥٩٧ .
Browne : A Literary history of Persia from the earliest times until firdawsi - Vol.1, London 1909, P. 207 .
(٥٨) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص٢٧٩ .
(٥٩) ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص٣٤٠ .
(٦٠) مسكويه : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٢٨١ .

الخلافة حتى يتسنى لهم الاستئثار بمقاليد الأمور ، ولما كان معز الدولة بن بويه يدرك مدى شغب الجند وحبهم للمال(٦١) عمل على إضعاف شأن الخليفة إلى الحد الذى لا يستطيع معه الإنفاق على جيش الخلافة أو إعداد قوة تستطيع مواجهة بنى بويه(٦٢) ، لذلك قرر معز الدولة لنفقات الخليفة المستكفى خمسة آلاف درهم فى كل يوم(٦٣)، ومنع عنه أى مورد مالى يستعين به فى الإنفاق على الجيش الذى بلغت نفقاته بحاضرة الخلافة وحدها نحو خمسمائة ألف درهم فى كل شهر(٦٤). وقد ترتب على ذلك تفرق جيش الخلافة فانضم معظم أفراده إلى معز الدولة الذى ازداد نفوذه فى بغداد(٦٥)، وأصبح لديه من القوة ما يمكنه الإنفاق على الجند وضمان أرزاقهم ، بينما تفرق باقى الجيش فى بلدان الخلافة العباسية(٦٦).

وبلغ من ازدياد نفوذ معز الدولة أن الخليفة المستكفى بالله لما قبض على الشافعى ، رئيس الشيعة فى بغداد ، ولم يقبل شفاعة أصفهدوست قائد جيش معز الدولة بن بويه فى إطلاق سراحه(٦٧)، عمد الأمير البويهى إلى خلع الخليفة بعد أن اتهمه بالتآمر عليه مع هؤلاء القواد ومحاولة الاستنجاد بالحمدانيين(٦٨)، فتقدم اثنان من نقباء الديلم نحو الخليفة الذى ظن أنهما يريدان تقبيل يده ، فجذباه وطرحاه إلى الأرض وساقاه ماشيا إلى دار معز الدولة حيث اعتقل فيها(٦٩) ، ونهبت دار الخلافة حتى لم يبق فيها شىء ،

(٦١) Browne : A Literary History of Persia, P. 214 .

(٦٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٣٩٧ .

(٦٣) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، ص٥٢ .

(٦٤) ابن العمرانى : الأنباء فى تاريخ الخلفاء ، ص١٧١ .

(٦٦) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٦ ، ص٣٤٠ .

(٦٧) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص٨٦ .

(٦٨) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جـ٢ ، ص٥٩٦ .

جمال سرور : المرجع نفسه ، ص٥٣ .

(٦٩) القرمانى : أخبار الدول ، بغداد ١٢٨٢هـ، ص١٧٠ ـ ١٧١ .

ثم تدخل معز الدولة فى اختيار الخليفة الجديد، فأحضر أبا القاسم الفضل بن المقتدر وبايع له بالخلافة ولقبه المطيع لله ، بينما أحضر المستكفى فشهد على نفسه بالخلع ، وسملت عيناه وظل معتقلا حتى توفى فى ربيع الأول سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م(٧٠).

عمد معز الدولة بن بويه إلى الاستئثار بالسلطة دون الخليفة المطيع وحدد له إقطاعات يسيرة يعيش منها، كما عين كاتبا له يتصرف فى شئونها ، ولم يبق للخليفة من الأمر شيء سوى ذكر اسمه فى الخطبة ونقشه على السكة(٧١). وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت موارد الدولة كلها فى يد الأمير البويهى يتصرف فيها كيف شاء يقول ابن الأثير(٧٢) :

« وازداد أمر الخلافة إدبارا ، ولم يبق لهم من الأمر شيء ألبتة ، وقد كانوا يُراجَعون ويأخذون أمرهم فيما يفعل ، والحرمة قائمة بعض الشيء ، فلما كان أيام معز الدولة زال ذلك جميعًا ، بحيث إن الخليفة لم يبق له وزير، إنما كان له كاتب يدير إقطاعاته لا غير ، وكان من أعظم الأسباب فى ذلك أن الديلم كانوا يتشيعون ويغالون فى التشيع ، ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها ، فلم يكن لهم باعث دينى يحثهم على الطاعة ».

---

(٧٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٣١٥ .
ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٣١ ـ ٢٣٢ .
السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٣٩٨ .

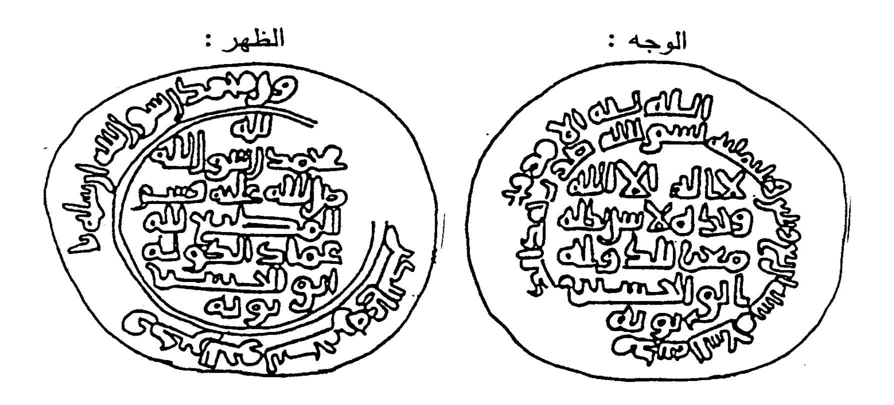
(٧١) السيوطى : المصدر نفسه ، ص٤٠٢ .
Arnold : The Caliphate, Oxford, 1924, P. 62 .
جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٥٣ .

(٧٢) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص٣١٥ .

وليس أدل على استئثار معز الدولة بالنفوذ فى حاضرة الخلافة من قيامه بالسيطرة على دار السك وإصدار النقود ، التى تحمل لقبه وكنيته على مركز الوجه بعد شهادة التوحيد ، بينما جعل لقب الخليفة على مركز الظهر، وفضلاً عن ذلك اهتم بنقش لقب وكنية أخيه الأكبر (على بن بويه) عماد الدولة أبى الحسن ، الذى كان معز الدولة يحبه ويحترمه ، ويكاتبه بالعبودية، ويقبل الأرض بين يديه ، إذا اجتمعا مع عظم سلطانه[٧٣] . ومن أمثلة تلك النقود ، درهم ضرب بمدينة السلام سنة ٣٣٤هـ[٧٤].

**درهم ضرب بمدينة السلام سنة ٣٣٤**

**(الوزن ١٤ر٤جم ـــ القطر ٢٤مم)**




(٧٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٣ ، ص٢٠٠ .
(٧٤) متحف الفن الإسلامى ، رقم السجل ٥/١٧٠٣٥ .

| مركز الوجه | مركز الظهر |
| --- | --- |
| لا إله إلا الله | لله |
| وحده لا شريك له | محمد رسول الله |
| معز الدولة | صلى الله عليه وسلم |
| أبو الحسين | المطيع لله |
| بويه | عماد الدولة |
| | أبو الحسن |
| | بويه |

كانت سياسة البويهيين ترمى إلى إحلال جيشهم محل الجيش العباسى وضمان ولائه وعدم إعادة تكوين جيش خاص بالخلافة ، لذلك أقطع معز الدولة قواده وخواصه وجنده عدة إقطاعات فى بلاد الخلافة ، فتسلم عماله من الديلم وغيرهم أعمال العراق ولاية وإقطاعا(٧٥)، وحذا حذوه من جاء بعده من أمراء بنى بويه ، كما خص معز الدولة بن بويه وجوه الديلم بالنفوذ فقلدهم قيادة الجيش وجعل لهم مركزا متميزا فى ولايات الخلافة ، يقول مسكويه (٧٦): « وفوض تدبير كل ناحية إلى طائفة من أمراء الديلم فاتخذها كل منهم مسكنا وطعمة » .

كذلك قرب معز الدولة قادة الجند الديلم إليه ورفع من أقدارهم ، نخص بالذكر منهم أبا جعفر الصيرى ، الذى صار وزيرا لمعز الدولة بن

---

(٧٥) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص٩٦ ـ ٩٨ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٣١٧ .
(٧٦) مسكويه : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٩٨ .

بويه ، واصفهدوست قائد جند الديلم[٧٧] ، وأبو سهل ديزويه[٧٨] ، الذى تولى منصب عارض الديلم فى عهد عز الدولة بختيار بن معز الدولة .

وليس أدل على انضمام معظم أفراد الجيش العباسى إلى معز الدولة بن بويه من أن الأتراك الذين كانوا يمثلون العنصر الأساسى فى الجيش العباسى انضموا إلى الجيش البويهى وصاروا عدته وأحد عناصره الأساسية، فلما كتب ركن الدولة بن بويه إلى أخيه معز الدولة بن بويه أن يمده بالجند للاستعانة بهم فى تدبير أمور بلاده ، أنفذ إليه معز الدولة سبكتكين الحاجب فى عسكر ضخم من الأتراك والديلم ، وفيهم جماعة من الأتراك التوزونية[٧٩] ، وجماعة من العرب وذلك سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م[٨٠] . ومن ناحية أخرى ازدادت ثقة معز الدولة فى الأتراك إلى حد أنه استعان بهم فى حربه ضد روزبهان بن خورشيد ، القائد الديلمى ، الذى خرج عليه سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م[٨١] .

وبلغ من حرص معز الدولة على ولاء الجيش أن قلد ابنه أبا منصور ، منصب أمير الأمراء سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م[٨٢] ، ليكون له حق الإشراف عليه،

---

(٧٧) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص١٠٩ ، ١١٨ .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٣٥٠ .
(٧٨) مسكويه : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص١٨٦ .
(٧٩) الأتراك التوزونية : هم أصحاب توزون ، القائد التركى الذى كان يلى منصب أمير الأمراء على عهد الخليفة المتقى .
(٨٠) مسكويه : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص١٣٧ ـ ١٣٨ .
ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص٣٣٥ .
(٨١) مسكويه : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص١٦٢ ـ ١٦٣ .
ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص٢٣٠ .
(٨٢) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص٣٤٨ .

ثم عقد له الخليفة المطيع لواء ولقبه عز الدولة سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م(٨٣) . كما أوصى معز الدولة ابنه أبا منصور بمداراة الديلم والتودد للأتراك ، فهم عدته فى توطيد النفوذ البويهى فى بلاد الخلافة(٨٤) .

ولى عز الدولة بختيار إمارة البويهيين بعد وفاة أبيه معز الدولة فى ربيع الأول سنة ٣٥٦هـ/فبراير٩٦٧م، فسار على نهج أبيه فى التضييق على الخلفاء وإضعاف شأنهم والاستئثار بالسلطة دونهم ، فلما طلب مالا من الخليفة المطيع للجهاد ضد الروم الذين اعتدوا على أراضى الدولة الإسلامية سنة ٣٦١هـ/٩٧٢م(٨٥)، أجابه الخليفة : « إن الغزو يلزمنى إذا كانت الدنيا فى يدى وإلى تدبير الأموال والرجال ، وأما الآن وليس لى منها إلا القوت القاصر على كفائى ، وهى فى أيديكم وأيدى أصحاب الأطراف ، فما يلزمنى غزو ولا حج ولا شىء مما تنظر الأئمة فيه ، وإنما لكم فى هذا الاسم الذى يخطب به على منابركم تسكنون به رعاياكم فإن أحببتم أن أعتزل اعتزلت عن هذا المقدار أيضاً وتركتكم والأمر كله »(٨٦) .

كذلك قام الأمير البويهى بهاء الدولة بمصادرة أموال الخليفة الطائع لله وبعض كبار رجال الدولة(٨٧) ومنه الوزير سابور بن أرد شير ، ففى سنة ٣٨١هـ/٩٩٢م كتب بهاء الدولة إلى الخليفة الطائع أن يجلس له على رسم

---

(٨٣) عبد الملك الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ، ص٣٨٩ .
(٨٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٤٢٦ .
(٨٥) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ١١ ، ص ٢٣ .
ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص٢٧٢ .
(٨٦) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص٣٠٧ .
(٨٧) هلال بن الصابى : الجزء الثامن من كتاب التاريخ ، نشر أمدروز ، بيروت ١٩٠٤ ، ص٤٢٨ .

تجديد البيعة[٨٨]، فدخل بهاء الدولة دار الخلافة وكان الطائع جالسا فى صدر الرواق متقلداً سيفا ، فلما اقترب منه الأمير البويهى ، قبل الأرض بين يديه، وتقدم أصحاب بهاء الدولة فجذبوا الخليفة عن سريره وهو يقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون»[٨٩] . وهو يستغيث ولا يلتفت إليه ، وتكاثر عليه الديلم وحملوه إلى دار بهاء الدولة ، كما قبضوا على كاتبه أبى الحسن على بن حاجب النعمان ، وعم الاضطراب بغداد ونهب الناس بعضهم بعضا وأخذت ثياب من حضر من الأشراف والشهود[٩٠]، كما نهبت دار الخلافة عن آخرها[٩١] . ولم يكتف بهاء الدولة وجنوده بنهب دار الخلافة بل أرغم بهاء الدولة الخليفة الطائع على أن يكتب رسالة تتضمن خلع نفسه[٩٢]، وشهد على ذلك كبار رجال الدولة[٩٣]، وبايع للقادر بالله فى شوال من نفس العام ، وحلف له بالطاعة والقيام بشروط البيعة ، كما حلف الخليفة لبهاء الدولة بالوفاء وقلده مما وراء بابه ما تقام فيه الدعوة[٩٤]. على أن بهاء الدولة ما لبث أن ازداد نفوذه واستبد بالسلطة دون الخليفة[٩٥].

وبلغ من علو شأن أمراء البويهيين أن الخلفاء العباسيين اعترفوا بسلطتهم وإمارتهم على الجيوش ، فخلع الخليفة الطائع على عضد الدولة بعد دخوله بغداد سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٤م، خلع السلطنة وعقد له إلى جانب

---

(٨٨) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٧ ، ص١٥٦ ـ ١٥٧ .

(٨٩) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص١٤٧ ـ ١٤٨ .

(٩٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص٣٠٩ .

(٩١) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٧ ، ص١٤٨ .

(٩٢) الفارقى : تاريخ الفارقى ، تحقيق د. بدوى عبد اللطيف ، بيروت ١٩٧٤م .

(٩٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٤٣٦ .
السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٤١٠ .

(٩٤) ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ٧ ، ص١٦٠ .
السيوطى : المصدر نفسه ، ص٤١٠ ـ ٤١١ .

(٩٥) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، ص٥٦ .

اللواء الأبيض الذى جرت العادة بمنحه لأمراء الجيوش ، اللواء المذهب الخاص بولاة العهد ، كما أضيف إلى لقبه «تاج الملة»(٩٦)، وخلع على حسام الدولة بن عضد الدولة الخلع والعمامة السوداء وعقد له لواءين(٩٧) ولقبه شمس الملة(٩٨) سنة ٣٧٢هـ/٩٨٣م وكتب له عهدا بتقليده أمور الدولة العباسية(٩٩).

لم يكتف البويهيون بالاستئثار بالنفوذ ، بل قاموا بمنع حمل السلاح بحاضرة الخلافة ، واستثنوا من ذلك خاصتهم ، فمنع الأمير البويهى عضد الدولة الناس من حمل السلاح ، وأمر بحبس كل من وجد لديه أى قطعة منه(١٠٠).

### ٣ ــ دور البويهيين فى الصراع المذهبى :

على الرغم من نجاح البويهيين فى السيطرة على حاضرة الخلافة واستئثارهم بالنفوذ والسلطان ، فإن سياستهم فى الاعتماد على الأتراك والديلم ومحاولة الفصل بينهما(١٠١)، ومداراة أحد العنصرين على الآخر فى مناسبات مختلفة أدت إلى قيام النزاع والتنافس بينهما طمعا فى الاستبداد بالسلطة ، مما ترتب عليه ازدياد حال الخلافة سوءا طوال العهد البويهى فى العراق .

فمنذ دخل البويهيون بغداد سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م واستبدوا بأمور الخلافة وعلا شأنهم وأصبحت السلطة كلها فى أيديهم ، انضم إليهم معظم أفراد

---

(٩٦) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٧ ، ص٨٧ .
السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٤٠٧ .
(٩٧) السيوطى : المصدر نفسه ، ص٤٠٩ .
(٩٨) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص٣٠١ .
(٩٩) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، ص٥٨ .
(١٠٠) أبو شجاع : ذيل كتاب تجارب الأمم ، نشر أمدروز ، سنة ١٩١٦ ، ص٥٨ ــ ٥٩ .
(١٠١) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص١٠٠ .

جيش الخلافة بعناصره المختلفة ، فأصبح الجيش البويهى الذى حل محل الجيش العباسى يتألف من عناصر شتى ، فمنهم الديلم والأتراك كعنصرين أساسيين ، إلى جانب من انضم إليهم من الأكراد والعرب وغيرهم[١٠٢] .

كان الديلم الذين يمثلون العنصر الأساسى الأول فى الجيش البويهى وهم من أصل فارسى[١٠٣]، وكانوا يسكنون بلاد الديلم التى تقع بين طبرستان[١٠٤] وجيلان[١٠٥] وبحر قزوين ، وكانت كل قبيلة من قبائل الديلم تسيطر على ناحية من نواحى بلادهم ، وتتسمى باسم هذه الناحية ، فمنهم الديلم الكرمانية[١٠٦] الذين يسكنون كرمان ، والديلم الخوزستانية[١٠٧] نسبة إلى خوزستان[١٠٨] .

كان الديلم يشتهرون بالقوة والنجدة وشدة البأس ، مما شجع أمراء النواحى على استقدامهم والاستكثار منهم وتشجيعهم على الالتحاق بخدمتهم ، فكان الديلم هم عدة بنى بويه ومصدر قوتهم التى استطاعوا بها الاستيلاء على النواحى التى استولوا عليها خلال رحيلهم من بلادهم وتقدمهم نحو حاضرة الخلافة الإسلامية بعد انتشارهم فى بلدان الخلافة ، والتحاقهم بخدمة ولاة النواحى التى كانوا يتقلدونها من قبل الخلافة العباسية .

---

(١٠٢) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص١١٨ ، ١٣٨ .
ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص٢١١ .

(١٠٣) لسترنج : بغداد فى عهد الخلفاء (مترجم) بغداد ١٩٣٦ ، ص٢٧١ ، ٢٧٤ .

(١٠٤) طبرستان : بلدان كثيرة واسعة قصبتها آمل .
ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص١٣ .

(١٠٥) جيلان : اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان عبارة عن قرى فى مروج بين الجبال .
ياقوت : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٢٠١ .

(١٠٦) هلال بن الصابى : كتاب التاريخ ، جـ٨ ، ص٣٩٢ ، ٤١٠ .

(١٠٧) هلال بن الصابى : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٤٠٧ .

(١٠٨) خوزستان : اسم لجميع بلاد الخور ، متاخمة لنواحى تستر وجنديسابور .

أما عن العنصر الأساسى الثانى الذى كان يتألف منه الجيش الحربى وهم الأتراك ، فيرجع أصلهم إلى بلاد ما وراء النهر(١٠٩). وكان الأتراك يتصفون بالصفات القبلية المعروفة بالفروسية وشدة البأس والصبر على الحروب ، مما شجع سادة العرب على استجلابهم فظهر العنصر التركى فى الحياة الإسلامية منذ أواخر العصر الأموى(١١٠). وما لبث أن استكثر منهم الخلفاء العباسيون حتى بلغ عددهم فى عهد الخليفة المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ/٨٣٣ـ٨٤٢م) سبعين ألفا . لذلك كون المعتصم جيشا كبيرا من الأتراك ، أسند قيادته إلى زعمائهم فازداد نفوذهم منذ أوائل القرن الثالث الهجرى(١١١) غير أن هذا النفوذ ما لبث أن ضعف من جراء النزاع بين كبار قادتهم وتنافسهم على الاستئثار بالسلطة .

ولما دخل بنو بويه بغداد لم يجدوا أى قوة تستطيع الوقوف فى وجههم ، بل إن معظم الأتراك الذين كانوا يشكلون العنصر الأساسى فى الجيش العباسى انضموا إلى الجيش البويهى ، بينما انحاز باقى أفراد العنصر التركى إلى أمراء النواحى فى بلدان الخلافة(١١٢) .

كان من آثار سياسة البويهيين فى معاملة الديلم والأتراك ، التى تقوم على اصطناع أحد العنصرين دون الآخر وإيثاره بالهبات والأرزاق ، أن عم الاضطراب بغداد لقيام النزاع والتنافس بين هذين العنصرين ، فلما حاول معز الدولة بن بويه تقريب الأتراك دون الديلم سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م(١١٣)،

---

(١٠٩) بلاد ما وراء النهر : يراد بها ما وراء نهر جيحون .
ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٤٥ .
(١١٠) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، ص٢١ .
(١١١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص٢٨٢ ، ٣٠٥ .
(١١٢) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص٨٥ .
ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٦ ، ص٣٤٠ .
(١١٣) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص٣٤٩ ـ ٣٥٠ .
ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص٢٣٠ .

حتى يضمن ولاءهم وانحيازهم إليه ، أدى ذلك إلى إثارة الديلم ، فقاموا بثورة برئاسة روزبهان بن ونداد خورشيد الديلمى وحاولوا خلع معز الدولة، غير أنه استطاع التغلب عليهم بمساعدة الأتراك الذين قربهم إليه وأمرهم بتأديب الديلم[١١٤]، مما زاد من الوحشة والتباغض بين الفريقين ، ولما أحس معز الدولة بدنو أجله استدعى ابنه عز الدولة بختيار وأوصاه باستمالة الديلم والتودد إلى الأتراك ، والاهتمام بسبكتكين رئيس الأتراك الذى كان معز الدولة يثق به ويعتمد عليه[١١٥].

لكن عز الدولة بختيار بن معز الدولة لم يلتزم بنصائح أبيه ولم يسر وفق السياسة التى رسمها له ، وأغضب سبكتكين رئيس الأتراك وصاحب جيشه[١١٦]، كما حاول بختيار الاستيلاء على إقطاعات الديلم وأموالهم فأسقط كثيرا منهم من سجلات الجيش ، مما أثار جند الديلم وجعلهم يجتمعون ضده ويطالبونه بزيادة أرزاقهم[١١٧]، فاضطر لإرضائهم حتى يستطيع القضاء على فتنتهم ، فأثار ذلك الأتراك وطالبوه بالمال ، والتفوا حول سبكتكين لحمايته من المكيدة التى دبرها عز الدولة للتخلص منه[١١٨]، وعاد الديلم إلى الثورة من جديد مطالبين بختيار بإعادة زملائهم إلى الخدمة ، فاضطر إلى إجابة طلبهم بعد أن تركوه يواجه الأتراك منفردا [١١٩].

---

(١١٤) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص١٦٣ ــ ١٦٥ .
عبد الملك الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ، ص٣٨١ .
(١١٥) مسكويه : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٢٣٤ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٤٢٦ .
(١١٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص٢٢ .
(١١٧) مسكويه : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٢٣٥ .
ابن خلدون : المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤٢٧ .
(١١٨) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٧ ، ص٢٢ ــ ٢٣ .
(١١٩) مسكويه : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٢٢٦ .
Mafizullah Kabir : The Buwayhid Dynasty of Baghdad - Calcutta 1964, P. 16 - 17 .

ولما أيقن عز الدولة بختيار من تفاقم العداء بين الديلم والأتراك ، رأى أن يعقد مصاهرات بين رؤسائهم لإحلال الوئام بينهم ، وأصلح بين الأتراك والديلم ، وحلفوا جميعا على الولاء لكل من عز الدولة بختيار وسبكتكين الحاجب ، كما حلف كل من عز الدولة بختيار وسبكتكين لصاحبه ، وتم ذلك فى سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧١م(١٢٠).

لم يدم الصلح الذى عقده عز الدولة بختيار بين الديلم والأتراك طويلا، فعاد النزاع بينهما سيرته الأولى سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٤م، غير أنه كان أكثر خطورة بسبب اشتراك العامة فيه ، وانقسامهم إلى فريق يؤيد عز الدولة بختيار والديلم وهم طائفة الشيعة ، وانحاز الفريق الآخر ويمثلهم طائفة السنة إلى سبكتكين والأتراك(١٢١)، ثم ما لبث أن ازداد الخطر وتطور النزاع إلى حرب بين عز الدولة بختيار من ناحية وبين افتكين الذى تولى رئاسة الأتراك بعد وفاة سبكتكين فى نفس العام(١٢٢)، والخليفة الطائع من ناحية أخرى فى شهر المحرم سنة ٣٦٤هـ/٩٧٥م(١٢٣) لذلك لم يجد عز الدولة بدا من الاستنجاد بابن عمه عضد الدولة(١٢٤)، الذى انتهز الفرصة

---

(١٢٠) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص٢٨٢ ـ ٢٨٣ .

(١٢١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص٥١ ـ ٥٣ .

ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص٢٧٥ .

(١٢٢) كان افتكين ويعرف أيضاً باسم الفتكين ، مولى معز الدولة بن بويه ، وهو أبو منصور افتكين المعزى .

انظر ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ ، ص١١ .

، ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٤٢٩ .

(١٢٣) مسكويه : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٣٣٩ .

(١٢٤) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٢ ، ص٦٨ .

سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ١١ ، ص ٥٢ .

للاستئثار بالسلطة فى بغداد ، فاتصل سرا بجند بختيار وشجعهم على الثورة(١٢٥)، بينما حرض بختيار على مقاومتهم والقضاء على فتنتهم بالضرب على أيديهم ، واتخذ من حقد الخليفة الطائع وكراهته لبختيار فرصة للوثوب على السلطة، وهو ما تم له فيما بعد سنة ٣٦٧هـ/٩٧٨م(١٢٦).

كذلك حدث نزاع كبير فى بداية عهد شرف الدولة فى بغداد بين الجنود الديلم والأتراك حتى تطور الأمر إلى قيام حرب بينهم سنة ٣٧٦هـ/٩٨٧م، غير أن شرف الدولة استطاع إزالة تلك الخصومة بين الطرفين والقضاء على الفتنة بعد جهد كبير(١٢٧).

ولما ولى بهاء الدولة إمارة البويهيين فى بغداد سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م تجددت الاضطرابات بين الديلم والأتراك، واشتبك الطرفان فى حرب دامت خمسة أيام ، وعلى الرغم من إقرار الصلح بين الطرفين فإن الديلم ضعف أمرهم وقويت شوكة الأتراك(١٢٨).

ازدادت قوة العنصر التركى فى الجيش البويهى ، بعد انحياز بعض الأمراء البويهيين إلى جانبهم ضد الديلم ، وقد ترتب على ذلك أن شغب الأتراك على سلطان الدولة بن بهاء الدولة ونادوا بتولية أخيه مشرف الدولة إمارة البويهيين(١٢٩)، وعلى الرغم من نجاح سلطان الدولة فى القضاء على شغبهم ، فإنه اضطر إلى ترك بغداد واستخلاف مشرف الدولة . ثم ما لبث

---

(١٢٥) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص٣٤١ ـ ٣٤٢ .
سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ١١ ، ص٥٣ .
(١٢٦) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٤٠٧ .
(١٢٧) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ، ص١٣٣ .
(١٢٨) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٧ ، ص١٤٧ ، ١٤٨ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٢ ، ص٤٣٥ .
(١٢٩) ابن خلدون : المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤٤٤ .

أن عقد الصلح بين الطرفين على أن يكون العراق كله لمشرف الدولة ، بينما يلى سلطان الدولة فارس وكرمان(١٣٠)، وذلك سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م.

عاد نفوذ الأتراك إلى ما كان عليه قبل دخول البويهيين بغداد ، فصاروا يتدخلون فى تولية أمراء بنى بويه وعزلهم ، بل إرغامهم على أن يحلفوا لهم بالطاعة والولاء(١٣١)، ولم يكن فى استطاعة الخليفة سوى تنفيذ رغباتهم ، ففى سنة ٤١٩هـ /١٠٢٧م ثار الجند الأتراك على الأمير البويهى جلال الدولة فى بغداد ، ونهبوا داره ودور أنصاره واضطربت الأحوال(١٣٢)، وعم الاضطراب أرجاء البلاد(١٣٣)، وظلت ثورات الأتراك ضد جلال الدولة حتى اضطر إلى الرحيل عن بغداد سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٦م(١٣٤).

أما عن الأكراد ، فكانوا يقيمون بقرية من قرى البيضاء(١٣٥)، وكونوا هناك قبيلة تزعمها أبو الحسن على بن الحسين بن عبد الله الكردى(١٣٦). ثم ما لبثوا أن انتشروا فى بلاد الجبل(١٣٧) بعد أن ضاقت بهم سبل العيش فى قريتهم ، وكونوا عدة طوائف أشهرها ، الأكراد الجلالية والباسيان

(١٣٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص٣١٢ .
(١٣١) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٨ ، ص٣٠ ـ ٣١ .
(١٣٢) ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٦٣ ـ ٦٤ .
(١٣٣) Bowen : The last Buwayhid - J. R. A. S. April 1929, P. 229 .
(١٣٤) ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٨٩ .
(١٣٥) البيضاء : أكبر مدينة فى كورة اصطخر .
ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٥٢٩ .
(١٣٦) انظر ياقوت : المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص٤٥١ .
(١٣٧) بلاد الجبل : اسم علم للبلاد المعروفة باصطلاح العجم بالعراق ، وهى ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والرى .
ياقوت : المصدر نفسه ، مجلد ٢ ، ص٩٩ .

والحكمية والسولية[١٣٨]، وكانوا يسكنون بنواحى مدينة شهرزور[١٣٩]، وعقدوا مصاهرات مع بنى شيبان[١٤٠]، وكان هناك أيضًا : الأكراد الهكارية[١٤١]، ومن أشهر زعمائهم بدر بن حسنويه بن الحسين أبو النجم الكردى ، وهو من أهل الجبل ، وكان الخليفة القادر بالله هو الذى كناه أبا النجم ، ولقبه ناصر الدولة وعقد له لواء وأنفذه إليه ، وتوطدت علاقته بالأمير عضد الدولة بن بويه[١٤٢].

كان العرب يمثلون عنصرا ثانويا فى الجيش البويهى ، ويرجع أصلهم إلى الجزيرة العربية ، وأصبحوا يمثلون بعد اعتناقهم الدين الإسلامى ، العنصر الأساسى فى الجيوش الإسلامية ، وظل الحال على ذلك إلى أن ضعف أمرهم بعد قيام الدولة العباسية[١٤٣]، وما أن دخل البويهيون بغداد سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م حتى انضمت بقاياهم مع من انضم من العناصر الموجودة وقتذاك فى بغداد إلى الأمير البويهى[١٤٤].

### ٤ ــ علاقة البويهيين بالقوى المعارضة :

لم يكد يستتب الأمر لمعز الدولة بن بويه فى بغداد، بعد أن استأثر بالنفوذ دون الخليفة المطيع ، حتى قدم ناصر الدولة بن حمدان من الموصل إلى بغداد يريد الاستيلاء عليها[١٤٥]، فعزم معز الدولة على التصدى له ،

---

(١٣٨) انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٣٧٥ .
(١٣٩) شهرزور : كورة واسعة فى الجبال بين اربل وهمذان .
ياقوت : المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٣٧٥ .
(١٤٠) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص٣٩٩ .
(١٤١) الهكارية : بلدة وناحية فوق الموصل فى إقليم الجزيرة .
ياقوت : المصدر نفسه ، جـ٥ ، ص٤٠٨ .
(١٤٢) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٧ ، ص٢٧١ .
(١٤٣) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، ص١٩ .
(١٤٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص٢١١ .
(١٤٥) عبد الملك الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ، ص٣٥٦ .

غير أن الجيش البويهى حلت به الهزيمة فى بادئ الأمر[١٤٦] عند عكبرا[١٤٧]، فسار معز الدولة بصحبة الخليفة المطيع لقتاله ، وحدثت بين الفريقين عدة معارك غير حاسمة ، ولما نزل ناصر الدولة بالجانب الشرقى من بغداد[١٤٨]، عهد معز الدولة إلى وزيره أبى جعفر الصيرى بقيادة فريق من جيشه ، بينما تولى هو قيادة فريق آخر لملاقاة ناصر الدولة ، فأدت هذه الخطة إلى اضطراب جيش ناصر الدولة[١٤٩] فولى هاربا إلى عكبرا ومنها إلى الموصل ، بينما استطاع معز الدولة أن يدخل بغداد منتصرا سنة ٣٣٥هـ/٩٤٧م[١٥٠].

وكان أبو عبد الله البريدى كثيرا ما تحدثه نفسه بالاستقلال بالبصرة التى كان يلى أمرها ، فعمد إلى عدم إرسال الأموال المقررة عليه إلى بغداد، مما حمل معز الدولة إلى محاربته طوال سنة ٣٣٥هـ/٩٤٧م[١٥١]، ثم عزم على السير إليه بصحبة الخليفة المطيع سنة ٣٣٦هـ/٩٤٨م، فلما وصلا إلى موضع يعرف بالدرهمية[١٥٢]، استأمنه كثير من أصحاب

---

(١٤٦) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٦ ، ص٣٤٥ .

(١٤٧) عكبرا : بضم أوله وسكون ثانيه ، اسم بليدة من نواحى دجيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ .

ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص١٤٢ .

(١٤٨) ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص٣٤٥ .

(١٤٩) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٤٢٢ .

(١٥٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٣١٦ .

العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، جـ١٩ ، ص ٣٢ .

(١٥١) ابن العمرانى : الأنباء فى تاريخ الخلفاء ، ص١٧٧ .

(١٥٢) الدرهمية : موضع بأرض اليمامة .

ياقوت : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٤٥٣ .

البـريدى بينما فـر أبو عـبـد الله البـريدى إلى هجـر[١٥٣]، حـيث التـجـأ إلى القرامطة ، ودخل معز الدولة البصرة فى نفس العام وأسر من جند البريدى نحو مائتى رجل[١٥٤]، ولم يمض غير قليل حتى دخل البريدى فى طاعة معز الدولة[١٥٥].

كذلك سار معز الدولة بن بويه على رأس الجيش البويهى إلى الموصل للاستيلاء عليها ، فرحل عنها ناصر الدولة بن حمدان إلى نصيبين[١٥٦]، وبذلك تيسر لمعز الدولة دخولها سنة ٣٣٧هـ/٩٤٩م[١٥٧]، ثم عـزم على الاستيلاء على جميع ما بيد ناصر الدولة من بلاد ، لكنه شغل بنجدة أخيه ركن الدولة بالرجال[١٥٨]، فصالح ناصر الدولة على أن تقام الخطبة لمعز الدولة وابنه بختيار ولعماد الدولة بن بويه فى بلاده إلى جانب أدائه ثمانية آلاف ألف درهم فى كل سنة[١٥٩]، ثم عـاد مـعـز الدولة إلى بغداد سنة ٣٣٧هـ/٩٤٩م[١٦٠].

ولما حاول القرامطة مهاجمة البصرة سنة ٣٤١هـ/٩٥٠م، بمصاحبة

---

(١٥٣) هجر : بفتح أوله وثانيه ، قاعدة البحرين .
ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٣٩٣ .
(١٥٤) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص١١١ ـ ١١٢ .
(١٥٥) مسكويه : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص١١٥ .
(١٥٦) نصيبين : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة ، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ ، وبينها وبين الموصل ستة أيام .
ياقوت : المصدر نفسه ، جـ٥ ، ص٢٨٨ .
(١٥٧) ابن العمرانى : الأنباء فى تاريخ الخلفاء ، ص١٧٧ .
ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص٢٢٠ .
(١٥٨) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٤٢٣ .
(١٥٩) عبد الملك الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ، ص٣٦٧ .
(١٦٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٣٢٩ .

يوسف بن وجيه ، أمير عمان[١٦١]، تصدى لهم الجيش البويهى بقيادة أبى محمد الحسن المهلبى ، وزير معز الدولة وأحبط محاولتهم[١٦٢].

ولما حدثت فتنة روزبهان بن ونداد خورشيد الديلمى ، أحد قادة الديلم سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م[١٦٣]، أراد ناصر الدولة بن حمدان إعادة الكرة على بغداد ، فسير ابنه أبا المرجى جابر فى جيش للاستيلاء عليها[١٦٤]، فعهد معز الدولة إلى سبكتكين بتأمين بغداد[١٦٥]، بعد ما منع الحمدانيين من دخولها ، ثم ما لبث أن انضم إلى سبكتكين فى بغداد بعد قضائه على فتنة روزبهان. لما علم أبو المرجى بقدوم معز الدولة ولى وجهه شطر الموصل ، وفى العام التالى اتجه معز الدولة إلى الموصل للانتقام من الحمدانيين ، فراسله ناصر الدولة لطلب الصلح على أن يؤدى إليه ألف ألف درهم فى كل سنة[١٦٦]، فوافق معز الدولة على الصلح غير أن ناصر الدولة لم يف بوعوده مما اضطر معز الدولة إلى تعقبه فى البلاد التى رحل إليها ، واستولى فى طريقه على نصيبين[١٦٧]، وميافارقين[١٦٨]، ولما رأى ناصر

---

(١٦١) العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان جـ١٩ ، ص٦٣ .

(١٦٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٣٤٠ .

(١٦٣) العينى : المصدر نفسه ، جـ١٩ ، ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

(١٦٤) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص١٦٢ .

(١٦٥) العينى :المصدر نفسه ، جـ١٩ ، ص ١٠٧ .

(١٦٦) مسكويه : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص١٧٠ .

(١٦٧) الذهبى : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، جـ١٩ ، ص ٢٣٥ .

(١٦٨) ميافارقين : بفتح أوله وتشديد ثانيه ، أشهر مدينة بديار بكر .
ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٢٣٥ .

الدولة ما صارت إليه أمور بلاده سار إلى أخيه سيف الدولة بحلب(١٦٩) فلقيه أخوه وبالغ فى إكرامه، وبعث إلى معز الدولة فى طلب الصلح(١٧٠) على أن يضمن سيف الدولة المال المقرر إلى معز الدولة فلم يقبل معز الدولة الصلح فى بادئ الأمر ثم عاد وقبله فى المحرم سنة ٣٤٨هـ/٩٥٨م(١٧١)، على أن يعود ناصر الدولة إلى ولاياته بالجزيرة مقابل أن يتعهد سيف الدولة بإرسال ألفى ألف درهم وتسعمائة درهم فى كل سنة نيابة عن أخيه(١٧٢).

على أن هذا الصلح لم يدم طويلا ، فقامت الحروب بين معز الدولة وناصر الدولة سنة ٣٥٣هـ/٩٦٣م(١٧٣)، بعد أن رفض ناصر الدولة إجابة طلب معز الدولة فى زيادة الأموال الذى تعهد ناصر الدولة إرسالها إليه(١٧٤)، واضطر أمير الحمدانيين إلى الهرب ليتجنب ملاقاة معز الدولة(١٧٥) واستولى البويهيون على الموصل ونصيبين وغيرها من البلاد الخاضعة لناصر الدولة، لكن أبا تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان(١٧٦) ما لبث أن أرسل إلى معز الدولة بطلب الصلح فأجابه إلى ذلك ، وتعهد أبو

---

(١٦٩) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، ص٧٢ .

(١٧٠) العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، جـ١٩ ، ص ١١٥ .

(١٧١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٣٥٤ .

(١٧٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٤٢٤ .

(١٧٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص٢٥٣ .

(١٧٤) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٧ ، ص٩ .

(١٧٥) جمال سرور : المرجع نفسه ، ص٧٣ .

(١٧٦) هو أبو تغلب فضل الله الغضنفر بن ناصر الدولة بن حمدان . لقبه الخليفة المطيع عمدة الدولة سنة ٣٦٣هـ .
انظر ، العينى : المصدر نفسه ، جـ١٩ ، ص ٢٣١ .

تغلب بدفع المال المقرر على أبيه وفى مقابل ذلك استرد الحمدانيون الموصل وديار ربيعة والرحبة(١٧٧).

ولما غلب عمران بن شاهين على البطائح(١٧٨) بعد أن استفحل أمره وقويت شوكته ، عول معز الدولة على محاربته ، فخرج من بغداد سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م متجها إلى واسط ، فلما وصل إليها توجه منها إلى الأبله(١٧٩)، حيث أنفذ جيشًا بقيادة أبى العباس بن الحسين الشيرازى إلى البطائح لمحاربة عمران بن شاهين ، إلا أن أبا العباس اضطر لمصالحة عمران بسبب وفاة معز الدولة فى ربيع الآخر سنة ٣٥٦هـ/٩٦٦م(١٨٠).

لما ولى عز الدولة بختيار إمارة البويهيين بعد وفاة أبيه معز الدولة بن بويه ، خرج عليه أخوه الحبشى بن معز الدولة واستأثر بالنفوذ فى البصرة(١٨١) بإيعاز من أتباعه الذين أوهموه أن أخاه عز الدولة لا يستطيع الوصول إليه لحصانة المدينة . فلما أبلغ الحسين بن الحسن أبو طاهر ، عامل البصرة ، بختيار بذلك ، ندب وزيره أبا الفضل العباسى بن الحسن لاستعادة البصرة من أخيه الحبشى(١٨٢)، ولم يكد يعلم الحبشى بقدوم جيش عز الدولة حتى سير جنده إلى الأبله ، ورتب غلمانه وقلد بكتيجور حاجبه

---

(١٧٧) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

(١٧٨) البطائح : أرض واسعة بين واسط والبصرة .

ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٤٥٠ .

(١٧٩) الأبله : كورة بالبصرة .

القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٢٨٦ .

(١٨٠) مسكويه : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٢١٧ .

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص٢٠ .

(١٨١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٤٢٦ .

Kabir : The Buwayhid dynasty of Baghdad, P. 15 - 16 .

(١٨٢) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٧ ، ص٢٦ .

ابن خلدون : المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤٢٦ .

التركى إمرة الجيش . لما عاد الطرفان للحرب ودار القتال بينهما ، حلت الهزيمة ببكتيجور ، فاضطرب أتباعه وفروا هاربين ودخل جيش عز الدولة الأبلة(١٨٣)، ومن ناحية أخرى أنفذ الزبير أبو الفضل العباسى فريقا من الجند إلى البصرة ، فأخرجوا منها الجيش وأتباعه واستولى الوزير أبو الفضل على المدينة ، فأنفذ إليه الأمير البويهى عز الدولة بختيار خلعا جليلة ، ودانت البصرة لبختيار سنة ٣٥٧هـ/٩٦٨م(١٨٤).

وفى سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م لجأ حمدان بن ناصر الدولة إلى عز الدولة لنصرته على أخيه أبى تغلب بن حمدان(١٨٥)، فرحب به وبعد أن مكث عنده فترة من الوقت سار عز الدولة بختيار بصحبة حمدان نحو الموصل، فانتهز أبو تغلب فرصة خروجهما من بغداد وعول على السير إليها وتمكن من دخولها ، غير أن افتكين رئيس الأتراك ما لبث أن أرغمه على الرحيل عنها ، ولم يمض غير قليل حتى انتهى النزاع بين الطرفين بإقرار الصلح سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م(١٨٦)، على أن يرد أبو تغلب بن حمدان أملاك أخيه حمدان وإقطاعه إليه ويرسل المال المتفق عليه(١٨٧).

لما استتب الأمر لعضد الدولة بن بويه فى بغداد سنة ٣٦٧هـ/٩٧٨م(١٨٨)

---

(١٨٣) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص٢٤٥ .

(١٨٤) مسكويه : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٢٤٦ .

(١٨٥) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٧ ، ص ٢ ـ ٣ .

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص٣٣ .

(١٨٦) سبط بن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ٧ ، ص ٤٠ ـ ٤١ .

(١٨٧) العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، جـ١٩ ، ص ١٩٥ .

(١٨٨) العينى : المصدر نفسه ، جـ١٩ ، ص ٣١٩ ـ ٣٢٠ .

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ٤ ، ص١٢٨ ـ ١٢٩ .

سار نحو الموصل فملكها فى ذى القعدة من نفس العام وأقام بها ، ومن هناك بث سراياه فى طلب أبى تغلب بن ناصر الدولة ، مما اضطره إلى أن يرسل إليه طالبا الصلح على أن يضمن إرسال خراج البلاد التى يليها ، فلم يجبه عضد الدولة إلى ذلك قائلا : « هذه البلاد أحب إلىّ من العراق[189] ، فكان ذلك مما حمل أبا تغلب على السير نحو نصيبين ثم رحل عنها إلى ميافارقين ، فسار فى أثره فريق من جيش عضد الدولة بقيادة أبى الوفاء طاهر بن محمد ، فاضطر أبو تغلب إلى الرحيل عنها إلى بلاد الروم ، واستولى أبو الوفاء على ميافارقين سنة ٣٦٨هـ/٩٧٩م[190] ، ثم سار نحو آمد[191] وحاصرها ، ثم ما لبث أن دخلها واستولى عليها[192] بعد أن طلب أهلها الأمان ، كما استولى على ديار بكر[193] . ثم قصده أصحاب أبى تغلب وأهله مستأمنين ، فأمنهم وأحسن إليهم وعاد إلى الموصل فى نفس العام[194] .

واصل عضد الدولة بن بويه سياسته فى بسط سيطرته على بلاد الحمدانيين ، فأرسل الشريف أبا أحمد الموسوى والد الشريف الرضى على

---

(١٨٩) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص٩٢ .
(١٩٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص٢٩٠ .
(١٩١) آمد : مدينة حصينة مبنية بالحجارة من بلاد الجزيرة .
القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٤٩١ .
(١٩٢) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص٣٩١ .
(١٩٣) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٧ ، ص ١٢٥ .
ديار بكر : بلاد واسعة تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط ، وحدودها من غرب دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة .
ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٤٩٤ .
(١٩٤) مسكويه : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٣٩١ .

رأس قوة للاستيلاء على ديار مضر[١٩٥]، فاستولى عليها[١٩٦]، كما تمكن عضد الدولة من الاستيلاء على كل من الرقة[١٩٧] والرحبة ، ولما دانت له جميع أعمال أبى تغلب بن ناصر الدولة استخلف أبا الوفاء طاهر بن محمد على الموصل وعاد إلى بغداد فى ذى القعدة سنة ٣٦٨هـ/ ٩٧٩م[١٩٨].

لما توفى عمران بن شاهين الذى كان يلى أعمال البطيحة سنة ٣٦٩هـ/ ٩٨٠م[١٩٩]، طمع عضد الدولة بن بويه فى ضمها إلى حوزته فجهز جيشا أنفذه مع وزيره المطهر بن عبد الله ، التقى بجند الحسن بن عمران بن شاهين الذى خلف أباه ، ودارت بين الفريقين عدة معارك ، انتهت بإقرار الصلح بينهما على أن يؤدى الحسن المال المقرر عليه ، وأن يرسل إلى عضد الدولة رهائن لضمان تنفيذ الاتفاق[٢٠٠].

كذلك سير عضد الدولة جيشاً آخر إلى بنى شيبان فى شهر رجب سنة ٣٦٩هـ/ ٩٨٠م[٢٠١] لوقف غاراتهم على بلدان الخلافة[٢٠٢]، وكانوا قد عقدوا مصاهرات مع أكراد شهرزور ، وأصدر أوامره لقواته بالاستيلاء على مدينة شهرزور حتى يتعذر عليهم التحصن بها ، فاستولى عليها واضطر

---

(١٩٥) ديار مضر : هى ما كان فى السهل ، بالقرب من شرقى الفرات .
ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٤٩٤ .
(١٩٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص٩٥ .
(١٩٧) الرقة : بفتح أوله وثانيه وتشديده ، مدينة مشهورة على الفرات .
ياقوت : المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٥٨ ـ ٥٩ .
(١٩٨) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٧ ، ص ١٢١ .
(١٩٩) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص٢٩٥ .
(٢٠٠) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٧ ، ص٩١ .
(٢٠١) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص٣٩٨ .
(٢٠٢) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٧ ، ص٩٩ .

بنو شيبان إلى الهرب ، لكن قوات عضد الدولة سارت فى أثرهم وأوقعت بهم الهزيمة(٢٠٣).

وهكذا دانت لعضد الدولة ، الموصل وديار ربيعة وميافارقين وآمد وديار بكر وديار مضر(٢٠٤). وصار يخطب له بلقب « الملك » على منابر بغداد ، ولم يبلغ أحد من أمراء بنى بويه ما بلغه عضد الدولة من سعة الملك وبسط السلطان(٢٠٥)، فقد امتد سلطانه على سائر العراق والجزيرة والأهواز وفارس والجبال والرى ، بالإضافة إلى جرجان التى دخلت حوزته سنة ٣٧١هـ/ ٩٨٢م، بعد أن استولى عليها من صاحبها قابوس بن وشمكير (٢٠٦).

لما ولى صمصام الدولة إمارة البويهيين فى فارس خلفا لعضد الدولة فى شوال ٣٧٢هـ/٩٨٣م(٢٠٧)، واجه فى بداية عهده فتنة كبيرة، ففى سنة٣٧٣هـ/ ٩٨٤م قوى أمر أبى عبد الله الحسين بن دوستك الملقب باذ الكردى فاستولى على ديار بكر وميافارقين عقب وفاة عضد الدولة(٢٠٨)، كما استولى أتباعه على نصيبين(٢٠٩)، فكان ذلك مما حمل صمصام الدولة على إعداد الجند للتصدى له بقيادة أبى سعد بهرام بن اردشير، لكن الهزيمة حلت به(٢١٠)،

---

(٢٠٣) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص٣٩٩ .

(٢٠٤) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٧ ، ص١١٣ .

(٢٠٥) متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ص٦٠.

(٢٠٦) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٧ ، ص ١٥٦ .

(٢٠٧) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٤٣٢ .

(٢٠٨) الفارقى : تاريخ الفارقى ، ص٤٩ .

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص١٢١ .

(٢٠٩) ابن خلدون : المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤٣٤ .

(٢١٠) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٧ ، ص١٢٢ .

وقوى نفوذ ابن دوستك واستفحل أمره ، فرأى صمصام الدولة أن ينفذ أبا القاسم سعد بن محمد الحاجب فى جند كثيف لملاقاة باذ وأصحابه ، فحلت بأبى القاسم سعد الهزيمة(٢١١) ، وفر إلى الموصل ، فسار باذ فى أثره ودخل الموصل واستولى عليها(٢١٢) ، فقويت شوكته بهذا النصر ، وحدثته نفسه بالسير إلى حاضرة الخلافة وإزالة البويهيين عنها(٢١٣) ، فاغتم صمصام الدولة وساءت أحواله واستقر رأيه على تجهيز جيش بقيادة زياد بن شهراكويه ـ أحد قواد الديلم(٢١٤) .

لما اتجه جيش صمصام الدولة نحو الموصل خرج إليه باذ الكردى والتقى الفريقان بظاهر الموصل فى شهر صفر ٣٧٤هـ/٩٨٥م ، حيث دارت واقعة هزم فيها باذ وأصحابه هزيمة ساحقة ، ودخل زياد بن شهراكويه وأتباعه الموصل وأرسل فريقا من الجند بقيادة أبى القاسم سعد بن الحاجب لمطاردة باذ وأصحابه ، ولما رأى باذ الكردى أنه لا طاقة له بمواجهة الجيش البويهى ، أرسل إلى قائده فى طلب الصلح(٢١٥) ، فتم له ما أراد على أن تكون ديار بكر والنصف من طور عبدين(٢١٦) لباذ الكردى . وأقام سعد بن محمد الحاجب فى الموصل ، أما زياد بن شهراكويه فعاد إلى بغداد بعد أن قضى على فتنة باذ الكردى(٢١٧) .

كذلك قامت حركة أخرى فى وجه صمصام الدولة لا تقل خطورة

---

(٢١١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٤٣٤ .
(٢١٢) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ، ص٨٦ .
(٢١٣) ابن خلدون : المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤٣٤ .
(٢١٤) أبو شجاع : المصدر نفسه ، ص٨٦ .
(٢١٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص١٢٣ .
(٢١٦) طور عبدين : بلدة من أعمال نصيبين فى بطن الجبل المشرف عليها .
ياقوت : معجم البلدان : جـ٤ ، ص٤٨ .
(٢١٧) ابن خلدون : المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤٣٤ .

عن فتنة باذ الكردى ، ففى سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م دخل إسحق وجعفر ـ وهما من القرامطة ـ الكوفة واستوليا عليها[٢١٨] ، فانزعج الناس لهذا الحدث، واستقر رأى صمصام الدولة ، بعد أن بلغة انضمام أبى قيس الحسن بن المنذر أحد كبار قواد القرامطة ، إلى إسحق وجعفر فى حركتهما[٢١٩]ـ على إعداد جيش بقيادة الحاجب أبى الفضل المظفر بن محمود وأرسله إلى ابن المنذر فأوقع به الهزيمة وأسره[٢٢٠] ، كما التقى الجيش البويهى بالقرامطة عند الجامعين[٢٢١] ، ودارت بين الفريقين معركة انتهت بهزيمة القرامطة وأسر جماعة كبيرة منهم[٢٢٢] .

لما ضعفت دولة بنى حمدان بعد وفاة أبى تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان سنة ٣٦٩هـ/ ٩٨٠م[٢٢٣] ، تطلع بنو عقيل إلى امتلاك بلادهم، وكان بنو عقيل من رعايا الحمدانيين يؤدون إليهم الإتاوة ويخرجون معهم فى الحرب ، فسار أمير العقيليين أبو الزواد محمد بن السيب بن رافع بن مقلد العقيلى إلى نصيبين واستولى عليها سنة ٣٧٩هـ/ ٩٩٠م، ثم اتجه إلى الموصل وضمها إلى حوزته فى السنة التالية[٢٢٤] وأسس بها الدولة العقيلية وأقره بهاء الدولة بن بويه عليها بعد أن أنفذ إليه نائباً من قبله . ولما ساءت

(٢١٨) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٧ ، ص ١٨٧ .
(٢١٩) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ، ص١٠٩ .
(٢٢٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص١٢٦ .
(٢٢١) الجامعين : تقع على الفرات بين بغداد والكوفة .
ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٩٦ .
(٢٢٢) أبو شجاع : المصدر نفسه ، ص١١٠ .
(٢٢٣) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، ص٧٤ .
(٢٢٤) سبط بن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ٧ ، ص ٢٣٧ .
ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٧ ، ص١٤٥ .

العلاقة بين بنى عقيل ونائب بهاء الدولة ، أرسل إليهما بهاء الدولة جيشا كبيرا بقيادة أبى جعفر الحجاج هرمز ، فعمد بنو عقيل بزعامة أميرهم أبى الزواد محمد بن المسيب إلى التصدى له ودارت بينهما عدة وقائع تجلت فيها كفاية أبى جعفر الحربية(٢٢٥) ، غير أنه طلب من بهاء الدولة إمداده بالجند ، فلبى طلبه وأنفذ إليه جندا بقيادة أبى القاسم على بن أحمد . ولما وصل إلى الموصل عسكر بظاهرها ، والتقى بأبى جعفر قائد الجيش البويهى ، فكان ذلك مما حمل بنى عقيل على الانصراف عن الموصل فدخلها أبو القاسم فى أوائل سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م(٢٢٦) وتولى أمورها .

لما خلف الأمير قرواش أباه المقلد بن المسيب(٢٢٧) فى الموصل سنة ٣٩١هـ/١٠٠٠م، ساءت علاقته بالبويهيين ، فسار على رأس جيش من بنى عقيل بعد أن انضم إليه أبو الحسن على مزيد ، صاحب الحلة(٢٢٨) سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م(٢٢٩) إلى المدائن وحاصرها ، فأنفذ إليه بهاء الدولة جيشا كبيرا يتألف من الديلم والأتراك بقيادة أبى جعفر الحجاج بن هرمز(٢٣٠) . ولما التقى الفريقان فى نواحى باكرم بالقرب من المدائن ، دار بينهما قتال

---

(٢٢٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص١٥٧ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٤٣٤ .
(٢٢٦) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ، ص٢٤٠ ـ ٢٤١ .
ابن خلدون : المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤٣٤ .
(٢٢٧) هو أخو أبى الزاد بن المسيب بن رافع حسام الدولة أبى حسان العقيلى ، صاحب الموصل .
(انظر ، ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٧ ، ص٢٠٩) .
(٢٢٨) الحلة : هى حلة بنى مزيد ، مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد .
ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٢٩٤ .
(٢٢٩) ابن خلدون : المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤٤١ .
(٢٣٠) هلال بن الصابى : كتاب التاريخ ، جـ٨ ، ص٤٤٥ .

شديد، انتهى بهزيمة العقيليين وحلفائهم[٢٣١]، فرحلوا إلى الكوفة فتبعهم أبو جعفر حيث انتصر عليهم مرة أخرى عند الصابونية[٢٣٢]. وأسر منهم نحو ألف رجل ودخل الكوفة وأقام الخطبة فيها للعباسيين[٢٣٣].

واضطربت أحوال البطيحة سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٤م، واستولى عليها أبو العباس بن واصل[٢٣٤]، وطرد صاحبها مهذب الدولة[٢٣٥]، واستولى على البصرة، وهدد باقي بلاد العراق وتصدى لجيوش بهاء الدولة بن بويه التى أرسلها لملاقاة عميد الجيوش أبى على بن أستاذ هرمز[٢٣٦]، لذلك أنفذ إليه بهاء الدولة جيشا آخر بقيادة مهذب الدولة الذى تمكن من استرداد البطيحة سنة٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م، وتم الصلح بين الطرفين على أن يؤدى أبو العباس جزية سنوية مقدارها مائة وخمسون ألف دينار لبهاء الدولة[٢٣٧].

على أن أبا العباس بن واصل ما لبث أن نقض الاتفاق بعد أن تجمع لديه المال وكثرت عساكره، فسار إلى الأهواز ونهبها، فلما علم بذلك بهاء الدولة جهز جيشا ضخما وسار على رأسه نحو البصرة فخافه أبو العباس وطلب عقد الصلح مرة أخرى. وعلى الرغم من قبول بهاء الدولة طلبه فإن

---

(٢٣١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص٢١٤ .
(٢٣٢) الصابونية : قرية بنواحى الكوفة .
القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٢٥٢ .
(٢٣٣) هلال بن الصابى : كتاب التاريخ ، جـ٨ ، ص٤٥٣ .
ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٧ ، ص٢١٤ .
(٢٣٤) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٧ ، ص٢٢٢ .
(٢٣٥) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٧ ، ص ٣٩٥ .
(٢٣٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص٣٣٣ .
(٢٣٧) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٧ ، ص٢٢٦ .
(ذكر ابن كثير أن مقدار الجزية السنوية كان خمسين ألف دينار ، انظر : البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص٣٣٥).

أبا العباس عاد إلى سابق عهده من نقض العهود وسار بجيشه نحو بهاء الدولة الذى كان مقيما بالأهواز وقتذاك ، فدارت بينهما عدة معارك ، انتهت بإخماد هذه الفتنة ومقتل أبى العباس بن واصل سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م(٢٣٨) .

وفى سنة ٤٠١هـ/١٠٠٩ تعرضت الخلافة العباسية والنفوذ البويهى لفتنة خطيرة حينما خطب قرواش بن المقلد أمير بنى عقيل للخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله(٢٣٩) فى الموصل والأنبار(٢٤٠) والمدائن والكوفة(٢٤١) ، فلما علم الخليفة القادر بالله بذلك ، بعث رسوله أبا بكر محمد بن الطيب بن الباقلانى إلى بهاء الدولة ، وطلب منه أن يعمل على قمع هذه الفتنة والقضاء عليها(٢٤٢) ، فأرسل بهاء الدولة جيشاً كبيراً بقيادة عميد الجيوش أبى على بن أستاذ هرمز إلى قرواش ، فاضطره إلى إعادة الخطبة للخليفة العباسى(٢٤٣) .

لما توفى بهاء الدولة بن بويه سنة ٤٠٣هـ/١٠١١م، ولى إمارة البويهيين من بعده ابنه سلطان الدولة(٢٤٤) ، فولى أخاه جلال الدولة أبا طاهر البصرة ، وأخاه قوام الدولة أبا الفوارس كرمان(٢٤٥) ، فأغرى الديلم أخاه أبا الفوارس

---

(٢٣٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص٢٣٤ .
ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص٣٣٧ .
(٢٣٩) الذهبى : دول الإسلام ، جـ١ ، ص٢٤٠ .
(٢٤٠) الأنبار : مدينة قرب بلخ ، وهى قصبة جوزجان .
ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٢٥٧ .
(٢٤١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٤٤٢ .
(٢٤٢) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٧ ، ص٢٥١ .
(٢٤٣) هلال بن الصابى : كتاب التاريخ ، جـ٨ ، ص٤٥٣ .
(٢٤٤) الذهبى : المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٢٤١ .
(٢٤٥) ابن خلدون : المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤٤٣ .

بمحاربة أخيه سلطان الدولة والاستيلاء على مابيده من بلاد ، فبادر أبو الفوارس بضم شيراز إلى حوزته سنة ٤٠٧هـ/١٠١٥م[٢٦٤] . فسار إليه سلطان الدولة على رأس جيشه وانتصر عليه ، ففر أبو الفوارس إلى كرمان، فلما تبعه سلطان الدولة إلى هناك ، لجأ أبو الفوارس إلى يمين الدولة محمود ابن سبكتكين صاحب غزنة، فأمده بجيش استطاع به استرداد كرمان سنة ٤٠٨هـ/١٠١٦م[٢٤٧] . على أن هذا الجيش لم يتمكن من الصمود طويلا أمام جند سلطان الدولة ، فاضطر أبو الفوارس إلى الفرار مرة أخرى واللحاق بشمس الدولة بن فخر الدولة بن بويه صاحب همذان ، ثم انصرف عنه إلى مهذب الدولة صاحب البطيحة ، الذى راسل سلطان الدولة فى أمر الصلح ، فأجابه إلى طلبه وعاد أبو الفوارس إلى كرمان بعد أن أعلن ولاءه لأخيه سلطان الدولة[٢٤٨] .

لما ولى أبو طاهر جلال الدولة بن بويه الإمارة سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م[٢٤٩] ، واجه عدة صعوبات فى سبيل إقرار سلطته فى العراق[٢٥٠] ، من ذلك ما قام به أبو كاليجار بن سلطان الدولة الذى استولى على البصرة سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م[٢٥١] ، فسار إليه جلال الدولة واستولى على واسط[٢٥٢] . ثم أنفذ من هناك جيشا بقيادة وزيره أبى على بن ماكولا إلى البطائح والبصرة لاستخلاصهما من أيدى نواب أبى كاليجار ، فاستولى ابن ماكولا

---

(٢٤٦) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٧ ، ص٢٨٤ .
(٢٤٧) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٤٤٣ .
(٢٤٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص٢٩٤ .
(٢٤٩) ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٢٠ .
(٢٥٠) متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جـ١ ، ص٦٧ .
(٢٥١) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٧ ، ص٣٣٢ .
(٢٥٢) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٧ ، ص٣٥٠ - ٣٥١ .

على البطائح[٢٥٣]، ثم قصد البصرة ، وأوقع الهزيمة بنائب أبى كاليجار على مقربة منها، ثم ما لبث ابن ماكولا أن قتل وكادت تحل الهزيمة بالجيش البويهى ، لولا انحياز جند البصرة إليه ، مما ترتب عليه هزيمة أصحاب أبى كاليجار ودخول الجيش البويهى البصرة سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م[٢٥٤]، وبذلك استرد جلال الدولة هذه المدينة .

كذلك عمد جلال الدولة البويهى إلى التصدى لأطماع قرواش بن المقلد العقيلى صاحب الموصل الذى أنفذ جيشا لمحاربة والى تكريت[٢٥٥]، سنة ٤٣١هـ/ ١٠٣٩م، فأنفذ فريقا من جنده لمعاونة هذا الوالى ، وسار هو على رأس القوة الرئيسية من الجيش البويهى قاصداً الأنبار فلقيه هناك قرواش بن المقلد على رأس جيشه ، ودار بين الفريقين قتال شديد هزم فيه جلال الدولة فى بادئ الأمر ، ثم ما لبثت قوات البويهيين أن أوقعت الهزيمة بالجيش العقيلى ، واضطر قرواش إلى طلب الصلح ودخل فى طاعة جلال الدولة[٢٥٦] .

لما ولى أبو نصر خسرو إمارة البويهيين ببغداد خلفا لأبيه أبى كاليجار سنة٤٤٠هـ/١٠٤٨م[٢٥٧]، قام النزاع بينه وبين إخوته حول مدن العراق

---

(٣٥٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص٢٨ .
(٢٥٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٤٤٧ .
(٢٥٥) تكريت : بفتح التاء ، تقع بين بغداد والموصل .
ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٣٨ .
(٢٥٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٢٨ .
(٢٥٧) ابن كثير : المصدر نفسه ، جـ١٢ ، ص٥٧ .

وفارس ، فسير جيشا إلى البصرة فى شهر شعبان سنة ٤٤٤هـ/نوفمبر ١٠٥٢م[٢٥٨] بعد أن رحل عنها أخوه أبو على بن أبى كاليجار[٢٥٩] .

وعلى الرغم من قيام أبى نصر خسرو الملقب بالملك الرحيم باستعادة البلاد التى خرجت عن سلطانه فى العراق وخوزستان والبصرة ، فإن الحرب التى دارت بينه وبين إخوته كان لها أسوأ الأثر فى ضعف أمر بنى بويه وزوال نفوذهم من بلاد العراق على يد السلطان طغرلبك الذى دخل بغداد فى شهر رمضان سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، وقضى على الملك الرحيم[٢٦٠]، آخر الأمراء البويهيين فى تلك البلاد .

**٥ ــ دور البويهيين فى النهضة الثقافية فى بلاد المشرق :**

على الرغم من كثرة الحروب التى دارت بين البويهيين والخارجين على نفوذهم والطامعين فى الاستيلاء على ممتلكاتهم ، فإنهم أولوا العلم والعلماء اهتمامهم ، وقاموا بتشجيع الحركة الثقافية فى الحواضر الشرقية للدولة الإسلامية ، وحظيت أصبهان والرى باهتمام البويهيين بفضل الوزير البويهى أبى الفضل بن العميد الذى كان أديباً عالماً جليل القدر يجيد نظم الشعر ، ويقضى وقتاً طويلاً فى مناظرات أدبية مع أدباء عصره وشعرائه ، وكان لتأليفه كتاب المذهب فى البلاغة[٢٦١] أن صار مضرب الأمثال فقيل

---

(٢٥٨) الذهبى : دول الإسلام ، جـ١ ، ص٢٦١ .

(٢٥٩) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٦٣ .

(٢٦٠) الذهبى : المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٢٦٣ .

Muir : The Caliphate, P. 580 .

Kabir : The Buwayhid dynasty of Baghdad, P. 115 .

(٢٦١) ابن النديم : الفهرست ، ص١٩٤ .

بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد[٢٦٢]، وقد وصفه ابن خلكان بالجاحظ الثانى[٢٦٣]، ذلك أنه كان يتمتع بمذهب خاص فى الكتابة عمادها التأنق فى اختيار الألفاظ ، وبلغ اهتمامه باقتناء الكتب أن أنشأ مكتبة عظيمة أولاها عناية فائقة[٢٦٤]، فصارت تضم أمهات الكتب النادرة، وكان يقوم بتزويدها بالمؤلفات النفيسة والجديدة ، وعين عليها أحد العلماء الأجلاء وهو مسكويه ، الذى وصف ابن العميد بقوله : « كان ابن العميد أكتب أهل عصره ، وأكثرهم توسعاً فى النحو والعروض ، أعظمهم اهتداء إلى الاشتقاقات والاستعارات ، وحفظا للدواوين من شعراء الجاهلية والإسلام»[٢٦٥].

كذلك يعد إسماعيل بن عباد من أشهر رجالات الأدب ، فقد تعمق فى دراسة العلوم اللسانية الأدبية ، فضلاً عن العلوم الشرعية ، وكان معتزليا يعمل على نصرة المذهب ، وكان فضلاً عن ذلك عالما بالتوحيد والأصول وألف فيهما ، وبرع فى الموسوعات فألف كتاب المحيط بالشعر ويقع فى عشرة مجلدات ، وكتاب الزيدية ، فضلاً عن كتاب عيون المعارف فى التاريخ ، ومختصر أسماء الله وصفاته ، وتاريخ الملك واختلاف الدول[٢٦٦]، كما يعد من فطاحل الشعراء فقد اجتمع عنده ما لم يجتمع عند

---

(٢٦٢) الثعالبى : يتيمة الدهر ، جـ٣ ، ص٤ .

(٢٦٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص١٠٤ .

(٢٦٤) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٢١٩ .

(٢٦٥) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص٢٧٨ .

(٢٦٦) ياقوت : معجم الأدباء ، جـ٩ ، ص٢٦١ .

غيره[٢٦٧]، وقيل عنه إنه أوحد زمانه وفريد عصره فى البلاغة والفصاحة والشعر[٢٦٨].

ولما كان إسماعيل بن عباد قد التحق بديوان أبى الفضل بن العميد وتتلمذ على يديه وصحبه لذلك لقب بالصاحب[٢٦٩]، وبالغ أبو منصور الثعالبى فى وصف الصاحب إسماعيل بن عباد فقال : « ليست تحضرنى عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله فى العلم والأدب ، وجلال شأنه فى الجود والكرم ، وتفرده لغايات المحاسن ، وجمعه لشتات المفاخر ، فهو مصدر الشرف ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان »[٢٧٠].

وكان لتشجيع البويهيين للحركة العلمية والأدبية أن نبغ فى الرى وأصبهان طائفة من المحدثين والفقهاء والنحاة والأدباء ، فاشتهر من المحدثين أبو بشر محمد بن أحمد الدولابى (نسبة إلى قرية دولاب بالرى) فألف فى الحديث والتاريخ ، توفى سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م، ومن أصفهان برع فى الحديث أبو محمد عبد الله بن حيان الأصفهانى ، وله كتاب فى فضائل الأعمال ، وتوفى سنة ٣٦٧هـ/ ٩٧٨م[٢٧١].

كذلك كان للوزير أبى منصور بهرام بن مافنة دور هام فى التقدم

---

(٢٦٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص٩٢ .

(٢٦٨) ابن النديم : الفهرست ، ص١٩٤ .

(٢٦٩) ابن خلكان : المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٩٣ .

(٢٧٠) الثعالبى : يتيمة الدهر ، جـ٣ ، ص٣٢ .

(٢٧١) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٢١٨ .

الأدبى والعلمى ، ويذكر له القيام بإنشاء دار للكتب الأدبية والعلمية بمدينة فيروزأباد بفارس والتى كانت تضم نحو سبعة آلاف مجلداً(٢٧٢)، بينما يذكر ابن الجوزى أنها كانت تضم تسعة عشر ألف مجلداً ، ومهما يكن من أمر فقد جعلها وقفا على الباحثين والعلماء وطلاب العلم من أرجاء العالم(٢٧٣).

لا شك أن النهضة العلمية والأدبية فى العصر البويهى ارتقت وعلا شأنها فى شرق الدولة الإسلامية ، بعد أن كانت قد ضعفت وتراجعت خلال عهد نفوذ الأتراك وإمرة الأمراء ، ويرجع الفضل الكبير فى ذلك إلى الأمير البويهى عضد الدولة ، الذى كان مثقفًا وعلى دراية واسعة بفضل ومكانة العلم والعلماء ، فصار قصره محط رجال الأدب، وقبلة العلماء والمبدعين ، خاصة وأنه قد أفرد جناحًا كبيراً من قصره لبناء مكتبته الشهيرة والتى وصفها المقدسى بقوله : « حجرة على حدة ، عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد ؛ ولم يبق كتاب صنف إلى وقت عضد الدولة من أنواع العلوم إلاّ وحصّله فيها . وهى أزج طويل فى صفة كبيرة ، فيه خزائن من كل وجه . وقد ألصق إلى جميع حيطان الأزج والخزائن بيوتاً طولها قامة فى عرض ثلاثة أذرع من الخشب المزوّق ، عليها أبواب تنحدر من فوقه ، والدفاتر منضدة على الرفوف ، لكل نوع بيوت وفهرستات فيها أسامى الكتب ، ولا يدخلها إلاّ كل وجيه »(٢٧٤).

فقصده العلماء وصنفوا له الكتب ، والتى من أهمها كتاب الإيضاح والتكملة فى النحو تصنيف الشيخ أبى على الفارسى ، وكتاب التاجى فى

---

(٢٧٢) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ٢ ، ص١٦٥ .

(٢٧٣) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٨ ، ص٨٤ .

(٢٧٤) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص٤٤٩ .

أخبار بنى بويه لأبى إسحق الصابى ، الذى عنون كتابه بأحد ألقاب عضد الدولة (تاج الملة)[٢٧٥] ، ويبدو أن الصابى كان مكرها على وضع كتابه الأخير ، فقيل إن أحد أصدقائه دخل عليه وهو يؤلف التاجى ، فسأله عما يقوم به ، فقال الصابى : « **أباطيل أنمقها وأكاذيب ألفقها** »[٢٧٦] .

---

(٢٧٥) أحمد أمين : ظهر الإسلام ، جـ٢ ، ص٢٠ .

(٢٧٦) الثعالبى : يتيمة الدهر ، جـ٢ ، ص٢٢٢ .

# جدول

# أمراء بنى بويه فى العراق وفارس

## (١) فى العراق والأهواز وكرمان

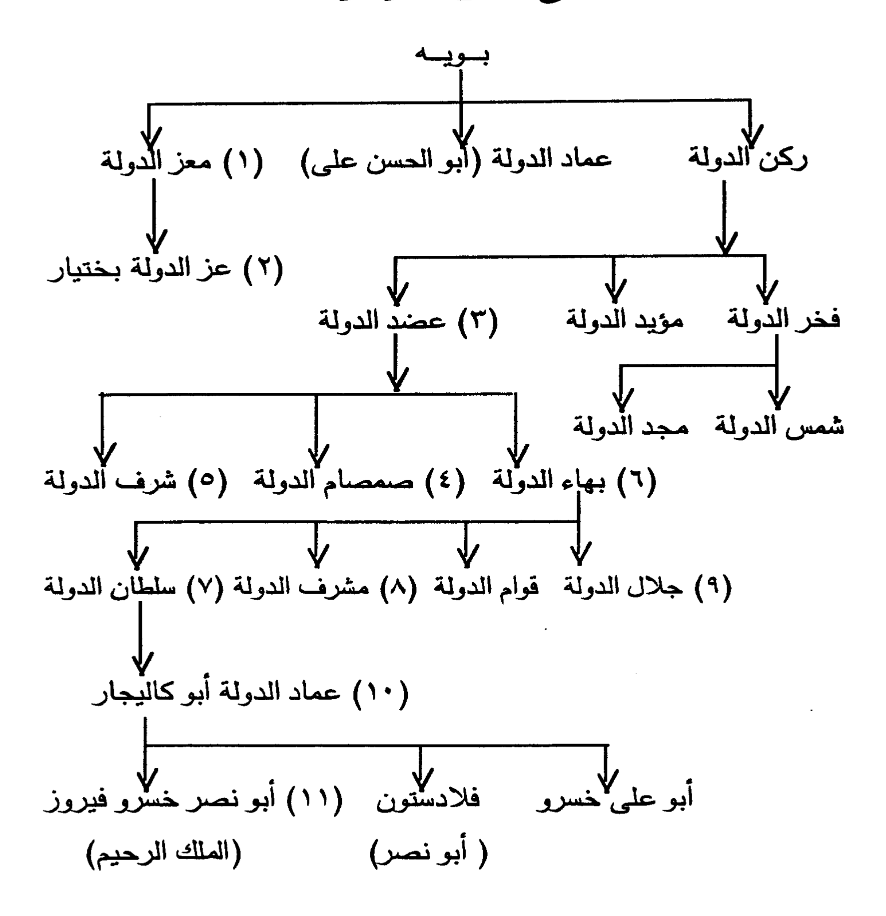
| هجرى | ميلادى | اسماء الأمراء |
|---|---|---|
| ٣٢٠ | ٩٣٢ | معز الدولة (أبو الحسين أحمد) |
| ٣٥٦ | ٩٦٧ | عز الدولة (بختيار) |
| ٣٦٧ | ٩٧٨ | عضد الدولة (أبو شجاع) |
| ٣٧٢ | ٩٨٣ | صمصام الدولة (أبو كاليجار) |
| ٣٧٢ | ٩٨٣ | شرف الدولة (فى فارس) |
| ٣٧٩ | ٩٨٩ | بهاء الدولة أبو نصر (فيروز) |
| ٤٠٣ | ١٠١٢ | سلطان الدولة (أبو شجاع) |
| ٤١٦ | ١٠٢٥ | جلال الدولة (أبو طاهر) |
| ٤٤٠_٤٤٧ | ١٠٤٨_١٠٥٥ | أبو نصر خسرو فيروز (الملك الرحيم) |

## (٢) فى فارس

| هجرى | ميلادى | اسماء الأمراء |
|---|---|---|
| ٣٢٠ | ٩٣٢ | عماد الدولة (أبو الحسن على) |
| ٣٣٨ | ٩٤٩ | * عضد الدولة (أبو شجاع خسرو) |
| ٣٧٢ | ٩٨٣ | * شرف الدولة (أبو الفوارس شيرزاد) |
| ٣٨٨ | ٩٩٨ | * بهاء الدولة (العراق) |
| ٤٠٣ | ١٠١٢ | * سلطان الدولة (أبو شجاع) |
| ٤١٢ | ١٠٢١ | * مشرف الدولة |
| ٤١٥ | ١٠٢٤ | * عماد الدولة (أبو كاليجار المرزبان) |

* هذه العلامة تدل على أنه كان يحكم بلاد العراق أيضاً

# مشجرهم وتسلسل توليهم الحكم
# فى العراق وفارس



# الفصل السادس

# الدولـة الغزنويـة

ولكن الموت يهاجمنى الآن . وليس له من دافع

والله وحده له الملك والبقاء فى كل المواقع



## الفصل السادس

## الدولـة الغزنويـة

### ١ ـ سبكتكين وقيام الدولة الغزنوية :

يرجع ظهور الغزنويين إلى ألبتكين ـ كبير حجاب الأمير عبد الملك ابن نوح السامانى ـ وكان البتكين مولى من الموالى الأتراك الذين اعتمد عليهم السامانيون فى ضبط أمور دولتهم ، بدأ حياته مولى للأمير أحمد بن إسماعيل السامانى[١]، ثم التحق بالجيش السامانى وازداد طموحه كلما تقلد منصبا جديداً ، حتى بلغ منصب حاجب الحجاب ، فعلا شأنه فى عهد عبد الملك بن نوح ، حتى صار الوزير أبو على يأتمر بأمره ، ويعرض عليه أمور الدولة كلها وينتظر توجيهاته[٢]، وقد استحق ألبتكين هذا المنصب حيث كان السامانيون يرفعون من مرتبة الغلام تدريجيًا وفقا لخدماته وكفايته ولياقته، فلما ظهرت علامات النجابة والقوة على ألبتكين ووضحت كفاءته وجدارته وشجاعته للجميع ، أصبح محط أنظار صحبه ومحبًا لمولاه ، وفضلاً عن ذلك ولى قيادة الجيش العليا فى خراسان[٣]، وهو فى الخامسة والثلاثين من عمره ، وكان تركيا محبا لجيشه ، جمع كل الخصال الحميدة ، وصارت أموال خراسان تحت تصرفه ، واشترى ألبتكين يوما ثلاثين غلاما تركيا كان سبكتكين والد السلطان محمود أحدهم ، وما أن بلغ سبكتكين الثامنة عشرة حتى صار له فوج من مائتى غلام شجاع ، وقد ثقف خصال ألبتكين وعاداته الحميدة[٤].

---

(١) حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ملحق تاريخ بخارى للنرشخى ، ص١٤٠ .

(٢) Habib : Sultan Mahmoud of Ghaznine , new Delhi, 1968, P. 21 .

(٣) ميرخواند : روضة الصفا ، ص١٢٩ .

(٤) نظام الملك : سياست نامه ، ص١٤٦ .

أخذ ألبتكين يرتقى فى سلم الوظائف العليا حتى ولاه الأمير عبد الملك السامانى ولاية خراسان سنة ٣٤٩هـ/ ٩٦١م[٥]، فلما توفى عبد الملك سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م[٦] أرسل قادة الجند وكبار رجال الدولة إلى البتكين بنيسابور يطلبون رأيه فيمن يلى إمارة السامانيين ، فاختار أحمد بن نوح عم الأمير المتوفى مفضلا إياه على الابن الشاب لصغر سنه وقلة تجاربه، إلا أن خاصة أمرائه كتبوا له من بخارى ، لقد تم تنصيب ابن الأمير ، وما أن جلس الأمير منصور بن عبد الملك على عرش الدولة السامانية حتى استدعى ألبتكين إلى بلاطه ، وقد فطن ألبتكين إلى عاقبة السوء التى تنتظره من الأمير منصور الذى أوغر قلبه مستشارو السوء ضد ألبتكين[٧]، قائلين له: « لن تكون أميراً وحاكماً حقيقياً ما لم تقتله »[٨].

لما تأخر ألبتكين فى تنفيذ أوامر الأمير منصور ، عزله عن خراسان وولى أبا الحسن بن سيمجور واليا على الإقليم ، فاتجه ألبتكين على رأس جيشه إلى بلخ ، وهناك اجتمع بجنده وقال لهم : « أتدرون السبب الذى يطلبنا الأمير من أجله أم لا »؟ قالوا : « يريد أن يراك لتجديد العهد ، لأنك بمثابة الأب له ولآبائه من قبل » ، قال : « ليس الأمر على ما تظنون ، إن الأمير يستدعينى لقتلى وفصل رأسى عن جسدى ، إنكم تعلمون أننى حفظت للسامانيين ملكهم سنوات عديدة وما أزال ، وقهرت الخارجين

---

(٥) البيهقى : تاريخ البيهقى ، ص٩٨ .
بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، جـ٢ ، ص١١٨ .
(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص٣٥٩ .
(٧) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص١١٧ .
(٨) نظام الملك : سياست نامه ، ص١٤٩ .

عليهم من كل صوب ، ولم أعصهم ولو طرفة عين ... والآن ما الذى ترونه صوابا ؟ وما الحيلة إلى دفع هذا البلاء ، ؟ قالوا جميعًا : « حيلة السيف»[٩]، إلا أن ألبتكين رأى أن يترك الأمير وما ملك واتجه إلى غزنة ، واستولى عليها من حاكمها السامانى أبى بكر لويك ، ثم استولى على إقليم زبلستان وأقام إمارة مستقلة عاصمتها غزنة[١٠]، وحاول الأمير السامانى محاربة ألبتكين فى عدة محاولات باءت كلها بالفشل[١١]، فى الوقت الذى رحب به أهل غزنة قائلين : « إننا فى حاجة إلى ملك عادل نكون فى ظله آمنين على أرواحنا وأموالنا وأبنائنا تركيا أم فارسيا » .

ظل ألبتكين يلى أمر غزنة حتى توفى سنة ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م ، فخلفه ابنه أبو إسحق إبراهيم فى حكمها[١٢]، ولكنه سرعان ما توفى سنة ٣٥٥هـ/ ٩٦٦م ، دون أن يكون له وريث ، فاختار قادة الجند أحد مماليكه وهو بلكاتكين الذى ضرب النقود باسمه هناك ، فلما توفى خلفه بيرى ـ أحد علماء ألبتكين ـ لكنه لم يستطع السيطرة على الأمور فى غزنة ، فثار عليه الجند وخلعوه ، واضطربت البلاد اضطرابا شديدا[١٣]، وتشاور قادة الجند فيمن يلى أمرهم فلم يجدوا خيرا من سبكتكين ـ أحد موالى ألبتكين ـ الذى كان يتصف بالخصال الحميدة ، فضلاً عن القوة وشدة البأس ورجاحة العقل، عارفا بقوانين السلطة والملك ، فلما اختاروه اشترط عليهم : « أقبل هذا العبء على أن تهبوا معى هبة رجل واحد على كل من يخالفنى أو

---

(٩) نظام الملك : سياست نامه ، ص١٤٩ .

(١٠) تقع غزنة فى الوقت الحاضر إلى الجنوب الشرقى من مدينة كابول عاصمة أفغانستان.

(١١) السمرقندى : چهار مقالة ، ص٢٣ .

(١٢) العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ١ ، ص٥٦ .

(١٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٢٦٤ .

يشق عصا طاعتى، فعاهدوه أوثق عهد ، وأقسموا على ذلك ، وأجلسوه على عرش الإمارة ونثروا الذهب والفضة من حوله ، وتكللت كل تدابير سبكتكين وحملاته بالسداد والنجاح ، ثم تزوج من ابنة رئيس زابل (زابلستان) التى ولدت له محموداً ، ولهذا كان يقال له محمود الزابلى[١٤] .

**٢ ـ امتداد سلطان الغزنويين إلى بلاد الهند :**

ولى سبكتكين إمارة غزنة سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٧م، وأنفذ إلى الخلافة العباسية كتاباً أعلن فيه الطاعة والولاء ، طالبًا الاعتراف بإمارته ، فأرسل له الخليفة الطائع بالله التقليد والخلع ، وتلقب الأمير سبكتكين بلقب ناصر الدين[١٥]، وعلى الرغم من استقلال سبكتكين فإنه أرسل إلى الأمير السامانى يعرب له عن الطاعة والولاء[١٦]، معترفاً للسامانيين بالسيادة وفتح البلاد باسمهم حتى اتسعت رقعة ولايته وعمرت خزائنه ، بعد أن استولى على قصدار القريبة من حاضرته ، كما سيطر على خراسان ، واستولى على كثير من الحصون والقلاع ، واتجهت أنظاره نحو الهند ، وتمكن من إنشاء حكومة فى بشاور[١٧] . هكذا بدأ سبكتكين الفتوح العظيمة بالهند ، ومهد الطريق لابنه محمود الذى كان يصحبه معه قبل أن يبلغ الرابعة عشرة من عمره ، فخرج معه فى حملتين هزمت فيهما جيوش جيبال راجا لاهور ، وشتت سبكتكين شملهم على حدود البنجاب ، ثم أسر الملك جيبال نفسه ، وقد أطلق سراحه بعد أن تعهد بدفع الجزية ، وترك عدة مدن وقلاع من بلاد الهند تحت إمرة ناصر الدين ، أما الملك جيبال

---

(١٤) نظام الملك : سياست نامه ، ص١٥٧ .

(١٥) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ٢ ، ص١٢٣ .

(١٦) Lane Poole : The Mohammadan dynasties, P. 284, Paris, 1925 .

(١٧) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٨٩ .

ففى أثناء طريق عودته ومعه أصحاب سبكتكين ليسلمهم ما اتفق عليه من أموال غدر بهم ، فلما بلغ الخبر سبكتكين صمم على الانتقام ، وأعد جيشا جراراً توجه به إلى لمغان من بلاد جيبال فاستولى عليها ، وعاد إلى غزنة بعد أن تم له تأمين فتوحاته(١٨) .

لما رأى جيبال من ضياع أملاكه وإضعاف نفوذه ، استعان بأمراء ممالك الهند وجمع جيشا بلغ نحو مائة ألف مقاتل سار به نحو غزنة ، وفى المقابل استعد سبكتكين لملاقاته فجمع قواد الجيش وشجعان العساكر وحرضهم على القتال والجهاد فى سبيل الله ورفع راية الإسلام ، فلما التقى الجمعان انتصر الغزنويون انتصاراً ساحقا ، وسقطت تحت أقدامهم غنائم لا حصر لها ، وعلت كلمة الإسلام وطرزت الطرز باسم سبكتكين وضربت السكة باسم ناصر الدين ، وعاد سبكتكين ظافراً إلى غزنة(١٩) .

كان من النتائج الهامة التى أسفرت عنها حملات سبكتكين على الهند أن ازدادت هيبته فى نفوس المعاصرين ، وإطاعة الأمراء الأفغانيين والخلجيين له وعرضوا إمداده بالمال والسلاح(٢٠) .

لما أحس سبكتكين بدنو أجله أوصى بالحكم من بعده لابنه إسماعيل على الرغم من أنه كان أصغر من الابن الأكبر محمود ، فلما توفى سبكتكين سنة ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م، ولى الإمارة ابنه إسماعيل ، غير أنه كان ضعيف الرأى قليل الحيلة ، فتكاثر عليه الجند وطالبوه بأموال كثيرة ، فوزع

---

(١٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص٨٧ .
(١٩) Munshi : The Struggle for Empire, P. 7 .
العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ١ ، ص٧٩ .
(٢٠) الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ص٨٥ .

عليهم الأموال حتى كادت تنفد خزائن الدولة ، لكنهم طالبوه بالمزيد فضاق إسماعيل بالأمر ولم يستطع القيام به[٢١]، فكاتب أولو الأمر الأمير محمود وكان وقتذاك بنيسابور ، فأرسل إلى أخيه إسماعيل بتقسيم المملكة بحيث يحتفظ لنفسه ببلخ ويعطيه غزنة ، فلم يرض إسماعيل ولم تفلح المحادثات والمراسلات ، وانتهى الأمر بالقتال[٢٢]، فسار محمود من نيسابور إلى هراة وانضم إليه عمه بخراجق، وتوجها معًا إلى بست ومنها إلى غزنة ، وكان إسماعيل قد توجه إلى بلخ ، فعاد إلى غزنة والتقى الأخوان بظاهر المدينة، وانتهت الحرب بين الطرفين بانتصار محمود ، الذى استقر له الحكم بغزنة سنة ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م[٢٣].

بعدما فرغ السلطان محمود من أمر أخيه إسماعيل، وجه اهتمامه نحو توسيع رقعة بلاده على حساب الدولة السامانية والتى أخذت فى الضعف والانحلال[٢٤]، فأرسل السلطان محمود إلى الأمير منصور بن نوح السامانى يطلب الولاية على خراسان لكن منصور اعتذر له ، فسار إليها السلطان محمود فاستولى عليها ، فلما علم بذلك الأمير السامانى اتجه إليها، ولم يقاومه تأدبًا . وخلال طريق عودة الأمير السامانى تآمر عليه واليه بكتوزون وعامله فائق وقاما بخلع منصور وتولية أخيه عبد الملك ، وسار الثلاثة على رأس الجيش السامانى لمحاربة السلطان محمود ، فلما التقى الطرفان فى مرو اقتتلوا قتالاً شديداً ، وانتصر الجيش الغزنوى على

(٢١) ميرخواند : روضة الصفا ، ص١٣٤ .

(٢٢) العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ١ ، ص٢٧٤ .

(٢٣) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ٢ ، ص١٤٠ .

(٢٤) Bosworth : The Ghaznavides, Edinburgh, P. 390 .

السامانيين ، وعلا شأن السلطان محمود ، فدخل نيسابور وخطب على منابرها للخليفة القادر بالله العباسى ، وعين عليها أخاه نصراً[٢٥]، وكان للانتصارات التى حققها محمود الغزنوى أثر بالغ فى توطيد علاقته بالخلافة العباسية، فأنفذ الخليفة القادر بالله الخلع إلى السلطان الغزنوى ، ولقبه يمين الدولة وأمين الملة[٢٦]، وبعد استيلائه على خراسان سنة ٣٨٩هـ/ ٩٩٨م[٢٧] وابتهاجا بالنصر وبالألقاب التى منحها إياه الخليفة العباسى ، قام بسك النقود فى نفس العام بنيسابور ، فظهرت الألقاب على الدراهم ، فضلاً عن رسم للسيف الذى كان قد تلقب به محمود بن سبكتكين منذ سنة ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م من قبل الأمير السامانى نوح بن منصور لما ولاه خراسان ، وجاءت الكتابات على النحو التالى :ـ

| الوجه | الظهر |
|---|---|
| لا إله إلا | لله |
| الله وحده | محمد رسول |
| لا شريك له | الله يمين الدولة |
| القادر بالله | وأمين الملة |
| [illegible] | محمود |

وترجع أهمية هذا الدرهم إلى أنه أول طرز السكة الغزنوية ، التى تعد

(٢٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص١٩٧ .
(٢٦) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص٥٤٤ .
(٢٧) هلال بن الصابى : رسوم دار الخلافة ، ص١٣٢ .
Dunbar : A History of India , P. 90 .
Habib : Sultan Mahmoud of Ghaznine, P. 37 .

من الدراهم التذكارية إذ يبلغ وزنه ٣جم ، وقطره ٢٥مم ، وفضلاً عن ذلك تلقب السلطان محمود بلقب ظل الله فى أرضه(٢٨)، أما ألقابه الكاملة كما أوردها العتبى : « الأمير السيد ، الملك المؤيد ، يمين الدولة ، وأمين الملة ، أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة أبى منصور سبكتكين ، ملك الشرق بجانبيه »(٢٩).

مما تجدر الإشارة إليه أن محمود الغزنوى يعد أول من تلقب ـ فضلاً عن الألقاب السابقة ـ بلقب سلطان ، حيث كان حكام الدولة السابقين يتلقبون بلقب أمير ، يقول نظام الملك : « لم يكن للقب السلطان وجود قبل عهد محمود ، فهو أول من تلقب به فى الإسلام ، وصار سنة من بعده(٣٠)، وتوكيداً لهذا اللقب ، يوجد نص تذكارى على برج محمود بغزنة مؤرخ ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م، عليه لقب السلطان الأعظم ضمن ألقاب محمود الغزنوى(٣١)، ومهما يكن من أمر فقد استقبل السلطان محمود الخلع والمناشير المرسلة له من قبل الخلافة العباسية بحفاوة بالغة ، أعلن لرسل الخلافة بأن فتوحاته ومعاركه إنما تجرى وفق مشيئة الخليفة ، وأنه المدافع الأمين عن نفوذ الخلافة ، وحفظ هيبتها فى الشرق الإسلامى ، وفضلاً عن ذلك كان يخاطب الخليفة بسيدنا ومولانا(٣٢).

لم تقتصر جهود محمود الغزنوى على بسط سلطانه على ملك

---

(٢٨) العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ١ ، ص٣١ .

(٢٩) العتبى : المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٣١ .

(٣٠) نظام الملك : سياست نامه ، ص٨٥ .

(٣١) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص٣٢٤ ، ٣٣٠ .

(٣٢) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك ، جـ٧ ، ص٢٩٢ .

السامانيين فى خراسان وبلاد ما وراء النهر ، بل قام بفتح بلاد الغور فيما بين غزنة وهراة ، ونشر الإسلام بين أهلها ، كما عمل على القضاء على نفوذ البويهيين فى الرى وبلاد الجبل(٣٣)، وكان ميدان الجهاد الأكبر فى بلاد الهند التى غزاها سبع عشرة مرة فى مدى سبعة وعشرين عاماً ، فيما بين سنتى (٣٩١ـ ٤١٨هـ/ ١٠٠٠ ـ ١٠٢٦م)، وكان يرمى من غزو بلاد الهند القضاء على الشرك والوثنية ونشر الإسلام بين أهلها .

بدأت غزوات محمود إلى بلاد الهند سنة ٣٩١هـ/ ١٠٠٠م، فسار إلى بلخ ومنها إلى هراة ، ثم اتجه نحو بشاور ، لكنه ما إن تجاوز التلال القريبة منها حتى علم بعصيان خلف بن أحمد حاكم سجستان الذى أظهر الخلاف والخروج على طاعته ، فاضطر للمسير إليه ، وبعد أن تخلص منه، عاود تنفيذ مشروعه الكبير ، فعبر السند بعشرة آلاف مقاتل واصطدم بقوات جيبال راجا لاهور التى كانت تتألف من اثنى عشر ألف مقاتل ، فضلاً عن ثلاثمائة من الأفيال ، واقتتل الطرفان وانتهت المعارك الضارية بانتصار محمود وأسر جيبال الذى افتدى نفسه بمبلغ كبير ، وغنم المسلمون مغانم كثيرة(٣٤)، لكن ملك الهند لم ينعم بالحرية ، ذلك أنه كان من عادة الهنود إذا أسر أحد أمرائهم لا تنعقد له بعد ذلك رئاسة ، فلم يستطع جيبال تحمل الهزيمة النكراء بعدما لحقه من الذل والهوان ، فحلق رأسه وألقى بنفسه فى النار ، وترك عرشه من بعده لابنه فى شوال سنة٣٩٢هـ/ ١٠٠١م(٣٥)،

---

(٣٣) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٩٠ .

(٣٤) Munshi : The Struggle for Empire , P. 6 .

(٣٥) العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ١ ، ض٣٩١ .

بينما لقب السلطان محمود بعد هذه الواقعة بالغازى ، وعاد إلى غزنة ، وفى سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م، توجه إلى بهاطية وحاصر حاكمها بحيراراب الذى ما أن أيقن بالهزيمة حتى طعن نفسه منتحراً ، وفر جيشه فلحق بهم السلطان وغنم منهم مغانم عظيمة ، كان من بينها مائة وعشرون فيلا مرصعاً(٣٦) .

تقدم السلطان محمود غازيا إلى الملتان سنة ٣٩٦هـ/ ١٠٠٥م ففتحها عنوة وفرض على أهلها الجزية ، وبينما هو يتقدم فى البنجاب حتى وافته الأخبار بأن ايلك خان والى ما وراء النهر قد هاجم خراسان فى غيبته ، فاتجه السلطان إلى بلخ واتخذها موقعًا متقدماً ورتب الجند ، وجعل على رأسهم أخاه نصر بن سبكتكين وحاجبه الكبير أبا سعيد التونتاش معاونا له على الميمنة ، وأرسلان الجاذب على الميسرة ، وقاد السلطان الجيش راكبًا فيله الخاص ، وما أن بدأ القتال حتى أفنوا الأعداء وأوقعوا بهم الهزيمة سنة ٣٩٧هـ/ ١٠٠٦م(٣٧) . وفى سنة ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م، سار السلطان محمود إلى ولاية تندا ـ بإقليم خوارزم ـ لتوطيد سلطان الغزنويين عليها ، فلما بدأ القتال قام الجند بنفخ الأبواق وضرب الأصناج الكبيرة ودق الدفوف ، فأحدثت أصواتا مرعبة ، أصمت آذان الترك ، فلما سمع العدو قرع طبول الحرب قذف جماعة منهم بأنفسهم فى الماء (نهر جيحون) خوفاً وذعراً(٣٨) .

سار السلطان محمود إلى الملتان مرة أخرى بعد القضاء على تمرد

---

(٣٦) ميرخواند : روضة الصفا ، ص١٣٩ .

(٣٧) ميرخواند : المصدر نفسه ، ص١٣٩ .

(٣٨) الكرديزى : زين الأخبار ، جـ٢ ، ص٢٨٧ .

إيلك خان ، فلما رأى ملوك الهند وأمراؤها ما يتهددهم من أخطار من جراء هجمات السلطان محمود ، اتفقوا على الزحف بجيوشهم جميعاً للقضاء على حركته ، وساروا إلى أرض البنجاب بقيادة سيوه بال ، فالتقى بهم السلطان الغزنوى وكادت القوات الهندية تظفر بالمسلمين فى بادئ الأمر ، لكن محمود ما لبث أن أوقع بهم الهزيمة واستولى جنوده على بعض قلاعهم ، ثم استكمل القتال ضد انانج بال بشراسة حتى تفرق الهنود وانتصر محمود نصراً مؤزراً ، وتابع تقدمه حتى بلغ ناجاركون ، وحمل من غنائمها الذخائر والجواهر والأوانى الذهبية والفضية وعاد بها إلى غزنة حيث عرضها فى صحن داره[٣٩].

ولعل من أهم الفتوحات الغزنوية تلك المعركة الكبرى التى اشترك فيها الأمير مسعود مع أبيه السلطان محمود الغزنوى فى غزو بلاد الغور ، ذلك أن السلطان محمود كان قد زحف من بست إلى خوابين التى كانت تتميز بقلاعها وحصونها العنيدة ، غير أنها لم تستعص على قوة الأمير مسعود وشجاعته النادرة حيث كان يقلع الفرسان من فوق جيادهم ، مما جعلهم يلوذون بالحصون العالية ، ومما يرويه البيهقى قوله : « ولما لاذ جمع من الأعداء بالمعاقل والحصون ، شوهد أحد قادتهم يستهزئ بالمسلمين من فوق برج أحد الحصون ، فسدد مسعود نحوه سهمًا أصابه فى حلقه فسقط عن الحصن ومات لساعته فانكسرت قلوب أصحابه وسلموا الحصن ، وكل ذلك بفضل ضربة الأمير النادرة »[٤٠]، ويستطرد البيهقى رواية الأحداث بقوله :

---

(٣٩) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص٢٣٩ .

(٤٠) البيهقى : تاريخ البيهقى ، ص١١٦ .

،وبعد أن فرغ السلطان محمود من الحرب وعاد إلى الخيمة ، أنزل ذلك الشبل فيها فتناول معه الطعام وشمله بعطفه ، وكانت هذه المأثرة من أهم ما دعا السلطان لأن يختص الأمير مسعود بولايته العهد صبياً إذ كان لا يعرف أحداً يستطيع النهوض بأعباء ذلك الملك الواسع العظيم من بعده غير هذا الأمير ،، وذلك فى سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م(٤١).

تابع السلطان محمود فتوحاته فى بلاد الهند فغزا ماثرا على نهر حومنا بعد أن عبر نهر الجانج للوصول إليها وعاد بعد انتصاره محملاً بالغنائم سنة ٤٠٩هـ/ ١٠١٨م، ثم ولى شطره إلى الولايات الهندية الشمالية، فلما وصلت قواته إلى باران سنة ٤١٠هـ/ ١٠١٩م ، أخذ الهلع يدب فى نفس الملك هاردتا ، وخشى على حياته ، ولم يجد من وسيلة للنجاة سوى الدخول فى الإسلام ، فتحول هو ومعه نحو عشرة آلاف إلى الدين الإسلامى ، ونبذ عبادة الأصنام (٤٢).

كانت أعظم فتوحات السلطان محمود سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م ، حيث اتجه بجيوشه إلى معبد سومنات على ساحل جوجارات ، وذلك لأن الهنود كانوا يقولون إن الأصنام التى كان يحطمها محمود لدى فتوحاته ، قد سخط عليها سومنات ، ولو أنه كان راضيا عنها لأهلك من قصدها واعتدى عليها، لذا عزم السلطان محمود على غزو سومنات وإهلاكه ، فسار من غزنة فى شعبان من هذا العام فى ثلاثين ألفا من جنده ، وسلك سهل الملتان واخترق جزءاً من راجبوتانا ، ووصل إلى سومنات حيث لقيه أهل

---

(٤١) البيهقى : تاريخ البيهقى ، ص١١٨ .

(٤٢) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٩١ .

جوجارات بمقاومة عنيفة لم ير مثلها قط ، ولما اقتربت جيوشه من الصنم أسرع الهنود ليقاتلوا عنه، وتضرعوا إلى صنمهم لعله ينصرهم ، فى الوقت الذى عرض فيه القائمون على خدمته أموالاً طائلة على السلطان محمود ليتركه، لكنه رفض رفضاً قاطعاً قائلا: «ليعرف العالم أن محموداً هو محطم الأصنام وليس بائعها »، وما أن وصل إليه حتى قام بكسره وتحطيمه أمام مريديه وهم يبكون ويتضرعون (٤٣).

وكان لهذا الصنم مكانة رفيعة لدى الهنود، فكانوا يزورونه فى ليلة الخسوف، فيجتمع أكثر من مائة ألف شخص حول المعبد ، وكانوا يعتقدون أن الأرواح تأتى لخدمة سومنات بعد مفارقة الأجساد، ويقوم هو بتحويل الأرواح إلى الأبدان، على سبيل التناسخ، وكانوا يحضرون التنور له من أقصى ممالك الهند ، وكانت هناك ألف قرية عامرة وقفا لسدنة هذا المعبد، ويعلقون فى رقبته جنزيراً من الذهب بالأجراس، ويخدمه ثلاثون مغنيا وخمسمائة جارية من الراقصات(٤٤).

بقى السلطان محمود بضعة أشهر فى الهند بعد غزوة سومنات قبل عودته إلى غزنة ، وما أن وصل إلى هناك حتى كتب إلى الخليفة القادر بالله العباسى بما فتح الله عليه وعلى جيوش المسلمين من النصر المبين ، مفتخراً بقيامه بكسر الصنم سومنات الذى يعظمه الهنود ، ويعتقدون أنه يحيى ويميت ، ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وإذا شاء أبرأ جميع العلل

(٤٣) Habib : Sultan Mahmoud of Ghaznine, P. 37 .

(٤٤) ميرخواند : روضة الصفا ، ص١٥٢ .

وأنهم يقصدونه من أقاصى البلاد رجالاً وركبانا ، وفى خدمته من البراهمة ألف رجل يخدمونه ، وثلاثمائة يحلقون رءوس حجيجه ولحاهم ، وأنهم وضعوا حوله عدداً من الأصنام المصنوعة من الذهب المرصع بأصناف الجوهر تحيط بعرشه ، ويزعمون أنهم الملائكة، (٤٥) . وكان السلطان محمود قد عين نائبا عنه فى حكم بلاد الهند وجعل مقره لاهور (٤٦) بأعلى نهر السند ويعقب Lane-Poole على ذلك بقوله : ، تعتبر حملات السلطان الفاتح محمود فى بلاد الهند واتخاذه لاهور مقراً للحكم الإسلامى ، هو الفتح الأعظم للمسلمين وبداية حكمهم هناك ، فقد مهد السبيل أمام الغوريين لاستكمال نشر الإسلام فى بلاد الهند الشمالية (٤٧) .

لا شك أن اهتمام السلطان محمود الغزنوى بقواته العسكرية كان له أثره البالغ فى الانتصارات التى حققها فى كافة الميادين ، وبخاصة أنه حرص على أن يؤسس جيشه من عدة أجناس من الترك والخراسانيين والعرب والهنود والغوريين والديالمة ، فكان كل جنس منهم يقاتل ببسالة ومضاء حفاظاً على سمعته ، وخوفا من العار والهزيمة ، ويعقب على ذلك نظام الملك بقوله : ، إن اتخاذ الجيش من جنس واحد مدعاة لظهور الأخطار والتخريب والفساد وعدم الجدية والبلاء فى الحرب ، (٤٨) . وفضلاً عن ذلك كان السلطان يتحرى الدقة فى اختيار جنده ولو كان مملوكا ،

---

(٤٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٢ ، ص١١٢ .

(٤٦) لاهور مدينة عظيمة مشهورة فى بلاد الهند .

ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٢٦ .

(٤٧) Lane-Poole : The Mohammadan dynasties, P. 46 .

(٤٨) نظام الملك : سياست نامه ، ص١٤٠ .

فمن ذلك أنه جعل التونتلش قائداً للجيش الذى أرسله فى موقعة ناردين بوسط الهند ، وكان أبو سعيد التونتلش مملوكًا تركياً ، التحق بخدمة الجيش الغزنوى ، وما زال يترقى فى المناصب حتى صار قائداً للجيش فى عهد سبكتكين ، ثم اختاره السلطان محمود حاجباً له ، وقائداً لغلمان القصر(٤٩). كما كان السلطان يقلد القائد المختار لمهمة حربية الخلع الفاخرة ، فأمر بقبائين مزركشين بالذهب ، وسيفين بحمائل مرصعة بالجواهر ، ووضعها فى عنق أرياق الغازى السبهلار قائد جيش الهند سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م(٥٠).

مما تجدر الإشارة إليه أن الرسائل المتبادلة بين موضع الجيش فى الحرب وبين الحضرة السلطانية ، كانت تكتب بالرموز (الشفرة) وتعرف أيام الغزنويين بالملطفة المعماة ، وكانت مفاتيح الرمز تحفظ فى ديوان الرسائل ، حيث يقوم رئيس الديوان بفك الرموز وإعادة كتابة الرسائل باللغة الواضحة قبل عرضها على السلطان(٥١)، وقد كان الفارس حامل البريد يخفى الرسالة فى جوف العصا أو آلة الإسكافى أو بطانة الحذاء الطويل أو فى لباد الحصان أو بين أوعية الماء(٥٢).

وقد علق العتبى على انتصارات السلطان محمود بقوله : « وغزا (السلطان محمود الغزنوى) الملتان فاجتاحها ، وتوغل فى الهند عودا على

---

(٤٩) البيهقى : تاريخ البيهقى ، ص١٣ .

(٥٠) البيهقى : المصدر نفسه ، ص٢٤٤ .

(٥١) البيهقى المصدر نفسه ، ص٧١٦ .

(٥٢) Habib : Sultan Mahmoud of Ghaznine, P. 46 .
Bosworth : The Ghaznavids, P. 89 .

بدء فتكاً جراحها وأذل لقاحها وجاس رباعها ، وافتتح صياصيها ، وأقام على بيوت الأصنام مساجد الإسلام ، وعلى مشاهد البهتان معابد التوحيد والإيمان(٥٣) .

ويقارن Ishwari بين نظرة الهنود للسلطان الغزنوى وبين نظرة المنصفين ، فيقول : « إن الهندوس حتى وقتنا الحاضر ينظرون إلى محمود على أنه مستبد مغتصب وحش مخرب ، لأنه استولى على أراضيهم وحطم معتقداتهم » . وللرد على هؤلاء المتعصبين نقول إن الغزنويين ساروا فى تحطيم الأصنام والأوثان على نهج رسولنا الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو الذى قام بكسر أصنام الشرك والوثنية ، لإعلاء كلمة التوحيد ، وقد كرر السلطان محمود نفسه مراراً إنه إنما قام بذلك لكى يؤكد للهنود أن الأصنام لا تنفع ولا تضر ولا تحمى غيرها ، وإلا كيف وقفت عاجزة عن حماية نفسها من معاول الهدم . بينما يرى المسلمون أنه فاتح عظيم ومنقذ دينى اقتلع جذور الشرك والوثنية من هذه البلاد الشاسعة ، ويعقب Ishwari برأيه قائلاً : « إن محموداً كان قائداً جسوراً من خيرة الرجال ، عادلاً منصفاً ، جندياً موهوباً قائداً من أشجع الرجال ، يستحق أن يأخذ مكانه بين عظماء الكون »(٥٤) .

ومهما يكن من أمر فقد ارتفعت الدولة الغزنوية إلى الأوج فى قليل من الزمن بفضل همة السلطان محمود وحسن قيادته ، فهو بطل الإسلام ، محطم الأصنام ، فاتح الهند ، استطاع بعبقريته الحربية وسياسته الفائقة أن

---

(٥٣) العتبى : اليمينى ، جـ١ ، ص٣٨ .

(٥٤) Ishwari : A Short History of India, Allahabad, 1933, P. 106 .

يوسع حدود مملكته ، لتشمل أملاك السامانيين الذين غلبهم على أمرهم ، فامتد سلطانه إلى بخارى ، وسمرقند ، وأفغانستان ، وما وراء النهر ، وخراسان ، وطبرستان ، وسجستان ، وكثير من الولايات فى الشمال الغربى من الهند(٥٥) .

ولما أدركت السلطان محمود الوفاة ، وأحس بدنو أجله قال قصيدة رائعة فى حقيقة الحياة والموت والدنيا والآخرة :

خوفا من سيفى الذى يغزو العالم ، ومن محصنى الذى يفتح القلاع
انصاع لى العالم ، كما انصاع الجسد للعقل وأضاع
وبقينا وهلة فتمتع فى سرور بالعز والدولة والسلطان
وآثارنا الحرص أحيانا ، فأخذنا نتنقل من مكان إلى مكان
وكثيراً ما فخرت بأننى رجل الدنيا والدين
فإذا بى الآن أرى الأمير مساويا للسائل المسكين
ولو أخذ أحد الناس جمجمتين مهشمتين من قبرين قديمين
وكانت إحداهما لأمير والأخرى لفقير، لما استطاع أن يفرق بين الاثنتين
ولقد فتحت كثير من القلاع بإشارة واحدة من يدى
وحطمت كثيراً من الجيوش بركلة واحدة من قدمى
ولكن الموت يهاجمنى الآن ، وليس له من دافع
والله وحده له الملك والبقاء فى كل المواقع(٥٦)

---

(٥٥) براون : تاريخ الأدب فى إيران ، ص١٠٠ ــ ١١١ .
(٥٦) براون : المرجع نفسه ، جـ٢ ، ص١٣٧ .

### ٣ ـ خلفاء السلطان محمود الغزنوى :

توفى السلطان محمود الغزنوى فى ربيع الآخر سنة ٤٢١هـ/ أبريل ١٠٣٠م، طبقًا للنقش الموجود أسفل برج محمود الغزنوى[٥٧]، فولى عرش السلطنة ابنه محمد بناء على وصية أبيه ، وبايعه أركان الدولة وأهالى المملكة ، وأثناء ذلك كان أخوه مسعود حاكما للعراق العجمى ، فلما علم بوفاة أبيه سار إلى خراسان ، وأرسل إلى أخيه محمد : « إننى لا أطمع فى هذه الولاية التى أوصى بها الأب لك ، ويكفينى بلاد الجبل وطبرستان » ، لكن محمداً لم يوافق ورد على أخيه بلهجة شديدة ، وتحول الخلاف إلى الاستعداد للحرب ، ولما رأى قادة الجيش ذلك انحازوا لأخيه مسعود لكبر سنه وشجاعته وقوة بأسه ، فقبضوا على محمد وحبسوه فى خيمته وسملوا عينيه ، ونادوا بأخيه مسعود سلطانا عليهم فى ذى القعدة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م[٥٨]، واستعدوا لاستقبال مسعود .

لما عزم السلطان مسعود الغزنوى على المسير من أصبهان إلى نيسابور للجلوس على عرش السلطنة ، أعد له الغازى الحاجب سبهسلار خراسان استقبالاً كبيراً احتفاءً بمرور السلطان فى ولايته ، فركب السبهسلار جواده واستدعى إليه النقباء ، وقال : « ينبغى أن يوعز للجند ليتهيئوا للاصطفاف ليراهم مولانا ، وعلى الطلائع والمقدمين أن يحسنوا الخدمة »، وبدأت الجنائب تسير بكامل أسلحتها للاستعراض ، والغلمان المجهزون بالعلامات وخيل الخاصة وأفواج الخيالة بعدة كاملة ، ومروا فوجًا فوجًا ، وعلى كل

---

(٥٧) المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، سجل الكتابات العربية ، جـ٣ ، ص٢٠٧ .

(٥٨) البيهقى : تاريخ البيهقى ، ص٥٨٠ .

ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص١٨٠ .

فوج قائد ، بينما وقف كثير من الفرسان والحشم للتحية ، وكانت الأعلام تمتد إلى مسافات بعيدة من أبواب قصر شادياخ ، وإثر تمام الاستعدادات للاستقبال وصل السلطان مسعود وأخذ مكانه فى صفة التاج(٥٩).

بدأ مسعود عهده بالاستيلاء على مكران سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م، ولم يكد يستكمل فتوحاته ، ويوطد سلطانه على أملاك الغزنويين حتى علم بخبر وفاة الخليفة القادر بالله ، وجلوس القائم بأمر الله على عرش الخلافة العباسية سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م، فاستعد لاستقبال مبعوث الخلافة الذى قرر الخليفة القائم أن يرسله للسلطان مسعود لحضور مراسم التعازى فى حاضرة الغزنويين ، وأخذ البيعة ، فدعا السلطان كبير الحجاب ، وقائد الغلمان ، والعارض ، وصاحب ديوان الرسائل .

فلما وصل المبعوث فى شهر المحرم ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م، وقف أربعة آلاف من غلمان السراى فى صفين من جهة القصر مقسمين إلى عدة كتائب ، ألفان منهم بقبعات ركنية ومناطق مذهبة ، وألفان آخران بقبعات ذات أربعة أشرطة ، كما وقف ثلاثمائة من خاصة الغلمان عند ممرات البهو ، مما يلى مجلس السلطان بألبسة فاخرة ودبابيس من ذهب ، واصطف الجند بأسلحتهم فى صفين بألبسة حريرية متعددة الألوان ، ومعهم الرايات ليستعرضهم رسول الخليفة أثناء مروره بينهم ، فلما وصل تعالت أصوات الكوسات والأبواق والطبول ، فلما رأى المبعوث هذا المشهد العجيب أخذته الدهشة ، وخلال ذلك تقدم ركب السلطان وأمامه أربعة آلاف من الغلمان على تلك الزينة ، وكان القائد بكتغدى من ورائه وفى

---

(٥٩) البيهقى : تاريخ البيهقى ، ص٤٥ .

أثره غلمان الخاصة، وراية السلطان وأصحاب الرتب والحجاب فى المقدمة، ومن ورائهم كبير الحجاب بلكاتكين مع الوجوه والأعيان ، ثم نفخ فى الأبواق الذهبية إعلاناً باتخاذ السلطان مكانه الجليل إيذانا ببدء العرض(٦٠) .

بعد انتهاء العرض استقبل السلطان مسعود مبعوث الخليفة الخاص وتسلم منه الرسالة العزيزة إلى قلبه بمنتهى الوقار والاحترام ، وجاء فيها : «بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله أبى جعفر الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، إلى ناصر دين الله ، الحافظ لعباد الله ، المنتقم من أعداء الله ، ظهر خليفة الله أبى سعيد ولى أمير المؤمنين ، ابن نظام الدين ، وكهف الإسلام والمسلمين ، يمين الدولة وأمين الملة أبى القاسم ولى أمير المؤمنين »(٦١)، فتلقى الرسالة بسعادة بالغة معبراً عن ولائه وطاعته للخلافة العباسية السنية ، وكان لاعتزاز السلطان مسعود بالألقاب التى منحته إياها الخلافة أن أمر بنقشها على النقود الخاصة بعهده فى أقاليم الدولة الغزنوية المختلفة ، ومن ذلك دينار ضرب نيسابور سنة ٤٢٤هـ(٦٢)، وجاءت كتاباته على النحو التالى :

| مركز الوجه | مركز الظهر |
| --- | --- |
| لا إله إلا | محمد رسول الله |
| الله وحده | ناصر دين الله |
| لا شريك له | حافظ عباد الله |
| القائم بأمر الله | مسعود |

واصل السلطان مسعود فتوحاته فأرسل جيشًا بقيادة أبى سهل الزوزنى

---

(٦٠) البيهقى : تاريخ البيهقى ، ص٣١٥ ـ ٣١٩ .

(٦١) البيهقى : المصدر نفسه ، ص٤٤٦ ـ ٤٤٧ .

(٦٢) متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، رقم السجل ١٨٤٨٥ .

إلى الرى والعـراق سنة ٤٢٤هـ/ ١٠٣٢م[٦٣]، لتوطيد سلطان الغزنويين عليها ، وفى سنة ٤٢٥هـ/ ١٠٣٣م أنفذ جيشاً آخر إلى كرمان بقيادة أحمد على نوشتكين كان يتألف من أربعة آلاف فارس وألفين من جند الهند ، وألف من الترك ، وألف من الكرد والعرب ، فضلاً عن خمسمائة راجل من كل صنف بقيادة مقدميهم[٦٤].

استأنف مسعود فتوحاته فى بلاد الهند ، فاستولى على قلعة سرستى الجبلية جنوبى كشمير ، وأقر القائد أحمد بن ينالتكين واليا على الهند ، غير أن هذا الوالى حدثته نفسه بالخروج على طاعة السلطان بعد أن استولى على بنارس وغنم منها كنوزاً عظيمة وأموالاً طائلة ، فلما رأى ذلك قائد شيراز أنفذ الكتب إلى غزنة محذراً من ابن ينالتكين ، وأشار أصحاب مسعود عليه بالقضاء على الفتنة قبل أن تستشرى ، وكان السلطان فى طريقه إلى ختلان وخراسان وبخارى لتوطيد سلطانه عليها ، ووصلته الأخبار أن أحمد بن ينالتكين اشتبك فى قتال مع عبد الله ، قاضى شيراز وحاكمها ، فأمر أحد خواصه وهو تلْكْ الهندى أن يتوجه إلى هناك بقواته لإيقاف الحرب ، فلما رأى جند ينالتكين القائد تلك وقواته فزعوا وانفضوا من حوله ، وانهزم ينالتكين وولى هاربا إلى الملتان ، وقصد بعض ملوك الهند ، وطلب سفنا لعبور نهر السند ، لكن السفن لم تستطع العبور لأن المنطقة كانت عميقة وكثيرة الوحل ، واضطر هو وأتباعه لترك السفن فهلك معظم أصحابه ، ولم يجد أحمد بن ينالتكين بداً من الانتحار فى النهر فمات غرقاً[٦٥].

---

(٦٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٤ .

(٦٤) البيهقى : تاريخ البيهقى ، ص٤٥٧ .

(٦٥) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٩ .
البيهقى : المصدر نفسه ، ص٤٠٦ .

من ناحية أخرى سار السلطان مسعود على رأس جيشه إلى جرجان فاستولى عليها ، واتجه منها إلى آمل بطبرستان واقتحمها وهزم دارا بن منوجهز بن قابوس حاكمها الذى طلب العفو والأمان ، فقبل السلطان عذره ومنحه العفو وعاد إلى خراسان سنة ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م(٦٦) .

مما هو جدير بالذكر أن تقاليد الحروب عند الغزنويين كانت تسير وفق تنظيم محكم ، ومن أهم هذه التقاليد استدعاء مجلس شورى الحرب للانعقاد بحضور كل من الوزير والسبهسلار (قائد الجيش) ، والعارض ورئيس ديوان الرسائل(٦٧) ، وكبير الحجاب برئاسة السلطان للتشاور وتبادل وجهات النظر ، فإذا ما اتخذ قرار الحرب ، انضم إلى الاجتماع بدعوة السلطان كبار القادة وأصحاب الولايات وبعض الحجاب المختارين ، فضلاً عن الموكل بالاصطبلات السلطانية ، ففى سنة ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م ، اجتمع السلطان مسعود الغزنوى مع الوزير والخواجة أبى سهل محمد بن حسن الزوزنى رئيس ديوان العرض ، وأبى نصر مشكان ـ صاحب ديوان الرسائل ـ وبعض كبار الحجاب لاتخاذ قرار بشأن تزايد النفوذ السلجوقى ، فلما قرر المجلس إرسال جيش قوى إلى خراسان لمحاربتهم ، ذهب رسول السلطان فدعا أصحاب الولايات التى تقع فى طريق مسير الجيش لضمان الإمدادات والمعاونة(٦٨) ، فلما حلت الهزيمة بالجيش الغزنوى على أيدى السلاجقة فى شعبان من نفس العام اجتمع مجلس الحرب على الفور للوقوف على

---

(٦٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٩ .

(٦٧) البيهقى : تاريخ البيهقى ، ص٥١٥ .

(٦٨) البيهقى : المصدر نفسه ، ص٥١٨ .

الأسباب التى أدت إلى تلك الهزيمة ، واقتصر الاجتماع على الوزير والعارض وسورى ـ صاحب ديوان خراسان ـ وجلسوا عند مدخل البستان المؤدى إلى قصر السلطان ، وتبادلوا الرأى والمشورة لإيجاد الوسائل التى تكفل تفادى وقوع مثل هذه الهزيمة فى الحروب المقبلة.

الواقع أن السلطان مسعوداً كان قائداً حازماً وهمته عالية ، إلاّ أن طموحاته الكثيرة قد شتت قواته ، فصارت جيوشه تضرب وتحارب فى أماكن عديدة فى وقت واحد ، ففى الوقت الذى كانت تضرب فيه قوات تلك الهندى القائد المنشق أحمد بن ينالتكين، كان السلطان بجيشه يفتح جهات أخرى ويوطد سلطة الغزنويين عليها ، وكان يمكن أن يستفيد بقوة ابن ينالتكين فى تدعيم سلطانهم فى الهند ، ويتفرغ السلطان لصد هجمات السلاجقة التى استفحلت وباتت تهدد سلطان الغزنويين فى كل مكان ، غير أن مسعوداً كان من صفاته التأثر بدسائس المغرضين من حاشيته ، والذين استطاعوا إقناعه بأن واليه على الهند يعمل على الاستئثار بها وضرب مصالح الغزنويين هناك ، هذا فى الوقت الذى لم ينصت لنصائح المخلصين من وزرائه وأركان جيشه بضرورة التخلص من استفحال أمر السلاجقة ، قبل الشروع فى القيام بفتوحات جديدة ، والذين قالوا له : «المصلحة هى أن تتوجه أولاً إلى خراسان وتصد السلاجقة»، فقال مسعود : « إننى نذرت أن أفتح القلاع وأقضى على الكفر وأنشر الإسلام »(٦٩).

ومهما يكن من أمر فقد واصل السلطان مسعود فتوحاته فى الهند ، فقاد جيشاً كثيفاً إلى الهندوستان عاقداً العزم على اقتحام قلعة هانسى التى

(٦٩) ميرخواند : روضة الصفا ، ص١٦٢ .

كانت تعرف بالقلعة العذراء ، لأن أحداً لم يستطع اقتحامها والاستيلاء عليها(٧٠)، إلا أن مسعوداً حاصرها من كل مكان ، ودارت رحى الحرب على مدى ستة أيام ، استطاع خلالها فريق من جيش السلطان مسعود كسر أحد جدرانها ، وانساب الجيش الغزنوى داخلها واستولى عليها ، وغنم الغزنويون أموالاً طائلة وأسرى كثيرين من العبيد والإماء ، ولم يكتف السلطان بذلك ، بل اتجه إلى قلعة سونيبات التى هرب صاحبها ديبال فى الصحراء والغابات ، فدخلها الجيش وغنم الجنود مغانم كثيرة من الذهب والفضة ، والأمتعة التى لا حصر لها ، ثم اتجهوا إلى أحد الأديرة التى يقوم على خدمتها رجل مسن يدعى رام ، فلما اقترب مسعود منها ، أرسل إلى السلطان : « أنا رجل كبير ، وأنا فى خدمة السلطان »، فقبل السلطان الأمان، ثم عين ابنه مجدوداً على ولاية لاهور وعاد هو إلى غزنة ظافراً غانماً سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م(٧١).

لم يتمتع السلطان مسعود بانتصاراته فى الهند كثيراً ، فقد علم أن السلاجقة بقيادة طغرلبك استولوا على مدينة نيسابور سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م، فسير إليهم حاجبه سباشى فى جيش عظيم ، فسار من غزنة إلى خراسان ، وأقام مدة سنة على المدافعة والمطاولة بين الكر والفر ، حتى انتهى به الأمر إلى سرخس ، وكان السلاجقة بظاهر مرو فاتجهوا إليه ، فما كان منه إلا أن أحرق معسكره وولى هاربا وأصحابه فانهزموا واستولى السلاجقة على ما بقى ، وسار داود أخو طغرلبك إلى نيسابور فدخلها بغير

---

(٧٠) Moreland : A Short History of India, P. 148 .

(٧١) ميرخواند : روضة الصفا ، ص١٦٣ .

قتال بعد أن فر واليها أبو سهل الحمدونى ، ووصل طغرلبك إلى هناك ، وأقام بدار الإمارة وجلس على سرير السلطان مسعود(٧٢) ، وسير أخوه داود إلى سرخس واستولى على سائر خراسان سوى بلخ .

لم يجد السلطان مسعود ـ بعد أن علم بما حل بحاجبه وجيشه ـ إلاّ المسير على رأس الجيش الغزنوى من غزنة إلى بلخ، فوصل إلى هناك فى صفر ٤٣٠هـ/ نوفمبر١٠٣٨م، ثم سار منها إلى سرخس ، وسير وزيره أحمد بن محمد بن عبد الصمد فى عساكر كثيرة إلى طوس التى كان طغرلبك قد سار إليها ، وكان السلاجقة قد عمدوا إلى المراوغة وتشتيت قوات السلطان مسعود ، فتركوا له نيسابور التى دخلها فى جمادى الأولى سنة ٤٣٠هـ/ يناير١٠٣٩م، وأخذ السلطان مسعود فى إعداد العدة للانقضاض على السلاجقة واستعادة أملاكه(٧٣)، فلما أكمل استعداداته عاد إلى غزنة .

لما أتم السلطان استعداداته لمحاربة السلاجقة سار من غزنة فى جيش جرار تام العدة والعتاد ، سالكا طريق بُسْت ، وتكينا باذ حتى وصل إلى خراسان ، وكان طغرلبك فى مدينة طوس التى اتجه إليها مسعود راكباً فيله فى صفر سنة ٤٣١هـ/ أكتوبر ١٠٣٩م، ولما كانت المسافة إلى طوس تبلغ خمسة وعشرين فرسخًا ، غلب السلطان مسعود النعاس على ظهر الفيل(٧٤) ، فلم يستطع أحد أن يوقظه أو أن يسوق الفيل فى سرعة ، فلما طلع النهار بلغه الخبر أن طغرلبك قد لحق بأخيه جعفرى بك ، فسار السلطان مسرعاً وتهيأ للحرب، وتلاقى مع السلاجقة فى الصحراء الواقعة بين سرخس ومرو

---

(٧٢) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية ، ص١٥٨ .

(٧٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص١٧ .

(٧٤) البيهقى : تاريخ البيهقى ، ص٧٥٧ .

فى موضع يعرف بداندانقان .

ودارت حرب ضروس بين الطرفين ، وانهرم الغزنويون هزيمة ساحقة فى رمضان ٤٣١هـ/مايو١٠٤٠م، وولى مسعود مهزومًا تاركًا خزائنه وأمتعته وسائر ما يملك ، وبينما كان هاربا سار فى أثره بعض جنده وقبضوا عليه وأحضروه إلى أخيه محمد ، فقال محمد : «إننى لا أقصد قتلك، فاختر مكاناً لسكناك» ، فاختار قلعة كيكى فأنفذه إليها، وطلب مسعود من أخيه مالا ينفقه فأرسل إليه خمسمائة درهم فبكى مسعود وقال : « كان بالأمس حكمى على ثلاثة آلاف حمل من الخزائن ، واليوم لا أملك درهما» ، ولم يلبث محمد بن محمود الغزنوى أن أرسل إلى أخيه مسعود فى القلعة من قتله(٧٥) .

ترجع أسباب الهزائم التى منى بها الجيش الغزنوى أمام السلاجقة إلى ضم بعض الشباب المتهورين لمجلس شورى الحرب وهم لا يتمتعون بالخبرة والتجربة اللازمة لاتخاذ قرارات مصيرية ، واختيار قادة من كبار السن الطاعنين فى الشيخوخة مثل القائد بكتغدى الذى حاول التنحى عن القيادة قائلاً : « إنى عبد مطيع ... ولكن أنا رجل قد بلغت من الكبر عتيا ، وهن عظمى وضعف بصرى ، ولا يجوز النقص فى القيادة ، فإنه يؤدى إلى خلل عظيم فيؤاخذنى به السلطان »(٧٦) ، غير أن السلطان أصر على إرسال بكتغدى قائداً عاماً .

كذلك لعبت الأحمال الثقيلة وسوء التدريب دوراً هاماً فى عجز الجيش الغزنوى وإعاقة حركته ، لأن الجند كانوا مضطرين إلى حماية أنفسهم

---

(٧٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص٢٦ ـ ٢٧ .
(٧٦) البيهقى : تاريخ البيهقى ، ص٥١٦ .

وحماية متاعهم الثقيل ، بينما كان السلاجقة يتمتعون بخفة الحركة لأن أحمالهم كانت بسيطة .

وفضلاً عما سبق كان للقدر دوره فى إلحاق الهزيمة بالغزنويين فى داندانقان ، فقد تمت المعركة فى يوم شديد الحرارة والمؤن قليلة ، والعلف لا وجود له والدواب هزيلة ، وقد مر السلطان مسعود الغزنوى على كثير من جنده وهم يجرون جيادهم ويبكون ، فامتلأ قلبه حسرة وقال : « **ما أسوأ حال هذا الجيش** »[٧٧] .

مهما يكن من أمر ، لما قتل مسعود ، عاد أخوه محمد إلى غزنة[٧٨] ، غير أن مودود بن مسعود لم يقف مكتوف الأيدى إزاء قتل أبيه فأنفذ رسالة إلى عمه محمد جاء فيها : « أطال الله بقاء الأمير القاسم (محمد بن محمود ابن سبكتكين) ورزق ولده المعتوه أحمد عقلاً يعيش به ، فقد ركب أمراً عظيماً ، وأقدم على إراقة دم ملك مثل والدى ، الذى لقبه أمير المؤمنين سيد الملوك والسلاطين ، وستعلمون فى أى حتف تورطتم وأى شر تأبطتم ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون »[٧٩] ، ولم يلبث أن سار مودود من خراسان ، قاصدا غزنة لمحاربة عمه ، فقابله على طريق كابل وبشاور ، فلما اشتبك معه فى الحرب انتصر عليه ، ودخل مودود غزنة ، وانتقم من المتآمرين على والده ، ثم دخل غزنة فى شعبان سنة ٤٣٢هـ/أبريل ١٠٤١م[٨٠] .

---

(٧٧) البيهقى : تاريخ البيهقى ، ص٦٨٥ .

(٧٨) Bosworth : The Ghaznavids , p. 91 .

(٧٩) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٢٥ .

(٨٠) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٤ ، ص٣٨٥ .

على الرغم من الانتصارات التى حققها مودود بن مسعود ، فإن الأخطار أحدقت بالدولة الغزنوية ، فتلقت ضربات قاصمة من جانب السلاجقة ، فضلاً عن النزاع والصراع بين أبناء البيت الغزنوى نفسه ، فمن ذلك أن ألب أرسلان بن داود السلجوقى ، انتصر على جيش مودود الغزنوى، واستولى السلاجقة على قلعة ترمذ ، كما تم لهم فتح خوارزم سنة ٤٣٤هـ(٨١)، ومنذئذ بدأت الولايات الغزنوية تتساقط فى أيديهم ، وسرعان ما داهم المرض مودود ثم لم يلبث أن توفى سنة ٤٤١هـ/ ١٠٤٩ـ١٠٥٠م، ولا شك أن موت مودود المفاجىء قد حال دون القضاء على قوة السلاجقة، فقد عرف بالشجاعة والإقدام ، ولم يأل جهداً فى سبيل إعادة أقاليم دولته وتوطيد سلطانها على الأطراف .

على أى حال انتشرت الفتن فى حاضرة الدولة الغزنوية إثر وفاة مودود ، فلما ولى السلطنة مسعود الثانى بن مودود ، لم يبق إلا خمسة أيام فى الحكم ، فقد نازعه السلطنة عمه أبو الحسن على بن مسعود الأول ، ومن ناحية أخرى انتهز عبد الرشيد بن محمود الغزنوى فرصة هذا الاضطراب والنزاع ، ودعا الجند لطاعته فأجابوه ، وساروا معه إلى غزنة ، فلما اقتربوا منها ولى على بن مسعود هارباً ، واستولى عبد الرشيد على السلطة وتلقب عز الدولة ، شمس دين الله ، سيف الدولة .

ومن ناحية أخرى استغل طغرلبك الحاجب ـ زوج أخت مودود(٨٢) ، فرصة انشغال السلاجقة فى خراسان ، وتحول إلى غزنة للاستيلاء عليها ، ولما علم عبد الرشيد بذلك اعتصم بقلعة فى غزنة ، إلا أن طغرل قبض

---

(٨١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٣٤ .

(٨٢) ميرخواند : روضة الصفا ، ص١٦٧ .

عليـه وقـتله سنة ٤٤٤هـ/ ١٠٥٣(٨٣)، واسـتـولى على بلاده ، ولم يرض بعض القـواد عن مـقتل عـبـد الرشـيـد ، فـقاموا للأخذ بثأره ، فدخلوا على طغرل وقتلوه، وولوا مكانه فروخ زاد، الذى هب للدفاع عن الدولة الغزنوية وقضى نحـو سبع سنوات فى مـحاربة أعدائه السلاجقة ، فضلاً عن ضرب الخـارجين على سلطانه مـن قـواده ومماليكه ، وظل على ذلك حـتـى توفى سنة ٤٥١هـ/ ١٠٥٩ـ١٠٦٠م(٨٤)، وتولى السلطنة من بعـده أخوه إبراهيم ابن مسعود ـ الذى بدأ عهدا جديداً مع السلاجقة ، يقوم على الود والاحترام المتبادل ، حتى صار سلاطين السلاجقة يخاطبونه فى مراسلاتهم بالوالد ، وفضلاً عن ذلك تزوج ابنه مسعود من ابنة السلطان السلجوقى ملكشاه .

لما تـوفى السلطان إبراهيم بن مـسـعـود سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م، ولى السلطنة ابنه مـسـعـود بن إبراهيم ولقب بـجـلال الدولة ، وكـانت الأحـوال مـسـتـقـرة خـلال حكمـه ، فلمـا توفى سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٤م، ولى السلطنة شيرزاد بن مسعود الثالث ، إلاَّ أنه لم يلبث أن توفى سنة ٥٠٩هـ/ ١١١٥م فولى السلطنة أرسلانشاه الذى قبض على إخوته وسجنهم إلاّ أن أحدهم وهو بهرامشاه فر من سجنه ، وسار إلى السلطان سنجر بخراسان وعاد النزاع سيرتـه الأولى بين أبناء البيت الغزنوى(٨٥) .

قام النزاع بين بـهرامشاه وأرسلانشاه وهما من أمراء البيت الغزنوى ، على العـرش ، فـاسـتنجـد بهـرامـشـاه بـالسلطان السلجـوقى سنجـر ـ حـاكم خراسان ـ فانتهز سنجر هذه الفرصة ، وسار مع بهرامشاه لمحاربة أخيه ، فلما انتصـر عليـه ، أجلس بهـرامشاه على كرسى الحكم فى غزنة على أن يلى أمرها من قبله ، ويخطب باسمه على المنابر، وعلى أن يؤدى له جزية

---

(٨٣) Habib : Sultan Mahmoud of Ghaznine, P. 104 .

(٨٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٨٨ .

(٨٥) ميرخواند : روضة الصفا ، ص١٧٠ .

سنوية ، وذلك سنة ٥١٠هـ/ ١١١٦م[٨٦].

كان الخطر الحقيقى الذى تعرضت له الدولة الغزنوية وأودى بحياتها قد جاء من ناحية الغور ، ذلك أن الصراع الغورى ـ الغزنوى كان قد بدأ فى عهد قطب الدين محمد بن الحسين الذى سار إلى غزنة للاستيلاء عليها ، غير أن بهرامشاه تمكن من القبض عليه وقتله ، مما أثار حفيظة الغور لمقتل حاكمهم سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م، فدخل علاء الدين الحسين بن عز الدين حاكم الغور غزنة ونهبها ، وأمر بإشعال النيران فيها ، فلقب علاء الدين جهانسور (محرق العالم)[٨٧].

اضطر الغزنويون لنقل مقر حكمهم إلى بلاد الهند بعد تدمير حاضرة ملكهم ، واتخذوا من لاهور عاصمة لهم سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م[٨٨]، إلا أن الغور لم يتركوهم وشأنهم ، فسار شهاب الدين محمد الغورى ـ حاكم الغور ـ إلى نواحى بلاد الهند ، وتقدم فى فتوحاته حتى بلغ لاهور سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م فحاصرها ، وأنفذ إلى السلطان الغزنوى أن يعترف بسيادة الغور ويخطب لهم على المنابر فى مقابل ترك البلاد له يحكمها من قبلهم ، فلما رفض خسرو ملك هذا العرض ضيق عليه شهاب الدين الغورى الحصار حتى اضطره إلى طلب الأمان ، وتم عقد الصلح على شروط الغوريين ، ودخل شهاب الدين محمد الغورى لاهور معلنا سقوط الدولة الغزنوية سنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م[٨٩].

---

(٨٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٢٧٠ .

(٨٧) زامباور : معجم الأنساب ، جـ٢ ، ص٥٤ .

(٨٨) حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص٥٤ .

Lane-Poole : Medivial India, 1971, P. 48 .

(٨٩) زامباور : المرجع نفسه ، جـ٢ ، ص٥٩٧ .

Cambridge History of India, Cambridge, 1929, vol. III. P. 34 .

**٤ ـ الدور الحضارى للغزنويين فى بلاد الهند :**

يعتبر العصر الغزنوى ، عصر الإمبراطورية الكبرى بالهند ، فقد تمكن سلاطين هذه الدولة من غزو بلاد الهند والسيطرة على أغلب أطرافها ، وبلغت جيوشهم أقصى جنوب شبه الجزيرة الهندية ، وسطعت شمس الإسلام فى تلك الأقطار بفضل جهودهم المخلصة من أجل إعلاء كلمة الإيمان ، وحرص سلاطين الدولة الغزنوية ، وبخاصة السلطان محمود بن سبكتكين وابنه مسعود على نشر شعائر الإسلام والقضاء على البدع والمنكرات التى كانت قد تفشت فى المجتمع الهندى على مر العصور ، وتقليل الفوارق بين طبقتيه ، والتى كانت تتألف من الطبقة العليا ويمثلها الراجبوت ، والطبقة الدنيا طبقة السواد الأعظم التى يمثلها الشودرا أو الطبقة المنبوذة ، فضلاً عن تنظيم العلاقات بين العناصر العرقية التى كان يتألف منها المجتمع الهندى فى عصر الغزنويين ، ومن أهمها العرب والأفغان والترك والفرس ، بالإضافة إلى الهنود الذين اعتنقوا الإسلام وانخرطوا فى عناصر المجتمع الإسلامى .

لما فتح الغزنويون بلاد الهند ، هالهم حال المجتمع هناك الذى كان يتألف من طبقتين عظيمتين متباينتين اجتماعيًا ، بينما يتألف من عدة طبقات دينية ، أما من الناحية الاجتماعية فكانت الطبقة العليا يمثلها السلطان والأمراء والحجاب وكبار رجال الدولة أصحاب الألقاب الرفيعة من الخانات والملوك وهم الراجبوت من سلالة الملوك والحكام من أقدم العصور، أشراف البلاد وسادتها ، وكانت بأيديهم الثروات كلها ، وهم الذين يتمتعون بالترف والنعيم أما الطبقة الثانية فهى طبقة السواد الأعظم ويمثلها الشودار ، وليس لها كيان ولا عمل سوى خدمة الطبقة العليا ، وكان أبناؤها يعانون من الفقر والجوع ، وهم أكثر من يتعرض للبلاء والمحن فى أوقات

المجاعات والكوارث التى تتعرض لها البلاد ، وكان هذا النظام الطبقى يفرض قيوداً صارمة على أرباب كل طبقة ، فلا يحق للرجل الراجبوت أن يتزوج من طبقة الشودرا وإلاّ أصبح منبوذاً يطرد من عائلته ، ولا يتزوج رجال الشودرا إلاّ من نساء الشودرا ، لأن الدم الذى يجرى فى عروقهم دم خبيث يحمل أمراضاً خطيرة ، وكان يحرم على الشودرى أن يجمع ثروة زائدة حتى لا يتحمل الخطايا والآثام ، وتقع عليه لعنة السماء ، وعلى الشودرى أن يرضى بحاله وعليه أن يتخذ مسكنا له فى أطراف المدن فى أماكن غاية فى الحقارة والضعة ، وكان الشودرا يتميزون بالجهل الشديد والرضا بالذل والمهانة ، وصار جل سعادتهم هى خدمة أفراد الطبقة العليا (الراجبوت)[٩٠].

وعلى الرغم من تحريم الخمر فى ديانتهم المقدسة فإنهم سمحوا للشودرا باحتسائها لأنها تذهب العقل ؛ فيذكر البيرونى[٩١]: « والخمر محرمة عندهم إلا الشودرا فإن شربها مباح له وبيعها محظور عليه »[٩٢].

وأما من الناحية الدينية ، فكان التقسيم الطبقى يتألف من البراهمة أى الكهان وطائفة الأكشترية ـ المحاربين ، وطائفة الفيشية وهى طبقة الزراع والتجار التى كان عليها أن توفر وسائل العيش للكهان والمحاربين[٩٣].

وكان الهنود قبل الفتح الغزنوى يقدسون البقر ويحرمون ذبحها طبقا

---

(٩٠) Smith : The Oxford History of India , Oxford, 1923, P. 238 .

(٩١) البيرونى : تحقيق ما للهند ، ص٢٧٨ .

(٩٢) البيرونى : المصدر نفسه ، ص٢٧٧ .

(٩٣) عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، بيروت ١٤٠١هـ ، ص٥٠ .

لمعتقدات الهندوس البراهمة[٩٤]، وكان الجزاء الرادع لمن يتجرأ على ذبحها أن يخاط فى جلدها ويحرق ، فقضى الغزنويون على تلك العادات الغريبة ، بينما تأثر بعض الهندوس بالعادات الإسلامية مثل حجاب المرأة[٩٥]، والزى الإسلامى ، واستخدم الهنود بعض الألفاظ العربية والفارسية والتركية ، مما أدى إلى ظهور لغة جديدة هى اللغة الأوردية[٩٦].

أما أكثر العادات الاجتماعية تطرفا والتى قضى عليها الغزنويون فهى إغراق الرجال أنفسهم فى نهر الكنج، الذى يزعمون أنه مقدس وأنه ينبع من الجنة ، فإذا مات أحدهم أخرجوه وأحرقوه وذروا رماده فوق ماء النهر،

---

(٩٤) البراهمة : هم الذين يقدسون البقر ، ويحرمون أكل لحومها ألبتة ، وتعد من أكثر الطوائف الدينية انتشاراً فى الهند منذ أقدم العصور ، وهى تنسب إلى رجل منهم يقال له إبراهيم ، الذى مهد لهم نفى النبوات واستحالتها فى العقول ، وزعيمهم الدينى هو « بد » وأصحابه هم البددة ، والبد شخص لا يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت ، وأول بد ظهر فى العالم هو «شاكمين» وتفسيره السيد الشريف ، والبددة تأتيهم من نهر الكنج المقدس ، وهم أرباب العلوم ، والبد يعطى العطايا الكلية من السعادة، والجزئية من النحوسة والبددة أصحاب الفكرة ، يعظمون الفكر ويقولون إنه المتوسط بين المحسوس والمعقول ، وكان منهم السامرة الذين يترأسهم أمير الطائفة ولقبه « ونار » وهم الذين يؤمنون بالتناسخ ، وعندهم أن الإنسان يرجع بعد أربعين يوما إلاّ أن روحه تعود فى صورة كلب أو حمار أو بقرة أو فيل ـ ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص٤٣٠ .
يقول الشهرستانى : « من الناس من يظن أنهم سموا البراهمة لانتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام وذلك خطأ ، فإن هؤلاء هم المخصصون بنفى الأديان أصلاً ورأسًا ، فكيف يقولون بإبراهيم أبى الأنبياء عليه السلام » .
الشهرستانى : الملل والنحل ، جـ٢ ، ص٢٥٠ ـ ٢٥٣ .

(٩٥) حسن أحمد محمود : الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى ، ص٢٣٦ .

(٩٦) Elliot and Dowson : The History of India as told by its own Historians, (Mahmoud Period), II, P. 386.

أما نساء البراهمة فكن يحرقن أنفسهن حزنا على أزواجهن ، وفق طقوس وتقاليد متوارثة ، وأثناء الحرق كان كل إنسان من المتفرجين يوصيها : «أبلغى سلامى إلى أبى أو أخى أو أمى أو عشيقى وهى تضحك وتقول نعم»[(٩٧)] .

هكذا يرجع الفضل للغزنويين الذين أرسوا قواعد الإسلام الحنيف ومبادئه السمحة فى بلاد كانت غارقة فى غياهب الشرك والضلال والأفكارالشيطانية المتوارثة العتيقة ، يرجع إليهم الفضل فى التغيير الشامل للطبقية الاجتماعية والدينية فى بلاد الهند ، ففقدت طبقة البراهمة المخيفة الكثير من نفوذها واكتسب الشودرا وضعًا اجتماعيا يتناسب مع آدميتهم ، ولما رأت الطبقات المطحونة من دعوى الإسلام للمساواة بين البشر ، وكسر حوائط الطبقية الجامدة الصارمة ، دخلت فى الإسلام طواعية ، وعلا صوتها فى حركات تحررية ضد الكبت الدينى والاجتماعى ، تحت لواء المساواة ووحدة العقيدة .

وعلى ذلك فقد نجح الغزنويون فى صهر المجتمع الهندى فى بوتقة الإسلام دون إكراه ، بعد أن عرف هذا المجتمع أن الإسلام ينبذ العنصرية والطبقية وإعلاء كلمة المساواة التامة بين أصحابه ، حيث إن الإسلام كما يقول آدم متز : « يلائم ببساطة العقلية الهندية أكثر من أى دين آخر ، وأما ما قام به الفاتحون من بعض المضايقات ، فإنما هى حالات فردية لا تمت للإسلام السمح بصلة »[(٩٨)]، بل إن الهنود أنفسهم تأكدوا من صدق التطبيق

---

(٩٧) جوستاف لوبون : حضارة الهند ، ص٣٨ .
البيرونى : تحقيق ما للهند ، ص٢٧٨ .
(٩٨) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ٢ ، ص٤٨ .

لمبدأ العدالة والمساواة ، فقد أشرك السلاطين الغزنويون الهنود فى قيادة جيوشهم على الرغم من طبقاتهم المتواضعة ، فمن بينهم ، تلك ، الهندى الذى كان ابن حلاق من الطبقة الدنيا ، فكان قائداً لأحد فرق جيش السلطان مسعود عندما استعان به وأسند إليه قيادة الجند الذين أرسلهم لإخضاع أحمد ينالتكين بعد ما خلع الطاعة ، فلما هزم ينالتكين وقضى عليه ، كافأه السلطان وأسند إليه ولاية الهند سنة٤٢٧هـ/ ١٠٣٦م، بعد أن خلع عليه خلعة سالارية (قيادة) الجيش الهندى ، وطوقه بطوق مرصع(٩٩)، إلى جانب ساندار وناث وغيرهما ممن شهدت أعمالهم لهم بالكفاءة(١٠٠).

انتشرت الثقافة الإسلامية انتشاراً يدعو إلى الإعجاب بفضل تشجيع سلاطين وأمراء وكبار رجال الدولة الغزنوية ، وكانت قصور الفاتح العظيم محمود الغزنوى تزدان بكوكبة من الشعراء والمنشدين ، لقد جعل من قصره مركزا ترنو إليه الأبصار وتشخص إليه الأنظار ، وقد وصف محمود الغزنوى بأنه كان نصيراً للأدب والفنون ، وارتفعت أقدار كثير من رجال الأدب فى عهد الغزنويين ، فمن بينهم أبو الفتح على بن محمد البستى ، وهو من بين رجال الأدب المعروفين بالمهارة فى الإنشاد العربى نظماً ونثراً ، وكان سبكتكين قد أخذه بعد الاستيلاء على مدينته بست ، ثم انتقل هذا الكاتب البارع والشاعر المبدع إلى خدمة السلطان محمود ، وكان البستى ماهراً فى الدواوين والملاحم البديعة ، ومن بين أشعاره الجميلة :-

---

(٩٩) البيهقى : تاريخ البيهقى ، ص٤٣١.

(١٠٠) Aziz Ahmed : Studies in Islamic Culture in the Indian History, P. 99.

زيادة المال فى دنياه نقصان ∴ وربحه غير محض الخير خسران

ومنها أيضاً نصيحة جليلة للملوك والحكام :

نصحتكم يا ملوك الأرض لا تدعوا ∴ كسب المكارم بالإحسان والجود

وقد توفى فى بخارى سنة ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م(١٠١) . أما الفردوسى فكان دهقانا من دهاقين طوس ، وكان أبوه بستانيا فى حديقة بالقرب من طوس مملوكة لسورى بن المغيرة عميد خراسان ، فلقب نفسه بالفردوسى نسبة لها، ولما اتصل الفردوسى بالسلطان محمود الغزنوى قال فى مدحه : « متى غسل الطفل شفتيه من لبن أمه ، فإن أول كلمة ينطق بها هى محمود »، فلما سمع السلطان قول الفردوسى قربه إليه وأغدق عليه النعم ، وأنزله فى قصره ، ورتب له مرتبا يصرف له بانتظام ، ومن ناحيته أهدى للسلطان النسخة الثانية من الشاهنامة أو الملحمة القومية سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠م، والتى يكاد النقاد شرقيون وغربيون يجمعون على الإعجاب الشديد بها ، وبعد الفراغ من منظومته الكبيرة يوسف وزليخا عاد إلى بلدته طوس ، حيث توفى سنة ٤١١هـ/ ١٠٢٠م(١٠٢).

كان أبو القاسم بن أحمد العُنصرى أحد كبار الشعراء فى بلاط السلطان محمود ، وقد تبوأ مكانة عليا لمواهبه الشعرية ، وصار يعرف بكبير الشعراء، حيث ترأس أربعمائة شاعر كان يعج بهم بلاط السلطان ، فكان يعهد إليه بمناظرة وتقييم ومحاورة الشعراء ، وقد نظم المقطوعة الرائعة فى انتصارات الغزنويين ، ومدح السلطان محمود فاتح الهند ومحطم الأصنام ، يقول فيها : « يا سليل الكمال يا من وهبه الله العظمة والعزة ، يا عضد

---

(١٠١) براون : تاريخ الأدب فى إيران ، جـ٢ ، ص١١٤ .

(١٠٢) براون : المرجع نفسه ، جـ٢ ، ص١٦٨ .

الأمة ، يا واهبها العزة والكرامة ويا نبع الأمان ، يا من نمت شجرة الحرية التى غرسها لتناطح السماء ، وتكون كل ورقة من أوراقها رمزاً للكرامة ، وكل ثمرة من ثمارها رمزاً للإخاء والثراء ، يا من خشيتك يَسْوَدّ قلب الكافر ويضىء قلب المؤمن بنور إيمانك »(١٠٣).

وكان أبو ريحان محمد بن أحمد البيرونى ممن ارتفعت أقدارهم تحت رعاية السلطان محمود الغزنوى ، فظل فى خدمة السلطان من سنة ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م، حتى وفاة السلطان ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م، وألف البيرونى ؛ الآثار الباقية ، وتحقيق ما للهند من مقولة مقبولة ، والتفهيم فى صناعة التنجيم (بالفارسية)، ولما انتقل إلى خدمة السلطان مسعود بن محمود ألف له كتاب قانون المسعودى ، كما أهدى كتابا عن الأحجار الكريمة إلى مودود بن مسعود(١٠٤).

كان البيرونى قد رافق السلطان محمود فى غزواته بالهند ، وعكف هناك على تعلم اللغة السنسكريتية (من فصيلة اللغات الآرية التى كتب بها الهنود كتبهم المقدسة القديمة)(١٠٥)، ثم تفرغ لدراسة المجتمع الهندى من خلال قراءاته لكتبهم وتاريخهم ومشاهداته ، ووضع كتابه تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة ، وانتقل إلى البحث العلمى وقام بوضع النتائج فى كتب عديدة(١٠٦). فمن ذلك : كتاب استخراج الأوتار فى الدائرة بخواص الخط المنحنى فيها ، كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر ، كتاب الصينية فى الطب ، كتاب فى الهند والنجوم ، كتاب فى استيعاب

---

(١٠٣) Elliot and Dowson : The History of India , P. 128 .

(١٠٤) براون : تاريخ الأدب فى إيران ، جـ٢ ، ص١١٧ .

(١٠٥) لوبون : حضارة الهند ، ص٤٧٨ .

(١٠٦) بارتولد : الحضارة الإسلامية ، ص٧٩ ـ ٨٠ .

الوجوه الممكنة فى صناعة الاصطرلاب ، فضلا عن مقالة فى النسب التى بين الفلزات والجواهر فى الحجم ، ورسالة فى فهرست كتب محمد بن زكريا الرازى ، وغيرها الكثير مما ورد فى مقدمة تحقيق كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية .

وفضلاً عن ذلك قام بترجمة عدة كتب ورسائل من السنسكريتية إلى العربية ، فمنها جوامع الموجود لخواطر الهنود فى حساب التنجيم ، وخيال الخسوفيين ، والنظريات الرياضية لبرهما سدهانتا . لقد أسدى البيرونى خدمات جليلة للعلم والعلماء؛ وكان كما وصفه أحمد أمين درة فى الدولة الغزنوية كابن سينا فى الدولة السامانية(١٠٧)، حيث إن مؤلفاته تدل على سعة آفاقه العلمية والأدبية ، وظل البيرونى يكتب ويترجم روائعه حتى توفى بغزنة سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م.

ومن ناحية أخرى حظى المؤرخون بنصيب وافر من رعاية السلاطين الغزنويين ، فمن بينهم الوزير أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبى ، الذى عمل كاتبا للسلطان سبكتكين ، ثم انتقل إلى خدمة السلطان محمود الغزنوى، وصارت له مكانة مرموقة فى بلاطه ، فألف له كتابا سماه اليمينى ، نسبة إلى لقب محمود بن سبكتكين الذى لقبه به الخليفة القادر العباسى (يمين الدولة) ، ويعد كتاب العتبى أكبر مصدر فى تاريخ الدولة الغزنوية والوقائع التى حدثت فى عهده إلى سنة ٤٠٩هـ/ ١٠١٨م، وقد صاغه المؤلف فى أسلوب أدبى مسجوع ، على غرار ما فعله معاصره أبو منصور الثعالبى(١٠٨)، وحظى هذا الكتاب بشهرة واسعة لدرجة أن الشيخ

---

(١٠٧) أحمد أمين : ظهر الإسلام ، جـ١ ، ص٢٨٧ .

(١٠٨) العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ١ ، ص٦٧ ـ ٧٢ .

جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٢٢٥ .

أحمد المنينى تصدى لشرح محتوياته ، ووضع له عنوانا باسم « الفتح الوهبى على تاريخ أبى نصر العتبى » ، اشتهر باسم « شرح اليمينى »[(١٠٩)] .

كما يعد أبو الفضل أحمد بن حسين البيهقى من أشهر مؤرخى العصر الغزنوى، ويرجع لقبه إلى قرية بيهق التى ولد فيها جنوبى خراسان ، وتربى فى مدينة نيسابور ، وشب على أيدى كبار فطاحل العلماء والفقهاء ، ونال قسطاً وافراً من التعليم والثقافة فى علوم شتى ، واهتم فى المقام الأول بعلوم الدين واللغة ، ونهل من علوم الأدب لارتباطه الوثيق بالأدباء العظام ، وعلى الرغم من كثرة مؤلفات البيهقى إلاّ أن أعظم مؤلفاته التى ذاع صيتها ، كان ذلك السفر الضخم الذى ألفه للسلطان مسعود الغزنوى ، والمعروف بتاريخ المسعودى أو تاريخ البيهقى ، ويعد بحق المرجع الأول فى حقبة زمنية فاصلة ، وفى مرحلة تحول فى تاريخ الدولة الغزنوية خلال عهد السلطان مسعود بن محمود الغزنوى الذى كان يناضل من أجل الحفاظ على الكيان الغزنوى فى مواجهة قوة السلاجقة المتنامية .

أما عن أهمية هذا الكتاب فترجع إلى أن البيهقى كان قد التحق بديوان الرسائل الذى كان يرأسه أبو نصر بن مشكان خلال عهدى السلطانين محمود وابنه مسعود ، ثم استمر فى عمله معاونا لأبى سهل الزوزنى ، الذى ولى رئاسة الديوان بعد وفاة ابن مشكان ، وظل البيهقى فى هذا الديوان حتى ولى رئاسته فى عهد السلطان عبد الرشيد بن محمود الغزنوى ، مما أتاح له فرصة الإطلاع على الوثائق الخاصة بفترة عمله بديوان الرسائل ، وذلك أنه كان يعمل كاتبا لما يصدر عن هذا الديوان وإعداد الردود على

---

(١٠٩) براون : تاريخ الأدب فى إيران ، جـ٢ ، ص١٣٣ .

الوارد ، فضلاً عن النسخ والحفظ فى الأرشيف ، حيث أن العمل فى الديوان كان يختص بتحرير المراسيم والأوامر السلطانية ، فضلاً عن إعداد وثائق الرد على المكاتبات الرسمية ، وكان الكاتب يقوم بالتلخيص والمراجعة من خلال القراءة المتأنية الواعية ، وتصفح كل ما يصدر عن الديوان قبل العرض ، فضلاً عن الاحتفاظ بسجل خاص ليسهل الحصر والمراجعة ، وقد أورد لنا البيهقى خطوات العمل فى الديوان الذى كان يعمل به كاتبًا فى بداية عمله الرسمى وترقى به حتى ترأسه .

لا شك أن المطلع على هذا العمل الضخم سوف يكتشف على الفور مدى سعة اطلاع البيهقى وعمق دراسته وتنوع ثقافته ، فعرض للأحداث السياسية مع النقد والتحليل وإبداء الرأى فى كل ما مرت به الدولة فى تلك الحقبة الزمنية الفارقة ، وفضلاً عن ذلك عرض للنظم الإدارية والمالية والسياسية ، وأسهب فى الحديث عن رسوم قصر السلطان ، وتناول أيضًا العادات والتقاليد والنظم الاجتماعية التى ميزت فترة حكم الغزنويين(١١٠) .

---

(١١٠) البيهقى : انظر المقدمة .

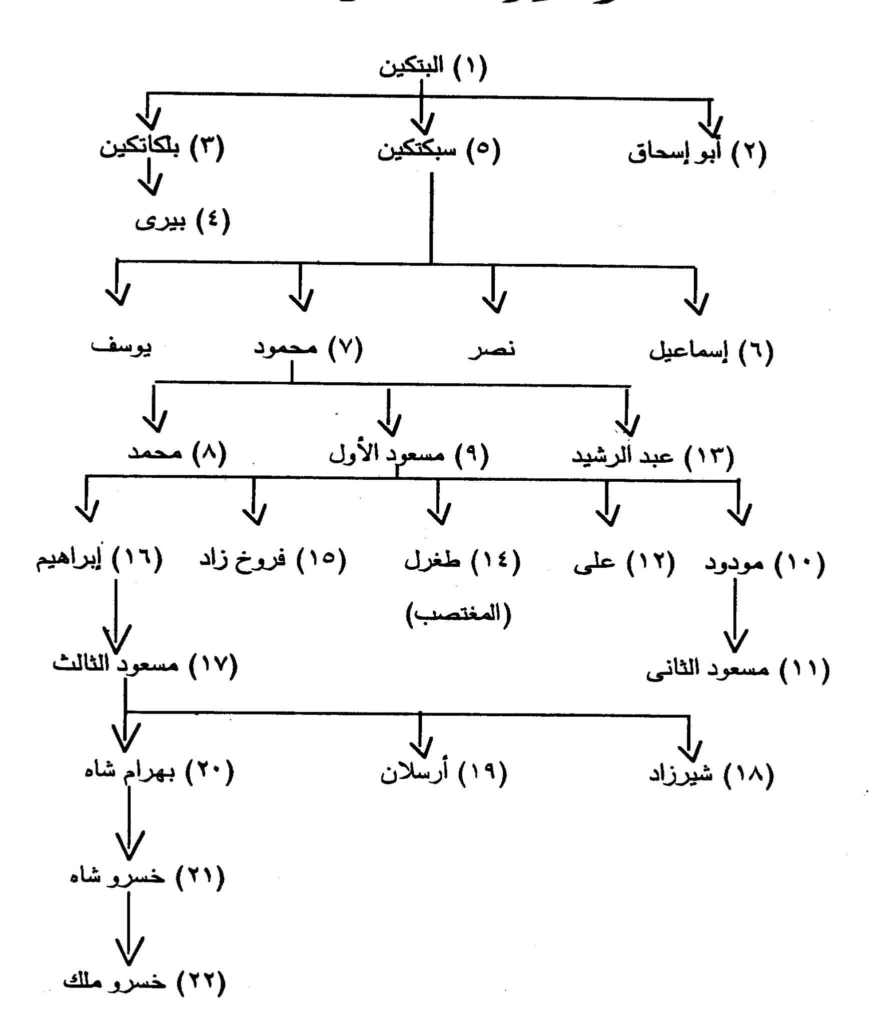
# جدول

## بأسماء حكام الدولة الغزنوية

| هجرى | ميلادى | اسماء الأمراء |
|---|---|---|
| ٣٥١ | ٩٦٢ | البتكين |
| ٣٥٢ | ٩٦٣ | أبو إسحاق |
| ٣٥٥ | ٩٦٦ | بلكاتكين |
| ٣٦٢ | ٩٧٢ | بيرى |
| ٣٦٦ | ٩٧٧ | سبكتكين |
| ٣٨٧ | ٩٩٧ | إسماعيل |
| ٣٨٧ | ٩٩٧ | محمود : يمين الدولة |
| ٤٢١ | ١٠٣٠ | محمد : جلال الدولة |
| ٤٢٢ | ١٠٣٠ | مسعود الأول : نصير الدولة |
| ٤٣٢ | ١٠٤٠ | مودود : شهاب الدولة |
| ٤٤١ | ١٠٤٩ | مسعود الثانى |
| ٤٤١ | ١٠٤٩ | على أبو الحسن بهاء الدولة |
| ٤٤١ | ١٠٤٩ | عبد الرشيد/ عز الدولة |
| ٤٤٤ | ١٠٥٢ | طغرل (مغتصب)* |
| ٤٤٤ | ١٠٥٣ | فروخ زاد : سيف الدولة |
| ٤٥١ | ١٠٥٩ | إبراهيم : معز الدولة |
| ٤٨١ | ١٠٨٨ | مسعود الثالث : جلال الدولة |
| ٥٠٨ | ١١١٤ | شيرزاد : كمال الدولة |
| ٥٠٩ | ١١١٥ | أرسلان : سلطان الدولة |
| ٥١٠ | ١١١٦ | بهرام شاه : يمين الدولة |
| ٥٤٧ | ١١٥٢ | خسرو شاه : معز الدولة |
| ٥٥٥ | ١١٦٠ | خسرو ملك : تاج الدولة |
| ٥٧٩ | ١١٨٣ | |

(*) زوج أخت مودود بن مسعود .

## مشجرهم وتسلسل توليهم الحكم



# الفصل السابع
# دولة السلاجقة

تلق هذه النعمة بشكرك واتق الله فى سرك وجهرك



## الفصل السابع

## دولة السلاجقة

### ١ ـ ظهور السلاجقة وقيام دولتهم :

ينسب السلاجقة إلى إحدى قبائل الغز التركمانية التى كانت تقيم فى أقصى سهول التركستان[١]، فلما ضاقت سبل العيش بتلك القبائل[٢]، سارت نحو بلاد ما وراء النهر فى شكل هجرات خلال القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى[٣].

كان سلجوق بن دقاق[٤]، الذى ينسب إليه السلاجقة[٥]، يعمل فى خدمة أحد ملوك الترك الذى يعرف باسم « بيغو » ، فلما ظهرت أمارات النجابة عليه قربه إليه ملك الترك واختص به ولقبه سباشى (قائد الجيش)[٦].

لما قويت شوكة سلجوق بن دقاق ، وازداد نفوذه بعد أن استطاع استمالة طائفة كبيرة من الأمراء والجند والعامة ، خشيه ملك الترك ، واضطر سلجوق بعد أن جمع شمل الجند تحت قيادته إلى السير نحو بلاد الدولة

---

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٤٥٠ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية ، ص١٤٥ .

(٣) براون : تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى ، ترجمة إبراهيم أمين الشواربى ، مصر ١٩٥٤ ، ص٢١٠ .

(٤) دقاق : كلمة تركية معناها . القوس من الحديد ، وتكتب تقاق أو يقاق .
انظر الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، نشر محمد إقبال ، لاهور ١٩٣٣ ، ص١ .

(٥) بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، ص١٠٠ .

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٢٢ .
ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٣٤ .

الإسلامية[٧]، حيث نزل إلى جوار السامانيين والخانيين والغزنويين سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م مما ساعد على دخول السلاجقة فى الإسلام[٨].

كان لاعتناق السلاجقة الدين الإسلامى أثر كبير فى إقامة علاقات قوية بينهم وبين جيرانهم السامانيين ، الذين عهدوا إليهم بالدفاع عن أراضيهم من غارات الترك، ومعاونتهم فى حروبهم ضد أعدائهم القراخانيين[٩]. ولما رأى السامانيون إخلاص السلاجقة فى مساعدتهم ، سمحوا لهم بالمرور عبر أراضيهم والإقامة على مقربة من شاطئ نهر سيحون حيث اتخذوا مدينة جند مقراً لهم[١٠].

لما استقر السلاجقة فى مدينة جند ، بدأ زعيمهم سلجوق بن دقاق فى تكوين جيش قوى من القبائل التركمانية التى وفدت إليه وانضمت إلى جانبه[١١]. ثم ما لبث أن قام بشن الغارات على الترك ، وظل سلجوق يعمل على إعلاء شأن السلاجقة حتى توفي فى جند[١٢]. فخلفه فى زعامة السلاجقة أكبر أبنائه « إسرائيل » الذى سار على نهج أبيه فى تقوية أمر السلاجقة ، واستطاع فى خلال سنوات قليلة إعداد جيش قوى[١٣]، مما

---

(٧) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٣٤ .
بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص٢٧٢ .
(٨) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص٢ .
بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، ص١٠٨ .
(٩) ابن كثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٢٢ .
(١٠) الحسينى : المصدر نفسه ، ص٢ .
(١١) عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص١٩ .
(١٢) تامارا تالبوت رايس : السلاجقة ، تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة لطفى الخورى ، إبراهيم الداقوقى ، بغداد ١٩٦٨ ، ص٢١ .
(١٣) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، ص١٤٥ .

شجع السلاجقة على القيام بشن الغارات ، وتوسيع رقعة أراضيهم على حساب الترك[١٤] ، وفضلا عن ذلك انتهز السلاجقة فرصة اضمحلال الدولة السامانية واقتسام القراخانيين والغزنويين أراضيها سنة ٣٨٩هـ/٩٩٩م[١٥] ، وقاموا بمحاربة القراخانيين وانتصروا عليهم[١٦] .

لما علم السلطان محمود الغزنوى بأمر السلاجقة وانتشار نفوذهم ، عول على محاربتهم للقضاء على قوتهم ، خاصة بعد تحالفهم مع ألد أعدائه الأمير على تكين ، فكتب إلى أبناء سلجوق يستميلهم إلى مصادقته ويرغبهم فى لقائه قائلاً [١٧] : « إننى لفى عجب من تدبيركم وعقلكم ، ولكنكم حتى الآن وبحكم الجوار لم تطلبوا منا طلبا أو تلتمسوا ملتمسا ، وإنى لشديد الرغبة فى مصادقتكم واستمداد المعونة منكم ، ولست فى غنى على الإطلاق عن معاونتكم ... فإذا لم يستطع جميع الأخوة الحضور إلى فليختاروا واحدا منهم يفد إلى مقرى ، ولقد اتخذت مقامى على شاطئ النهر حتى تقصر المسافة بينى وبينكم ، فإذا جاءنى واحد منكم عقدت معه العهد ووثقت معه المواثيق »[١٨] . فلما تلقى السلاجقة رسالة السلطان الغزنوى أجمعوا على اختيار أخيهم الأكبر « إسرائيل » ليمثلهم فى عقد المواثيق مع السلطان محمود ، فسار إسرائيل على رأس جيش كبير للقاء السلطان محمود ، فلما علم السلطان الغزنوى بقدوم إسرائيل على رأس هذا

---

(١٤) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، ص١٥٤ .
براون : تاريخ الأدب فى إيران ، ص٢١٠ .
(١٥) حمد الله مستوفى القزوينى : تاريخ كزيدة ، ملحق مترجم بكتاب (تاريخ بخارى) للنرشخى ، دار المعارف ١٩٦٥ ، ص١٤٨ .
(١٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٢٢ ـ ٢٣ .
(١٧) Osborn : Islam under the khalifs of Baghdad, P. 316 .
(١٨) الراوندى : المصدر نفسه ، ص١٤٧ ـ ١٤٨ .

الجيش الكبير أنفذ إليه رسولا من قبله يقول له : « لسنا الآن فى حاجة إلى الاستمداد بجيشك ، وإنما جملة مقصدنا أن ننعم برؤيتك والاستظهار بك ، فأترك الجيش فى مكانه وتعال أنت مع خواصك وأعيان رجالك »[١٩] . فلما وصل إسرائيل إلى حضرة السلطان ومعه ابنه « قتلمش » وجماعة من خيرة فرسان السلاجقة أكرمه السلطان محمود وأجلسه على طرف سريره .

ولما أيقن السلطان محمود الغزنوى من قوة السلاجقة وكثرة جيوشهم، أمر بالقبض على إسرائيل بن سلجوق وولده قتلمش وفرسانه ، ثم ما لبث أن أرسل زعيم السلاجقة إلى قلعة كالنجر ببلاد الهند ، حيث اعتقل فيها حتى وفاته[٢٠] .

عزم السلاجقة علي الثأر من الغزنويين الذين غدروا بهم ، لكنهم آثروا استخدام الحيلة والدهاء ، فكتب ميكائيل بن سلجوق الذى خلف أخاه إسرائيل فى زعامة السلاجقة[٢١] ، إلى السلطان محمود الغزنوى يلتمس منه الإذن للسلاجقة بالرحيل إلى إقليم خراسان ، فسمح السلطان محمود للسلاجقة بعبور نهر جيحون والاستقرار فى هذا الإقليم[٢٢] ، بعد أن رفض تحذير أرسلان الجاذب حاكم مدينة طوس من عاقبة وصول السلاجقة إلى خراسان[٢٣] ، معتقدا أن قوة السلاجقة قد وهنت بعد القبض على إسرائيل وكبار قواده .

---

(١٩) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، ص١٤٨ .

(٢٠) الراوندى : المصدر نفسه ، ص١٥٠ – ١٥١ .

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٢٢ .

(٢١) تامارا رايس : السلاجقة (مترجم) ص٢٥ .

(٢٢) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٢٢ .

(٢٣) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٥ .

عمد السلاجقة منذ استقروا فى إقليم خراسان سنة ٤١٦هـ/١٠٢٦م[٢٤]، إلى شن غاراتهم على البلاد المجاورة لهم ، فلما خشى أهل نسا[٢٥]، وباورد[٢٦]، وفراوة [٢٧] من استيلاء السلاجقة على أراضيهم ، بعثوا بشكواهم إلى السلطان محمود الغزنوى يطلبون إليه التدخل لحمايتهم ، فعهد إلى حاكم مدينة طوس بمحاربة السلاجقة فدارت بين الطرفين عدة معارك، انتهى الأمر فيها بانتصار السلاجقة وهزيمة الجيش الغزنوى [٢٨] ، مما حمل السلطان على السير إليهم بنفسه بعد أن أيقن من عدم استطاعة حاكم طوس التغلب عليهم، واشتبك الفريقان فى معركة هزم فيها السلاجقة وأحرز الجيش الغزنوى انتصارا كبيرا سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م[٢٩].

على أن هذه الهزيمة التى لحقت بالسلاجقة لم تفت فى عضد زعمائهم ، فظلوا يتحينون الفرصة للانتقام من الغزنويين ، فلما توفى السلطان محمود الغزنوى سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م[٣٠]، عملوا على مد نفوذهم إلى المناطق المجاورة لهم .

---

(٢٤) حسين أمين : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، بغداد ١٩٦٥ ، ص٤٩ .

(٢٥) نسا : مدينة بخراسان بينها وبين سرخس يومان .
ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٢٨٢ .

(٢٦) باورد : وهى أبيورد ، بلد بخراسان بين سرخس ونسا .
ياقوت : المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٨٦ .

(٢٧) فراوة : بليدة من أعمال نسا ، يقال لها رباط فراوة .
ياقوت : المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص٢٤٥ .

(٢٨) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، ص١٥٤ .

(٢٩) الراوندى : المصدر نفسه ، ص١٥٤ .
عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ص٢٦ .

(٣٠) البيهقى : تاريخ البيهقى ، ترجمة يحيى الخشاب ، مكتبة الأنجلو ١٩٥٦ ، ص٨ .
اليافعى : مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدر أباد الدكن ، سنة ١٣٣٨ ، جـ٣ ، ص٣٧ .

واصل السلطان مسعود سياسة أبيه محمود الغزنوى فى الحد من توسع السلاجقة ، فأعد جيشا كبيرا سيره نحو نيسابور لمحاربتهم سنة ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م(٣١) ، فدارت بين الفريقين عدة معارك انتهت بانتصار السلاجقة واستيلائهم على كثير من الغنائم . وعلى الرغم من انتصار السلاجقة على الجيش الغزنوى فإنهم آثروا جانب التريث ومهادنة السلطان مسعود حتى يتمكنوا من استكمال إعداد جيوشهم ، فأرسلوا كتبا إلى السلطان الغزنوى يلتمسون منه العفو وعقد الصلح(٣٢) ، على أن يقرهم على ما بيدهم من البلاد فأجاب السلطان مسعود طلبهم واعترف بسيادتهم على نسا وفراوة ودهستان(٣٣) ، ومنح كلا من بيغو ، وداود ، وطغرل خلعة ومنشورا ولواء ، ولقب كلا منهم بلقب الدهقانى ( رئيس قبيلة )(٣٤) ، ثم عاد إلى الهند .

كان لاعتراف السلطان مسعود بسيادة السلاجقة على هذه البلاد أثر كبير فى توطيد نفوذهم بخراسان ، فذكر الراوندى أن السلاجقة بعد عقد الصلح مع السلطان مسعود : « اشتد بأسهم وازدادت قوتهم ولاحت عليهم أمارات الملك وعلامات الحكم ومخايل السلطان »(٣٥) .

لما عاد السلطان مسعود من بلاد الهند سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٨ ، وبلغه علو شأن السلاجقة وازدياد قوتهم ، خشى من خطرهم على دولته ، فكتب إلى

---

(٣١) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، ص١٥٦ .

Osborn : Islam under the khalifs of Baghdad, P. 320 .

(٣٢) البيهقى : تاريخ البيهقى ، ص٥٢٨ .

(٣٣) دهستان : بلد مشهور فى مازندران قرب خوارزم وجرجان .

ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٤٩٢ .

(٣٤) البيهقى : المصدر نفسه ، ص٥٢٦ .

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٢٤ .

(٣٥) انظر : راحة الصدور وآية السرور ، ص١٥٦ ـ ١٥٧ .

أمير خراسان يأمره بمحاربتهم وإخراجهم من بلاده ، غير أن أمير خراسان لم يكن ليستطيع مجابهة السلاجقة الذين ازدادت قوتهم وقويت شوكتهم ، فأجاب على السلطان مسعود بقوله : « إن أمر السلاجقة قد علا بحيث لا أستطيع أنا ولا غيرى أن نقاومهم »[٣٦] ، لكن أمير خراسان ما لبث أن اضطر إلى الخروج لمحاربة السلاجقة والتقى بهم عند باب سرخس ، ودارت بينهم عدة معارك تبادلوا فيها النصر والهزيمة ، إلا أنها انتهت بانتصار السلاجقة وهزيمة الجيش الغزنوى هزيمة نكراء فى آخر شعبان سنة٤٢٩هـ/١٠٣٨م[٣٧] ،

كان لانتصار السلاجقة على الجيش الغزنوى أثر كبير فى قيام دولتهم، فسار طغرلبك إلى نيسابور ودخلها بعد أن منح أهلها الأمان وجلس على عرش السلطان مسعود فى ذى القعدة من نفس العام ، وأمر أن يخطب له على المنابر باسم السلطان الأعظم[٣٨] ، كما أمر أن تضرب النقود باسمه فى البلاد التابعة للسلاجقة[٣٩] .

عول السلطان مسعود بعد أن بلغه دخول طغرلبك مدينة نيسابور وإعلان نفسه سلطانا ، على إعداد جيش كبير لمحاربته ، سار على رأسه نحو خراسان[٤٠] وأخذ ينتقل بين مدنها ، حتى إذا ما وصل إلى ناحية داندانقان أقبل السلاجقة نحوه واحتلوا المنطقة المحيطة بالجيش الغزنوى، وقطعوا الطريق عليه إلى غزنة ، ثم ما لبث أن اشتبك الفريقان فى معركة

---

(٣٦) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، ص١٥٧ .
(٣٧) البيهقى : تاريخ البيهقى ، ص٥٧٩ .
الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص٩ .
(٣٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٢٥ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد ٣ ، ص٤٥٢ .
(٣٩) بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، ص١٠٤ ـ ١٠٥ .
(٤٠) البيهقى : المصدر نفسه ، ص٦٠٥ ـ ٦٠٧ .

كبيرة إنتهت بانتصار السلاجقة وهزيمة الجيش الغزنوى ، وذلك فى يوم الجمعة الثامن من رمضان سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م(٤١).

كانت معركة داندانقان نقطة تحول فى تاريخ السلاجقة وقيام دولتهم بعد أن قاموا بتوحيد صفوفهم تحت زعامة طغرلبك(٤٢) ، وأجمعوا على اختياره قائدا أعلى لجيوشهم وسلطانا على دولتهم ، لما اشتهر به من الشجاعة والفروسية وشدة البأس(٤٣).

واحتفالاً بانتصار السلاجقة على الغزنويين فى داندانقان ، وقيام دولتهم ، قام طغرلبك بضرب النقود التذكارية بلقبه واسمه ولقب الخليفة العباسى ، وتصدرت كلمة (نصر) كتابات مركز الوجه على النحو التالى :

**دينار سلجوقى نادر ضرب نيسابور سنة ٤٣١هـ(*).**

| الوجه | الظهر |
|---|---|
| المركز | المركز |
| **نصر** | لله |
| لا إله إلا | محمد رسول الله |
| الله وحده | القائم بأمر الله |
| لا شريك له | الأمير الأجل |
| الهامش الداخلى : بسم الله | طغرلبك |

---

(٤١) البيهقى : تاريخ البيهقى ، ص٦٣٣ .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٢٦ .
(٤٢) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، ص١٦٥ .
(٤٣) Osborn : Islam under the khalifs of Baghdad, P. 320 .
(*) متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، رقم السجل ١٨٤٨ .
Mahmoud Arafa : A Rare Saljuki Dinar Struck in Nisabur in 431 A. H. in Name of Tugril Beg, Annales ISLAMOLOGIQUES, (Anlsl 38), Le Caire - 2004, (in Enghish), P. 307 .

ضرب هذا الدينار بنيسابور
سنة احد وثلثين واربعمائة



الهامش : محمد رسول الله أرسله
بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله ولو كره المشركون



لما استتب الأمر لطغرلبك سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م، بعد أن قام بتعيين زعماء البيت السلجوقى على الولايات التى استولوا عليها(٤٤)، عمد إلى تدعيم سلطته بإظهار ولائه للخليفة العباسى القائم بأمر الله والحصول على تفويض منه ، فأنفذ رسالة مع أبى إسحق الفقاعى سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م(٤٥) إلى هذا الخليفة ، يعرب فيها عن ولاء السلاجقة له ، ويلتمس اعترافه بدولتهم ، فلما تلقى الخليفة رسالة السلاجقة ، أرسل إليهم هبة الله بن محمد المأمون يبلغهم اعترافه بسلطتهم(٤٦).

---

(٤٤) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٨ ، ص٩٩ .
الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، ص١٦٧ .
(٤٥) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٨ .
(٤٦) الراوندى : المصدر نفسه ، ص١٦٨ .

عمد طغرلبك بعد أن وصله تفويض الخليفة العباسى إلى مواصلة التوسع ، فسار فى سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م على رأس جيش كبير نحو بلاد جرجان وطبرستان[٤٧] واستولى عليها ، وقضى على الدولة الزيارية[٤٨]، كما توجه إلى بلاد خوارزم وأخضعها لسلطانه سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م[٤٩]. ثم ما لبث أن سار إلى بلاد الجبل واستولى على مدينة الرى[٥٠] فى نفس العام واتخذها مقرا له بدلاً من نيسابور[٥١]. واستولى أخوه إبراهيم ينال على همذان وما جاورها سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م[٥٢].

كذلك قام السلاجقة بإخضاع حكام الأقاليم الذين خرجوا على طاعتهم، فسار إبراهيم ينال إلى بلاد الجبل وهمذان سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م، وتمكن من دخولها وتوطيد سلطان السلاجقة فيها[٥٣]، فعينه طغرلبك حاكما عليها.

---

(٤٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٣٠ .

(٤٨) الدولة الزيارية : تنسب هذه الدولة إلى مرداويج بن زيار الذى أقام دولته فى جرجان وطبرستان سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م، وذلك بعد أن أخضع رؤساء الديلم لسلطانه ، وسرعان ما أمتد سلطانه جنوباً ليشمل أصفهان والرى ونهاوند وهمذان ، وهو الإقليم الذى عرف بإقليم الجبل أو الجبال . مما تجدر الإشارة إليه أن الدولة الزيارية هى التى مهدت لإمتداد الهجرات الديلمية إلى مركز العالم الإسلامى بقيادة البويهيين .
حسن أحمد محمود : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٣م، ص٤٨٥ ـ ٤٨٦ .

(٤٩) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٣٣ ـ ٣٤ .

(٥٠) الذهبى : دول الإسلام ، جـ١ ، ص٢٥٧ .

(٥١) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٨ ، ص١١٤ .

(٥٢) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٣٤ .

(٥٣) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٤١ ـ ٤٢ .

لم يمض غير قليل حتى خرج إبراهيم ينال على طاعة أخيه طغرلبك مما إضطره إلى محاربته بعد امتناعه عن تسليم القلاع التى كانت بيده، وإنتهى القتال بينهما باستسلام إبراهيم ينال لأخيه طغرلبك الذى عفا عنه سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م(٥٤).

وفى العام التالى سار طغرلبك إلى أصبهان وتمكن من الاستيلاء عليها(٥٥). ثم أنفذ سنة ٤٤٣هـ /١٠٥١م جيشا كبيراً إلى إقليم فارس، فدخل مدينة شيراز وضم هذا الإقليم إلى حوزته(٥٦).

## ٢ ـ علاقة السلاجقة بالخلافة العباسية :

لما فرغ السلاجقة من بسط سلطانهم على إيران وبعض البلاد المجاورة لها اتجهت أنظارهم نحو العراق، فبدأ طغرلبك يستعد للسير إلى بغداد بعد أن أقام علاقات وطيدة مع الخليفة العباسى القائم بأمر الله على اعتبار أنه الرئيس الأعلى للمسلمين(٥٧).

كانت الخلافة العباسية تعانى وقتذاك من الاضطراب وسوء الأحوال بسبب النزاع والتنافس بين أمراء بنى بويه على السلطة، فضلا عن ازدياد نفوذ الجند وانتشار ثوراتهم، وقد تطور الصراع بين البويهيين إلى استعانة

---

(٥٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، جـ٨، ص٥١ ـ ٥٢.

(٥٥) ناصر خسرو : سفر نامة : نقله إلى العربية د. يحيى الخشاب، القاهرة ١٩٤٥، ص١٠٢.

ابن كثير : البداية والنهاية، جـ١٢، ص٢٦١.

(٥٦) ابن الأثير : المصدر نفسه، جـ٨، ص٦٢.

(٥٧) بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، ص١٠٨ ـ ١٠٩.

بعض أمرائهم بالسلاجقة مما ترتب عليه توجيه أنظار السلاجقة نحو العراق ، فلما توفى جلال الدولة بن بويه سنة٤٣٥هـ/١٠٤٣م[٥٨]، قام النزاع بين الملك العزيز ، والملك أبى كاليجار على تولى السلطة فى بغداد ، ولجأ الملك العزيز فى تحقيق غرضه إلى أمراء الأطراف طالبا إمداده بالمعونة لمحاربة أبى كاليجار ، وكان إبراهيم ينال أخو السلطان طغرلبك السلجوقى أحد الأمراء ، فأقام عنده مرة ثم فارقه إلى دولة بنى مروان[٥٩] .

ولما توفى الملك البويهى أبو كاليجار سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م[٦٠]، خلفه فى بلاد العراق وفارس ثلاثة من أبنائه ، فتولى أبو نصر خسرو فيروز الملقب بالملك الرحيم العراق ، وأبو منصور فلادستون بلاد فارس[٦١]، بينما تولى أبو على بن أبى كاليجار إمارة البصرة[٦٢]. ولما كان الملك الرحيم يطمع فى الاستيلاء على كافة الأقاليم الخاضعة للنفوذ البويهى ، سيّر أخاه أبا سعد بن أبى كاليجار إلى فارس لانتزاعها من أخيهما أبى منصور[٦٣]، وبعد عدة معارك دارت بين الأخوين تمكن أبو سعد من دخول شيراز، وانتزاع فارس من أخيه أبى منصور الذى رحل إلى إصطخر ، مستنجداً بالسلطان السلجوقى طغرلبك ليمده بجيش يحارب به أخوته[٦٤]، فاستجاب

---

(٥٨) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٨ ، ص١١٨ .

(٥٩) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ٢ ، ص١٧٦ .

(٦٠) ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص١٣٥ .

(٦١) أبو الفدا : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص١٧٧ .

(٦٢) ناصر خسرو : سفرنامة ، ص٩٥ .

(٦٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٤٨ .

(٦٤) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٥٨ .

طغرلبك لطلبه واستطاع أبو منصور بمعاونة الجيش السلجوقى الانتصار على الملك الرحيم الذى كان ينزل وقتذاك بالأهواز . غير أن الملك الرحيم استعاد نفوذه على هذه المدينة بعد وفاة نائب أبى منصور سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م(٦٥) . ولما سار الملك الرحيم إلى البصرة لمحاربة أخيه أبى على بن أبى كاليجار وانتزاعها منه سنة٤٤٤هـ/١٠٥٢م، لجأ أخوه أبو على إلى السلطان طغرلبك فى أصبهان(٦٦) .

كان الخليفة العباسى القائم بأمر الله وقتذاك يواجه كثيرا من الصعاب بسبب إستئثار بنى بويه بالسلطة ، فضلا عن انتشار الدعوة الفاطمية على يد الداعى المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى فى بلاد الفرس والعراق . ولما بلغه أن عددا كبيرا من جند البويهيين فى بغداد من الأتراك والديلم يميلون إلى الدعوة الفاطمية ، بعث رسولا من قبله إلى الملك أبى كاليجار البويهى يطلب منه تسليم داعى الفاطميين، ويهدد بالاستعانة بالسلاجقة وإغرائهم بالاستيلاء على ما يمتلكه من البلاد، فلم يجب الخليفة إلى طلبه(٦٧) .

اضطر الخليفة القائم بأمر الله إزاء الصعاب والأخطار التى تعرض لها وهددت كيان دولته ، إلى الاستعانة بالسلاجقة(٦٨)، فأنفذ هبة الله بن محمد

---

(٦٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٦٠ .

(٦٦) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٦٣ .

ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد ٣ ، ص٤٥٦ .

(٦٧) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص١٨١ .

(٦٨) الذهبى : دول الإسلام ، جـ١ ، ص٢٦٣ .

Osbon : Islam under the Khalifs of Baghdad, P. 321 .

المأمون مبعوثا من قبله إلى السلطان طغرلبك السلجوقى فى مدينة الرى ، وأمره أن يتودد إليه ويستميله للقدوم إلى حاضرة الخلافة(٦٩). غير أن طغرلبك لم يتمكن من تلبية دعوة الخليفة العباسى ، بسبب انشغاله وقتذاك بتوطيد أركان دولته فى شرق الدولة الإسلامية . فلما تم له ذلك أظهر طغرلبك أنه يريد الحج وإصلاح طريق مكة والسير إلى مصر والشام وإزالة المستنصر بالله الخليفة الفاطمى(٧٠)، ثم أرسل إلى الخليفة القائم بأمر الله أنه يدين له بالطاعة ويستأذنه فى دخول بغداد وهو فى طريقه إلى مكة، فأذن له وأمر الخطباء بإقامة الخطبة له على منابر بغداد ، ولما وصل طغرلبك إلى النهروان(٧١) خرج الوزير رئيس الرؤساء أبو القاسم بن مسلمة لاستقباله فى موكب عظيم من القضاة والنقباء والأشراف والشهود وأعيان الدولة ، وصحبه الأمراء من عسكر الملك الرحيم إلى أن دخل بغداد يوم الاثنين ٢٥ رمضان سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م(٧٢).

على الرغم من قيام الوزير رئيس الرؤساء بأخذ العهود والمواثيق على السلطان السلجوقى قبل دخوله بغداد سنة٤٤٧هـ/١٠٥٥م للخليفة وللملك

---

(٦٩) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، ص١٦٨ .

(٧٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٧١ .

سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٩ ، ص ٢٦ .

(٧١) النهروان : كورة واسعة بين بغداد وواسط .

ياقوت : معجم البلدان ، مجلد ٥ ، ص٣٢٥ .

(٧٢) ابن العمرانى : الأنباء فى تاريخ الخلفاء ، ص١٨٩ .

ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٨ ، ص١٦٤ .

Osborn : Islam under the Khalifs of Baghdad, P. 323 .

الرحيم آخر أمراء بنى بويه ، ولأمراء الأجناد[٧٣] ، فإن طغرلبك لم يشأ أن يبقى على أية قوة فى بغداد تعرقل بسط سلطان السلاجقة . فلما أظهر العامة فى حاضرة الخلافة تذمرهم من السلاجقة وتمكنوا بفضل مساعدة بعض الأتراك من قتل فريق من جندهم استاء طغرلبك من ذلك ، واستدعى الملك الرحيم وأتباعه واتهمهم بتدبير ما حدث[٧٤]، ثم قبض عليهم وأرسل الملك الرحيم إلى قلعة على مقربة من الرى ، فظل معتقلا بها ثلاث سنوات ثم توفى[٧٥] .

أدى هذا الإجراء الذى قام به طغرلبك إلى غضب الخليفة القائم بأمر الله ، فبعث إلى السلطان السلجوقى برسالة ، عبر له فيها عن استيائه ، وتهديده بمفارقة بغداد قائلاً : « إنهم إنما خرجوا إليك بأمرى وأمانى فإن أطلقتهم وإلا فأنا مفارق البلد ، فإنى إنما اخترتك واستدعيتك اعتقادا منى أن تعظيم الأوامر الشريفة تزداد ، وحرمة الحريم تعظم وأرى الأمر بالضد»[٧٦] . فأطلق طغرلبك سراح بعضهم ، بينما استولى على جميع إقطاعات عسكر الملك الرحيم للقضاء على الجيش البويهى وتشتيت شمله ، فتفرق الجند وانضم القسم الأكبر منهم إلى الجيش السلجوقى .

كذلك صادر طغرلبك أموال الأتراك البغداديين[٧٧] لإضعاف شأنهم،

---

(٧٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٧١ ـ ٧٢ .

(٧٤) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ٢ ، ص١٧٣ .

(٧٥) الذهبى : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، جـ٣ ، ص ٣٦٢ .
جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص١٨٨ .

(٧٦) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٧٢ .

(٧٧) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٤٥٩ ـ ٤٦٠ .

كما حاول التضييق على الخليفة العباسى بتجريده من الأموال ، فأرسل وزيره عبد الملك الكندرى إلى الخليفة القائم بأمر الله يطلب منه مبلغا كبيرا من المال ، فلما استكثر الخليفة المبلغ طلب رسل السلطان السلجوقى منه أن يطلق أيديهم فى مال الحريم ، فرفض الخليفة القائم بأمر الله إجابة طلبهم قائلا : « مال الحريم مازال مصونا ، وقد جرى فيه ما رأينا فى ولدنا»(٧٨) . ثم ما لبث الخليفة العباسى أن أبلغ الوزير عميد الملك بما يعانيه أهل بغداد من إقامة جند السلاجقة بينهم(٧٩) ، فلما علم السلطان طغرلبك بذلك أمر بإخراجهم من دور العامة ، ثم ما لبث أن غادر بغداد فى أواخر سنة ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م ، بعد أن ظل بها ثلاثة عشر شهرا دون أن يلقى الخليفة العباسى القائم بأمر الله(٨٠) .

اضطر القائم بأمر الله إلى الاستعانة بالسلاجقة لإعادة سلطان الخلافة على الموصل بعد أن خرجت عن نفوذه ، فلما أعاد طغرلبك الخطبة فيها للخليفة العباسى أوائل سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م(٨١) اتجه إلى بغداد ، وخرج الوزير رئيس الرؤساء لاستقباله نائبا عن الخليفة عندما اقترب منها ، فقبل طغرلبك الأرض ، ثم قدم رئيس الرؤساء إليه الهدايا والخلع التى أرسلها له الخليفة ، ثم ما لبث أن أذن الخليفة القائم بأمر الله للسلطان السلجوقى بمقابلته وجلس له جلوسا عاما(٨٢) ، حضره وجوه عسكر السلطان وأعيان

---

(٧٨) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، مجلد ٨ ، ص١٦٥ .

(٧٩) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص١٨٩ .

(٨٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٧٧ .

(٨١) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٧٧ ـ ٧٨ .

(٨٢) الذهبى : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، جـ٣ ، ص ٣٦٤ .
سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٩ ، ص ٨٣ ـ ٨٤ .

بغداد فى ذى القعدة سنة٤٤٩هـ/١٠٥٧م، فلما قدم طغرلبك على الخليفة قبل الأرض وقبل يده ، وأجلس على كرسى ، فقال الخليفة لرئيس الرؤساء : « قل له إن أمير المؤمنين شاكرا لسعيك حامدا لفعلك مستأنسا بقربك ، وقد ولاك جميع ما ولاه الله من بلاده ، ورد عليك مراعاة عباده ، فاتق الله واعرف نعمته عليك فى ذلك واجتهد فى نشر العدل ، وكف الظلم ، وإصلاح الرعية»(٨٣)، فلما نقل عميد الملك كلام الخليفة إلى السلطان السلجوقى قام وقبل الأرض دفعات وقال : « أنا خادم أمير المؤمنين وعبده ومتصرف على أمره ونهيه ومتشرف بما أهلنىَ له واستخدمنى فيه، ومن الله تعالى أستمد العون والتوفيق »(٨٤)، عندئذ أمر الخليفة بمنحه الخلع وأعطاه سيفا ، وخاطبه بملك المشرق والمغرب(٨٥)، وأعطاه ثلاثة ألوية وأمر أن يسلم إليه العهد ، فرد السلطان السلجوقى على هذا التكريم بإرسال خمسين غلاما من الأتراك ، وعشرين رأسا من الخيل ، وخمسين ألف دينار وخمسين قطعة ثياب(٨٦).

لم يطل بقاء السلطان طغرلبك فى بغداد بعد أن حظى بمقابلة الخليفة العباسى ، واضطر إلى الخروج منها مرة أخرى لمحاربة أخيه إبراهيم ينال

---

(٨٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٨٠ .

(٨٤) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٨ ، ص١٨١ ـ ١٨٣ .

(٨٥) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ٢ ، ص١٨٤ .

Osborn : Islam under the Khalifs of Baghdad, P. 325 .

حسن الباشا : الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧ ، ص٦٤ .

(٨٦) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٨٠ .

الذى شق عصا الطاعة وجاهر بالعصيان ، فلما تم لطغرلبك القضاء على ثورة أخيه عاد إلى العراق استجابة لاستغاثات الخليفة القائم بأمر الله من منفاه فى « حديثة عانة »[٨٧] . فقد أرسل إليه بعد دخول البساسيرى[٨٨] وسار قاصدا الكوفة بينما عزم الأمير محيى الدين مهارش صاحب الحديثة على السير إلى بغداد بصحبة الخليفة العباسى[٨٩] .

رأى السلطان طغرلبك السلجوقى أن يبالغ فى الاحتفال بعودة الخليفة القائم بأمر الله إلى بغداد ، ليظهر له مدى إخلاصه له[٩٠]، فأنفذ إليه وزيره عميد الملك الكندرى والأمراء والحجاب لاستقباله ، ثم ما لبث أن خرج بنفسه لاستقبال الخليفة ، فلقيه عند وصوله إلى النهروان وقبل الأرض بين يديه ، وأبدى له اغتباطه بعودته ، واعتذر له عن تأخره فى نجدته لانشغاله بإخماد فتنة أخيه إبراهيم ينال ، وأعلم الخليفة أنه عزم على المضى خلف البساسيرى ، والسير إلى الشام والوقوف من الخليفة الفاطمى بمصر موقفا حازما يتلاءم مع أفعاله[٩١] . كما حرص طغرلبك على الاحتفاء بوصول الخليفة إلى بغداد ، فسبقه إليها ، وكان على رأس مستقبليه

---

(٨٧) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص١٤ ـ ١٦ .
وتقع حديثة عانة على الفرات بالقرب من الأنبار .
انظر ، ياقوت : معجم البلدان ، مجلد٢ ، ص٢٣٠ .

(٨٨) هو أبو الحارب أرسلان البساسيرى ، أحد قواد بنى بويه الأتراك .

(٨٩) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٨٥ ـ ٨٦ .
ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص٨٢ ـ ٨٣ .

(٩٠) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص٢٠٥ .

(٩١) ابن كثير : المصدر نفسه ، جـ١٢ ، ص٨٣ .

فى ذى الحجة سنة ٤٥١هـ/ ١٠٦٠م[٩٢].

ازداد نفوذ السلاجقة فى العراق منذ منتصف القرن الخامس الهجرى ، فاستأثر طغرلبك بالسلطة دون الخليفة القائم بأمر الله بعد أن أنقذه من تحكم البساسيرى وأعاده إلى مقر خلافته ، وسار على هذه السياسة من جاء بعده من سلاطين السلاجقة[٩٣]، فصار الخلفاء فى العهد السلجوقى يعيشون من إقطاعات مقرره يستولون على دخلها[٩٤]، كما ضعف شأنهم بعد أن عمل السلاجقة على الحد من نفوذهم ، مما ترتب عليه عدم استطاعتهم إعداد جيش لدرء الأخطار التى تتعرض لها الخلافة .

وكان البويهيون بعد دخولهم بغداد سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م، قد أحلوا جيشهم محل الجيش العباسى الذى انضم معظم أفراده إلى الجيش البويهى ، وظل الحال على ذلك حتى قضى السلاجقة على الحكم البويهى فى العراق سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، مما ترتب عليه انحلال الجيش البويهى وتفرق جنده ، فانضم القسم الأكبر منهم إلى جيش السلاجقة بينما رحل معظم جند الأتراك إلى الرحبة حيث التفوا حول زعيمهم أبى الحارث البساسيرى[٩٥] الذى سار إليها إثر دخول السلاجقة بغداد[٩٦].

---

(٩٢) الذهبى : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، جـ٣ ، ص ٣٧٣ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد ٣ ، ص٤٦٥ .
(٩٣) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص٢٠٧ .
(٩٤) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، ص١٧٦ .
ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ، ص٩١ – ٩٢ .
(٩٥) الذهبى : المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص ٣٦٠ .
سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٩ ، ص ٢٦ .
(٩٦) الذهبى : دول الإسلام ، جـ١ ، ص٢٦٣ .
السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٤١٨ .

سار السلاجقة فى تحقيق سياستهم التى تهدف إلى الاستئثار بالسلطة فى حاضرة الخلافة العباسية وولاياتها ، على سياسة أسلافهم البويهيين فى التضييق على الخلفاء العباسيين ، وعدم السماح لهم بتكوين أى قوة يخشى بأسها على نفوذهم ، غير أنهم لم يتخذوا من بغداد مقرا لحكمهم(٩٧) ، بل جعلوا العراق أحد الأقاليم التابعة للنفوذ السلجوقى ، وعينوا فيه نوابا عسكريين من قبلهم يحكمون باسمهم ، ومنحوهم سلطات عسكرية وإدارية واسعة ، ووضعوا تحت إمرتهم حاميات عسكرية من الجند السلجوقى(٩٨) حتى تتحقق لهم السيطرة الكاملة على البلاد ، فمن ذلك تعيين عميد للعراق ، ينوب عن السلاجقة فى الإشراف على العراق ، ويكون مقره فى بغداد(٩٩) ، وتعيين موظفين عسكريين فى كل من بغداد والبصرة والكوفة وواسط وتكريت وحلوان(١٠٠) ، وغيرها من مدن العراق ، يطلق عليهم اسم « شحنة » ، وكانوا يكلفون بالقضاء على الفتن والحركات المناوئة للنفوذ السلجوقى(١٠١) . وبذلك أحكم السلاجقة قبضتهم على مدن العراق ، ولم تعد هناك قوة تتصدى للدفاع عن الخلافة العباسية سوى قوة الجيش السلجوقى وحامياته .

لم يكتف السلاجقة بفرض سيطرتهم العسكرية على بلدان الخلافة العباسية ، بل عمدوا إلى تجريد الخليفة العباسى من الأموال حتى لا يتيسر له

---

(٩٧) Le Strange : Baghdad during the Abbassid Caliphate , P. 320 .

(٩٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٨٩ .

(٩٩) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد٣ ، ص٤٨٣ .

(١٠٠) ابن الجــوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٨ ، ص ص ١٧١ ، ٢١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٩ .

(١٠١) ابن خلدون : المصدر نفسه ، مجلد ٣ ، ص٤٧١ ـ ٤٧٣ .

إقامة جيش خاص بالخلافة ، فأرسل طغرلبك عدة رسائل إلى كبار موظفى السلاجقة الذين عينهم فى بلاد العراق ، أمرهم فيها بمصادرة أملاك الخليفة القائم بأمر الله وحاشيته ، على أن يترك للخليفة ما كان باسم القادر بالله من الأملاك[١٠٢]، فكتب الخليفة العباسى إلى طغرلبك كتابا عبر له فيه عن استيائه قائلاً : « ما رجونا من ركن الدين ما صنع وما توقعنا ما وقع وبين يديك الإقطاعات فاقطعها وقد ارتفعت الموانع فامنعها »[١٠٣].

كذلك أمر طغرلبك أن تحمل موارد العراق المالية إلى خزانته بدلاً من خزانة الخليفة ، فضمن مدينة واسط بمائتى ألف دينار[١٠٤]، وضمن البصرة والأهواز على مبلغ ثلاثمائة ألف وستين ألف دينار[١٠٥]، كما أعطى ضمان مدينة بغداد وأعمالها إلى أبى الفتح المظفر بن الحسين ، على أن يحمل إلى خزانة السلطان أربعمائة ألف دينار ، وهو مقدار ضمان بغداد لمدة ثلاث سنوات[١٠٦].

استطاع السلاجقة بما اتخذه طغرلبك من إجراءات قوامها الاستئثار بالنفوذ والسلطة فى العراق ، أن يضعفوا شأن الخليفة العباسى فلم يعد فى مقدوره إعادة تكوين جيش الخلافة ، بل أصبح لا يستطيع التصرف فى أملاكه الخاصة[١٠٧].

---

(١٠٢) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٨ ، ص٢٢٣ ـ ٢٢٤ .
ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص٧٨ .

(١٠٣) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٢٠ .

(١٠٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٨٩ .

(١٠٥) ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص١٧١ .

(١٠٦) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٨٩ .

(١٠٧) ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص١٨١ ـ ١٨٢ .

لما ولى ألب أرسلان سلطنة السلاجقة خلفا لعمه طغرلبك سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م[١٠٨]، ركز اهتمامه على توطيد سلطته والقضاء على الفتنة التى كادت تعصف بسلطنته ، ولم يكن هناك ما يكدر صفو العلاقات بين السلطان ألب أرسلان والخليفة القائم بأمر الله طوال فترة انشغاله بتوطيد سلطته ، بل إن الخليفة لقبه : « السلطان المعظم عضد الدولة ، وتاج الملة ، أبا شجاع ألب أرسلان محمد بن داود »[١٠٩]، وأمر بأن يخطب باسمه فى مساجد بغداد ، فرد السلطان على ذلك بإنفاذ المال والهدايا إلى الخليفة العباسى[١١٠].

حذا السلطان ألب أرسلان حذو سلفه طغرلبك فى تعيين حاكم عسكرى يعرف بالشحنة من قبله فى حاضرة الخلافة ، ولما طلب منه الخليفة القائم بأمر الله عزل أيتكين السلمانى شحنة بغداد سنة ٤٦٤هـ/١٠٧٢م، أجاب ألب أرسلان طلبه وعين بدلا منه سعد الدولة كوهرائين[١١١].

سادت العلاقات الودية بين الخليفة القائم بأمر الله والسلطان السلجوقى ألب أرسلان ، ولم يحاول الخليفة اتخاذ جند خاص به لحماية الخلافة ، لأن السلاجقة اعتبروا أنفسهم جند الخلافة وحماتها بعد أن تمكنوا من إحلال جيشهم محل جيش الخلافة فى الدفاع عنها ، وذلك من خلال

---

(١٠٨) اليافعى : مرآة الجنان ، جـ٣ ، ص٧٦ .
الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، مكتبة المقدسى ، بالقاهرة ١٣٥٠هـ ، جـ٣ ، ص٢٩٥ .

(١٠٩) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٨ ، ص٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(١١٠) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد ٣ ، ص٤٦٧ .

(١١١) ابن خلدون : المصدر نفسه ، مجلد ٣ ، ص٤٧١ .

موظفيهم العسكريين المعروفين بالعميد والشحنة والحاميات العسكرية السلجوقية التابعة لهم . لكن السلطان ألب أرسلان أراد رفع مستوى التمثيل السلجوقى فى حاضرة الخلافة لتشديد الرقابة السلجوقية فيها ، فاختار ألب أرسلان أحد أفراد حاشيته وهو أبو العلا محمد بن الحسين ، وخلع عليه ولقبه بوزير الوزراء ، وأقطعه النصف من إقطاع وزير الخليفة العباسى فخر الدولة بن جهير ، وأرسله إلى بغداد سنة ٤٦٤هـ/١٠٧٢م، مما أغضب الخليفة القائم بأمر الله ، فأمر بعدم الاحتفاء بهذا الوزير وامتنع عن مقابلته، مما اضطر وزير الوزراء للرحيل إلى حلة بنى مزيد ، ولم يكتف الخليفة بذلك ، بل أمر بطرد الحاجب أبى المعالى أخى وزير الوزراء من دار الخلافة[١١٢] .

حرص السلطان ملكشاه الذى خلف أباه ألب أرسلان فى سلطنة السلاجقة سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م[١١٣] على تأكيد سيادته على بلاد العراق ، فأرسل إلى الخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٤م، يطلب إليه تفويضا لحكم البلاد ، فجلس الخليفة جلوساً عاماً لهذه المناسبة[١١٤] وسلم سعد الدولة كوهرائين شحنة بغداد عهد السلطان، وأمر وزيره فخر الدولة بن جهير أن يقرأ أوله ، وسلم إليه اللواء بعد أن عقده الخليفة بيده[١١٥] . ولما توفى القائم

---

(١١٢) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٤٣ .

(١١٣) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، ص١٩١ .

(١١٤) العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، جـ٢٠ ، ص ٢٨٦ .

(١١٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص١٠٨ .

بأمر الله سنة٤٦٧هـ/١٠٧٥م[١١٦] وبويع لولى عهده أبى القاسم عبد الله ابن الذخيرة محمد بن القائم ولقب بالمقتدى بأمر الله[١١٧] ، أوفد الخليفة الجديد ، عميد الملك بن جهير إلى السلطان ملكشاه ومعه عهد الخليفة للسلطان ، ومبلغٌ من المال وبعض الهدايا لأخذ البيعة من السلطان السلجوقى للخليفة ، فعاد عميد الملك إلى بغداد ومعه البيعة للخليفة العباسى ، بعد أن أقام لدى السلطان السلجوقى نحوا من سنة[١١٨] .

لما استقرت الأمور للسلطان ملكشاه وضمن التفويض الشرعى لحكم البلاد ، سار على نهج أسلافه فى إضعاف سلطة الخليفة ، فأنفذ رسالة إلى الخليفة المقتدى بأمر الله سنة ٤٧١هـ /١٠٧٩م يطلب فيها عزل الوزير فخر الدولة بن جهير ، وعدم تعيين نائب من قبل الخليفة على خراسان[١١٩] ، ولما امتنع الخليفة عن إجابة طلبه أنفذ ملكشاه سعد الدولة كوهرائين ، شحنة بغداد ، وأمره بعزل الوزير فخر الدولة ، فتوجه كوهرائين إلى دار الخلافة على رأس فريق من الجند السلجوقى وطلب من الخليفة عزل وزيره ، فلم يستطع الخليفة ، الذى لم يكن لديه جند يحميه ، سوى إرسال شكواه إلى السلطان ملكشاه من تصرف الشحنة معه . غير أن كوهرائين وجنده لم يلبثوا أن اعتدوا على رسول الخليفة ونهبوا ما كان معه ،

---

(١١٦) اليافعى : مرآة الجنان ، جـ٣ ، ص٩٤ .

Muir : The Caliphate , P. 582 .

(١١٧) ابن دحية : النبراس فى تاريخ بنى العباس ، ص١٤٤ .

ابن الساعى : مختصر أخبار الخلفاء ، ص٩٢ .

(١١٨) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد ٣ ، ص٤٧٢ .

(١١٩) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٨ ، ٣١٧ .

وانتهى الأمر بعزل فخر الدولة بن جهير من الوزارة[١٢٠] .

حاول الخليفة المقتدى بأمر الله أن يظهر حرصه على الاحتفاظ بسلطته ، فرفض طلب السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك تعيين عميد الدولة وزيرا لديوان الخلافة ، وعين بدلا منه الوزير أبا شجاع محمد بن الحسين ، غير أن الخليفة اضطر إلى صرف أبى شجاع من الوزارة وتعيين الوزير عميد الدولة بن جهير سنة ٤٧٢هـ/ ١٠٨٠م[١٢١]، نزولا على رغبة السلاجقة الذين كانوا يحرصون على تعيين وزراء يدينون بالولاء لنفوذهم ، إلى جانب تعيين موظفين من قبلهم لمراقبة أعمال الخلفاء واختبار مدى إخلاصهم وولائهم للدولة السلجوقية[١٢٢] .

استقر رأى الخليفة المقتدى بأمر الله ـ بعد أن زادت سلطة السلاجقة فى عهد ملكشاه ـ على العمل للتقرب من هذا السلطان ، فأوفد وزيره عميد الدولة بن جهير إليه ليخطب له ابنته سنة٤٧٤هـ/١٠٨٢م[١٢٣]، مما أدى إلى تحسين العلاقات بين الخليفة والسلطان السلجوقى ، فأرسل ملكشاه إلى الخليفة رسالة تتضمن : « الدعاء له للمواقف المقدسة ، والاعتذار عن تأخره ، وأنه بسعادة الخدمة فتح حلب وأنطاكية وقلعة جعبر وطرفا من بلاد الروم »[١٢٤]. ثم ما لبث أن قدم السلطان السلجوقى إلى العراق ، فلما

---

(١٢٠) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٥١ .

(١٢١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص١٢٦ .

(١٢٢) ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٢١٦ ، ٢٨٤ .

(١٢٣) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٦٧ .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص١٢٩ ـ ١٣٠ .

(١٢٤) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٩ ، ص٢٩ .
سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ١٠ ، ص ١٢٨ .

وصل إلى بغداد ، خرج الخليفة المقتدى لاستقباله فى موكب عظيم من القضاة والشهود والأشراف وأعيان الدولة ، وكان على رأس الموكب الوزير أبو شجاع الهمذانى والنقيبان العلوى والعباسى(١٢٥) .

ثم جلس الخليفة جلوسا عاما احتفاءً بقدوم السلطان ، فلما دخل ملكشاه دار الخلافة ، أمره الخليفة بالجلوس ، فامتنع وتواضع حتى ارتفع ، ثم أقسم عليه حتى جلس(١٢٦) . ومن ناحية أخرى قام الوزير السلجوقى نظام الملك باستعراض قوة الجيش السلجوقى أمام الحاضرين فصار يقدم الأمراء السلاجقة إلى الخليفة(١٢٧) ، ويقول للأمير : هذا أمير المؤمنين ، ويقول للخليفة : هذا فلان وعسكره كذا وولايته كذا ... وبعد أن فرغ الخليفة من استقبال كبار أعيان القوم ، خلع على ملكشاه الخلع السلطانية ، وفوضه أمر البلاد والعباد، وأمره بالعدل فيهم(١٢٨) ... وأمره الخليفة بالعودة إلى دياره ، كما خلع على الوزير السلجوقى نظام الملك(١٢٩) .

مما تجدر الإشارة إليه أن السلطان ملكشاه أمر وزيره نظام الملك بوضع تقويم جديد لتصحيح التقويم الفارسى الذى كان معمولاً به ، فوضع له « التقويم الجلالى » نسبة إلى أحد ألقاب ملكشاه وهو جلال الدولة ، وذلك تحت إشراف ومتابعة الشاعر عمر الخيام والفلكى أبى المظفر الاسفزارى ،

---

(١٢٥) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٩ ، ص٢٩ .
(١٢٦) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٧٣ ـ ٧٤ .
(١٢٧) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص١٣١ .
(١٢٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص١٤٣ ـ ١٤٤ .
الذهبى : دول الإسلام ، جـ٢ ، ص٩ .
(١٢٩) البندارى : المصدر نفسه ، ص٧٣ ـ ٧٤ .
ابن كثير : المصدر نفسه ، جـ١٢ ، ص١٣١ .

وميمون بن النجيب الواسطى بمدينة أصفهان سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م(١٣٠).

كما يرجع الفضل لملكشاه فى قيام نظام الملك بوضع كتابه القيم سياست نامه (سير الملوك أو كتاب السياسة) الذى يدل على أنه كان ذا خبرة واطلاع على أكثر العلوم ، ووضع فيه حصيلة تجاربه فى إدارة زمام الدولة، وعصارة أفكاره ، وضمنه أوضاع الحكم ، وأجهزة الإدارة والطبقات الاجتماعية ، ورسوم ذلك العصر وتقاليده وآدابه ، فالكتاب بلا شك غنيمة كبرى ، قال أمير الشعراء عبد الله محمد بن عبد الملك وهو من كبار شعراء العصر السلجوقى الذى عاش فى كنف ملكشاه عن نظام الملك : « أنت الوزير الميمون الذى رفعت بكفايتك دولة السلاجقة رأسها إلى عنان السماء»(١٣١).

ولذلك استحق نظام الملك تلك المكانة العليا فى الدولة السلجوقية ، فقد كان له باع طويل فى إنشاء المراكز الثقافية والعلمية المعروفة بالنظامية ، وتشجيع العلم والعلماء ، فأوقف الأوقاف للصرف على مرتبات الأساتذة وطلاب العلم وتخصيص مساكن لهم ، وتأمين نفقات المدارس النظامية التى كانت مجهزة للعمل ليلا ونهاراً ، وأمن للباحثين مكتبة ضخمة ، وقام بتعيين المعيدين والحراس والخدم ، وبلغ عدد الطلاب فى عهده ستة آلاف طالب يدرسون النحو واللغة والفنون الأدبية ، والفقه والتفسير والحديث وكافة العلوم الشرعية .

لا شك أن الوزير نظام المُلك كان حجر الزاوية فى النشاط العلمى

---

(١٣٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص١٢١ .
بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص٢٧٦ .
(١٣١) انظر مقدمة كتاب سياست نامه ، ص١٤ .

والثقافى الذى عمّ أرجاء الدولة السلجوقية، ذلك أنه كان محبًا للعلم والعلماء، وقد تفانى فى رعايتهم والإحسان إليهم ، فكان الفقهاء والعلماء والأدباء من أكثر رعايا الدولة المقربين إليه ، وفى سبيل رفعة أقدارهم ، خصص لهم رواتب شهرية وريع سنوية ، حتى يتفرغوا للإبداع والتأليف والنشر الثقافى(١٣٢) .

وليس أدل على مكانة العلماء لدى نظام المُلك ، أنه لمّا قيل له أنك تقضى أوقاتاً طويلة معهم حتى أنهم يشغلونك عن مصالح الدولة ، قال : «هؤلاء جمال الدنيا والآخرة ولو أجلستهم على رأسى لما استكثرت ذلك» . فضلاً عن ذلك كان نظام المُلك يجزع لفقر أى عالم من الكبار ، ويهرع إلى جنازته ليكون على رأس مشيعيه ، فلمّا تُوفِىَ الإمام أبو طاهر عبد الرحمن بن أحمد الشافعى سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م ـ وكان من أئمة علم الحديث وفقه الشافعية وقيل عنه أنه لم يُرَ له مثيل فى الفقه أئمة ـ سارع نظام المُلك إلى جنازته ليكون على رأسها(١٣٣) .

من ناحية أخرى كان نظام المُلك يأنس للمحاورات والمناظرات بين العلماء والأدباء ويقرب إليه الممتازين منهم ، فلمّا تفوق أبو القاسم على الدبوس على الإمام الجوينى فى إحدى المناظرات ، أمر نظام المُلك بتعيين الدبوس إماما على المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م(١٣٤)، فتزاحم العلماء وكبار رجال الدين على إختلاف مذاهبهم فى بلاط نظام الملك ، وكانت المساجلات والمحاورات لا تنقطع طوال جلساته العلمية .

(١٣٢) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٥٩ .
(١٣٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٩ ، ص٥٩ .
(١٣٤) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، ص٢٧٩ .

وكان لإهتمام السلاجقة عامة ونظام المُلك خاصة بالمحاورات والمناظرات أن تقدمت مجالس المناظرة وارتقت المناقشات وبلغت الحريات فى التعبير والإصغاء شأواً بعيداً من السمو والعلو ، الأمر الذى أدى إلى وضع ضوابط وقواعد للمساجلات والمناظرات العلمية ، وصار لها آداب مضبوطة محكمة ، تم تطبيقها فى كافة أرجاء الدولة ، مما كان له أبلغ الأثر فى تقدم وازدهار الحركة العلمية والثقافية .

من ناحية أخرى ، كان لإهتمام السلاجقة بتأمين الطرق وتحسينها وإنارتها أثره فى تنقل العلماء بين أرجاء العالم الإسلامى ، فبنى السلطان ملكشاه المنارات فى بلاد العراق وما وراء النهر ، فأصبحت السبل فى عهده آمنة ، كما زود المداخل بأحواض الماء وخاصة على طريق الحجاز(١٣٥)، مما شجع الرحلة فى طلب العلم ، حيث كان طلاب العلم يخرجون فى ركاب التجار للتنقل بين المدن والبلاد سعيًا وراء العلم والمعرفة ، وقد لعبت وحدة الدين واللغة فى مدن الإسلام دورها فى تسهيل حصول طالب العلم على مبتغاه ، هذا فضلاً عن الإنفتاح وعدم وجود حواجز تعيق التنقل بينها .

هكذا كان لظهور السلاجقة على مسرح الأحداث التاريخية أثره البالغ فى إلتفات العلماء والأدباء والشعراء حول سلاطينها ووزرائها ، حيث تمتعوا بالمكانة الرفيعة والاحترام والتبجيل ، فعاشوا فى كنف الدولة ورعاية الحكام، فأبدعوا للبشرية بالإنتاج الغزير ، وأثروا المكتبات الإسلامية بالغالى والنفيس من مؤلفاتهم العريقة .

---

(١٣٥) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والمشرق الإسلامى ، خلال العصر السلجوقى الأول ، المطبعة التجارية الحديثة ، ١٩٨٥م ، ص١٩٩ ـ ٢٠٠ .

وجملة القول أن نظام المُلك استحق لقب « تاج الحضرتين » لأنه وزر لسلطانين هما ألب أرسلان وملكشاه ، وقد كتب له التوفيق فى إدارة دفة الحكم والدولة بكفاءة منقطعة النظير ، وعديمه المثل . يقول نظام الملك عن سر نجاحه : « لم أخالف أولياء نعمتى ممن لهم علىّ حقها ، أو أخذلهم قط»(١٣٦) .

أما فيما يختص بالخليفة المقتدى بأمر الله فإنه لم يقدم على اتخاذ جيش خاص بالخلافة ، بعد تسلط السلاجقة واعتبارهم أنفسهم المدافعين عن بلاد العراق ، يقول ابن دحية : « وصار لا يتعدى حكمه (المقتدى بأمر الله) بابه ولا يتجاوز جنابه » . ففى سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م، أنفذ السلطان ملكشاه إلى الخليفة المقتدى بأمر الله رسالة يطلب منه عزل وزيره أبى شجاع الهمذانى ، فلم يجد الخليفة بدا من إجابة طلبه ، فعزل أبا شجاع وعين بدلا منه عميد الدولة بن جهير ، ولما تم عزل عميد الدولة بعد مدة وجيزة تدخل الوزير السلجوقى نظام الملك فى الأمر ، وكتب إلى الخليفة العباسى أن يعيده ، فأعاده الخليفة وفوض إليه أمور الدولة .

ضاعت هيبة الخلافة وضعف أمرها بعد أن أحكم السلاجقة قبضتهم على أمورها ، فتدخل السلطان السلجوقى ملكشاه بصورة مهينة فى اختيار ولى عهد الخليفة ، وطلب من الخليفة المقتدى جعل الأمير جعفر بن الخليفة من بنت السلطان ملكشاه ، وليا لعهده بدلا من أخيه الأكبر المستظهر بالله الذى بايعه والده من قبل ، ولما رفض الخليفة تنفيذ رغبة السلطان السلجوقى قدم ملكشاه إلى بغداد لخلع الخليفة المقتدى بأمر الله

---

(١٣٦) نظام الملك : سياست نامه ، ص٢٣ .

وتولية ابنه جعفر مقاليد الخلافة ، وأرسل إلى الخليفة يقول : « تخرج من بغداد وتسكن أى بلد شئت » ، فلما طلب من ملكشاه أن يمهله شهرا ، رد السلطان السلجوقى قائلا : ولا ساعة واحدة ، ثم ترددت الرسل بينهما حتى انتهى الأمر بمنح الخليفة العباسى مهلة مدتها عشرة أيام(١٣٧) . وكان ملكشاه قد عزم على بناء مقر للخليفة فى أصبهان لنقل الخلافة العباسية إليها . يقول الراوندى : « وعزم (ملكشاه) على بناء دار للخلافة وحرم ملحق بها فى أصبهان ... وأن يقيم الأمير جعفر فيها »(١٣٨) . غير أن رغبة السلطان ملكشاه لم تتحقق ، فقد توفى فجأة فى منتصف شوال سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م(١٣٩) .

كذلك اهتم السلاجقة بتعيين أرزاق الجند وتحديد مقدارها وصرفها لهم فى أوقاتها المحددة بحضور السلطان السلجوقى، ليؤلف قلوبهم على طاعته والاجتماع على أمره ، يقول نظام الملك : « أن يعطيهم السلطان أرزاقهم فى أيديهم أو فى حجورهم فيقع فى قلوبهم المحبة من ذلك والاجتماع على أمره والتوفر على خدمته والاجتهاد فى المعارك والتفوق فيها »(١٤٠) .

توسع السلاجقة فى منح الإقطاعات لأمراء الجند ، وقد عمل الوزير

---

(١٣٧) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص١٣٩ .
ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٣٧ .
(١٣٨) انظر : راحة الصدور وآية السرور ، ص٢١٦ ــ ٢١٧ .
(١٣٩) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص١٦٤ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد ٣ ، ٤٧٨ .
Osborn : Islam under the Khalifs of Baghdad, P. 333 .
(١٤٠) انظر : كتاب سياست نامه ، ص١٣٥ .

نظام الملك على تنظيم وتعميم نظام الإقطاع الحربى فى سائر أنحاء الدولة، فكان قادة الجند يقيمون فى إقطاعاتهم مع الجند التابعين لهم ، ويحملون المال الفائض من خراجها بعد أخذ أنصبتهم إلى خزانة السلطان ، فضلا عن قيامهم بإعداد الجند وتجهيزهم للاشتراك فى حروب الدولة وحفظ الأمن الداخلى[١٤٢] . وكان الوزير السلجوقى نظام الملك لا يسمح للمقتطع له أن يمكث فى إقطاعه أكثر من سنتين أو ثلاث حتى لا يجور على الرعية ويكون مصدر قلق للدولة[١٤٣] .

على الرغم من حرص الحكام على اتخاذ البريد وتنظيمه ، لما له من أهمية حربية ، فإن السلاجقة لم يهتموا به[١٤٤] ، فلما سأل الأمير أبو الفضل نصر بن خلف والى سجستان ، السلطان ألب أرسلان : « لم لا أرى لك صاحب خبر ؟ قال : أتريد أن تلقى بالملك للرياح ، وأن تفض من حولى أنصارى ! قال : فلماذا ؟ قال السلطان : إذا نصبت صاحب الخبر لم يقم له خلطائى وزنا لاعتمادى عليهم وصداقتهم لى ، ولم يبذلوا له الرشوة، على حين يخطب وده مخالفى وعدوى ويهب له المال »[١٤٥] . غير أن السلاجقة استخدموا الجواسيس والعيون ، الذين كانوا يرسلون إلى الأطراف فى هيئة تجار وسياح ومتصوفة ودراويش ، فكانوا ينقلون الأخبار بصفة دائمة عن

---

(١٤١) إبراهيم على طرخان : النظم الإقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، ص٢٥ .

(١٤٢) إبراهيم على طرخان : المرجع نفسه ، ص٢٥ .

(١٤٣) نظام الملك : سياست نامه ، ص٦٩ .

بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص٢٨٠ .

(١٤٤) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٦٢ .

(١٤٥) نظام الملك : المصدر نفسه ، ص٣٢ .

كل ما يسمعون حتى لا يخفى شيء على السلطان ، يقول الوزير نظام الملك فى كتابه سياست نامه : « وكم من حين خرج فيه الولاة وأصحاب الإقطاع والوكلاء والأمراء وأظهروا الخلاف وتآمروا بالملك ، فلما سأل الجاسوس وأخبر السلطان ركب إليهم من فوره وحشد لهم ووقع عليهم بغتة وأوقع بهم وأحبط كيدهم ، أما إذا حشد له ملك من الملوك أو تجمع عليه جيش من الجيوش خفية وسار إليه يطلب مملكته فيتأهب لهم ويدفعهم»[١٤٦] . فمن ذلك ما قام به السلطان السلجوقى ألب أرسلان حين أنفذ رسولا من قبله إلى إمبراطور الروم قبيل معركة ملازكرد سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م ، ومعه عدة أسئلة الغرض منها كشف سرهم والتعرف على أمرهم[١٤٧] . فكان ذلك من العوامل التى حقق بفضلها انتصارا ساحقا .

**٣ ـ الصعاب التى واجهت النفوذ السلجوقى :**

استعان السلاجقة منذ دخولهم بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، بجيشهم الذى كان يعد وقتذاك من أعظم الجيوش الإسلامية ، فى التصدى للقوى المناهضة لنفوذهم فى حاضرة الخلافة ، والاحتفاظ بسلطتهم فى بلاد العراق .

وكان من أكبر الصعاب التى واجهت النفوذ السلجوقى ، فتنة أبى الحارث أرسلان البساسيرى ، أحد قواد بنى بويه الأتراك[١٤٨] الذى ازداد نفوذه فى العراق بعد أن عينه الخليفة القائم بأمر الله رئيسا للأتراك[١٤٩] ،

---

(١٤٦) نظام الملك : سياست نامه ، ص١١١ .
(١٤٧) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٣٩ .
(١٤٨) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٣٦ .
(١٤٩) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٤١٧ .

وما لبث البساسيرى أن استبد بالسلطة فى بغداد[١٥٠] واستولى على كثير من نواحى العراق ، والأهواز[١٥١]، يقول الخطيب البغدادى : « واستولى أرسلان التركى المعروف بالبساسيرى على البلاد ، وانتشر ذكره وطار اسمه وتهيبته أمراء العرب والعجم ، ودعى له على كثير من المنابر العراقية وبالأهواز ونواحيها ، وجبى الأموال وخرّب الضياع ، ولم يكن الخليفة القائم بأمر الله يقطع أمًرا دونه ولا يحل ويعقد إلا عن رأيه »[١٥٢] . وقد أثارت مكانة البساسيرى وما حظى به من نفوذ فى بلاد العراق حفيظة الوزير أبى القاسم على بن المسلمة الملقب برئيس الرؤساء، الذى كان يتطلع إلى الاستئثار بعطف الخليفة العباسى وتدبير أمور الدولة ، فأخذ الوزير يؤلب عليه الأمراء والخليفة للقضاء على نفوذه ، كما أثار رئيس الرؤساء الأتراك البغداديين ضد البساسيرى[١٥٣]، باتهامه أنه المتسبب فى نقص رواتبهم مما أدى إلى استيائهم منه ، فقاموا بمهاجمة دوره واستولوا على جميع أملاكه ببغداد ، فزاد حنق البساسيرى على رئيس الرؤساء[١٥٤] . بل إن البساسيرى رأى وجوب الانحياز إلى الفاطميين وخاصة بعد أن ساءت علاقته بالخليفة وأيقن من إعراضه عنه[١٥٥] .

أما عن موقف الخليفة القائم بأمر الله فإنه لما اتضح له أمر البساسيرى

---

(١٥٠) ابن دحية : النبراس فى تاريخ بنى العباس ، ص١٣٧ .

(١٥١) الذهبى : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، جـ٣ ، ص ٣٦٠ .

(١٥٢) انظر : تاريخ بغداد ، جـ١ ، ص٣٩٩ ـ ٤٠٠ .

ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص٨٧ ـ ٩٠ .

(١٥٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٧٠ .

(١٥٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد ٣ ، ص٤٥٨ .

(١٥٥) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص١٨٧ .

بأنه يعمل على خلعه[١٥٦] وكاتب الفاطميين بذلك[١٥٧]، اضطر ـ بسبب عدم وجود قوة خاصة به ـ أن يستعين بالملك الرحيم آخر أمراء بنى بويه لإبعاد البساسيرى عن بغداد ، وأنفذ إليه رسالة جاء فيها : « أن البساسيرى خلع الطاعة وكاتب الأعداء (المصريين)، وأن الخليفة له على الملك عهود وله على الخليفة مثلها ، فإن آثره فقد قطع ما بينهما ، وإن أبعده وأصعد إلى بغداد تولى الديوان تدبير أمره »[١٥٨]، فأظهر الملك الرحيم استعداده لإجابة طلب الخليفة ، كما أن البساسيرى لما علم بما تضمنته رسالة القائم بأمر الله، رحل إلى الحلة حيث نزل على أميرها دبيس بن مزيد لمصاهرة بينهما ، فظل مقيما بها حتى اضطر إلى المسير إلى الرحبة[١٥٩] بعد أن دخل طغرلبك بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م[١٦٠].

كان البساسيرى قد وصلته رسالة من الداعى المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى قبيل قدومه إلى الرحبة ، تضمنت استعداد الحكومة الفاطمية لمعاونته وجنوده البغداديين ، وتأييد المستنصر بالله الفاطمى له[١٦١]، فرحب البساسيرى بهذه الرسالة ، وأنفذ إليه ردا تضمن شكره وأصحابه على اهتمامهم بأمره ، والتمس منه أن يمده بالمال والخيل والسلاح قائلاً :

---

(١٥٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص٦٦ .

(١٥٧) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٨ ، ص١٦٣ .

ابن ميسر : تاريخ مصر ، القاهرة ١٩١٩ ، جـ٢ ، ص١١ .

(١٥٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٧١ .

(١٥٩) الرحبة : مدينة بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات .

ياقوت : معجم البلدان ، مجلد ٣ ، ص٣٤ .

(١٦٠) ابن دحية : النبراس فى تاريخ بنى العباس ، ص١٣٨ .

(١٦١) هبة الله الشيرازى : سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة ، ص٩٦ .

«فإن أخذتم بأيدينا أخذنا لكم البلاد ، وإن قلدتمونا نجاد نصركم وانجادكم ، فتحنا من جهتكم الأغوار والأنجاد »[١٦٢] .

سار المؤيد فى الدين لنجدة البساسيرى مع فريق من رجاله يحملون الأموال والخلع والسلاح . وكانت تشتمل على خمسمائة ألف دينار ، ومن الثياب ما قيمته مثل ذلك وخمسمائة فرس ، وعشرة آلاف قوس ، وعدد كبير من السيوف وكثير من الرماح والنشاب[١٦٣] . وبينما كان المؤيد فى طريقه إلى الرحبة حيث يقيم البساسيرى وجنده ، ورد إليه كتاب من نصر الدولة أحمد بن مروان ، صاحب ميافارقين وديار بكر ، يعرب له فيه عن رغبته فى التخلى عن طاعة السلاجقة ، والدخول فى طاعة الخلافة الفاطمية قائلا : « إنه كان من جملة من أجاب الدعوة التركمانية الطاغية درءاً لنفسه ومداراة لوقته ، وظنا أنهم من أجناس البشر الذين يراعون حرمة ويرقبون فى مؤمن إلاً وذمة ، فكشف الزمان له عن شرهم وغدرهم، وظلمهم وجورهم وإطلاقهم الأيدى فى الأموال والحريم »[١٦٤] . فرحب المؤيد فى الدين بكتاب نصر الدولة ، وطلب منه إقامة الخطبة على منابر بلاده للمستنصر بالله الفاطمى [١٦٥] .

لما علم البساسيرى بقرب وصول ركب المؤيد فى الدين خرج على

---

(١٦٢) هبة الله الشيرازى : سيرة المؤيد فى الدين ، ص٩٦ .
هبة الله الشيرازى : ديوان المؤيد فى الدين ، نشر د. محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤١ ، ص٤١ ـ ٤٢ .
(١٦٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ٥ ، ص١٢ .
(١٦٤) هبة الله الشيرازى : المصدر نفسه ، ص١٠٨ ـ ١٠٩ .
(١٦٥) هبة الله الشيرازى : المصدر نفسه ، ص١٠٩ .

رأس جنده البغداديين لاستقباله ، ورحبوا به أحسن ترحيب ، بينما أخذ المؤيد فى الدين يوزع الخلع والأموال على أتباع البساسيرى من الأعراب والأكراد والأتراك[١٦٦] ، بعد ذلك خلع على البساسيرى نفسه فى احتفال كبير ، وقرأ عهده على الناس : « من عبد الله ووليه معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى صاحب الجيش : سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأل أن يصلى على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ... ولما وجدك أمير المؤمنين من السابقين إلى النداء بشعاره فى ديار العراق ... رأى أمير المؤمنين وبالله توفيقه أن يطوقك طوق ولاية رجالها ، وتقيم على رأسك لمزية التقدمة راية جمالها وينوط بك أمورها كلها ، ويكلل إليك عقدها وحلها ... وكتب فى صفر سنة ثمان وأربعين وأربعمائة »[١٦٧] .

لم يكتف المؤيد فى الدين بمعاونة البساسيرى وأصحابه وإمدادهم بالمال والسلاح ، بل عمل على استمالة أمراء العرب وإقناعهم بمعاونة البساسيرى ، فأرسل إلى نور الدولة دبيس بن مزيد صاحب الحلة أن يلحق به فى الرحبة[١٦٨] ، وتمكن من ضمه إلى جانب البساسيرى ، وفى سبيل تشجيع نور الدولة على ذلك حصل له المؤيد فى الدين على عهد من الخليفة الفاطمى لقبه فيه : « بالأمير سلطان ملوك العرب ، سيف الخلافة ، صفى أمير المؤمنين » . كما قلده رئاسة عرب العراق ، وجعل له حكم ما يفتحه من البلاد ابتداء من شرقى نهر الفرات[١٦٩] .

---

(١٦٦) هبة الله الشيرازى : ديوان المؤيد فى الدين ، ص٤٢ ـ ٤٣ .
(١٦٧) هبة الله الشيرازى : المصدر نفسه ، ص١٢١ ـ ١٢٤ .
(١٦٨) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص١٩٤ .
(١٦٩) هبة الله الشيرازى : المصدر نفسه ، ص١٢٧ ـ ١٢٨ .

كذلك استطاع المؤيد فى الدين ضم العرب الكلبيين الذين قدموا من دمشق إلى جانب البساسيرى بعد أن أغدق عليهم الأموال(١٧٠)، ثم ما لبث البساسيرى أن سار على رأس أتباعه وأعوانه نحو الموصل حيث التقى بجيوش قريش بن بدران صاحب الموصل ، و« قتلمش » ابن عم السلطان طغرلبك عند مدينة سنجار(١٧١) سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٧م، فلما دار القتال بين الطرفين انتصر البساسيرى وأعوانه انتصارا ساحقا على السلاجقة وقريش بن بدران(١٧٢) ولقى قتلمش من أهل سنجار العنت بعد أن تمادوا فى إلحاق الأذى به وبأصحابه ، أما قريش بن بدران فقد جرح فى المعركة ولجأ إلى نور الدولة دبيس بن مزيد ، صاحب الحلة الذى أعطاه خلعة ، كانت قد أرسلت إليه من مصر ، ثم انحاز إلى جانب البساسيرى وسار بصحبته إلى الموصل حيث أقاما الخطبة للمستنصر بالله الفاطمى(١٧٣).

كان من أثر النصر الذى أحرزه البساسيرى فى موقعة سنجار أن خلع محمود بن الأخرم ، أمير خفاجة ، طاعة الخليفة العباسى وأقام الخطبة للمستنصر بالله الفاطمى على منابر مدينة الكوفة(١٧٤) التى كان يلى أمرها، كما ترك علاء الدين أبو الغنائم بن المجلبان أمير واسط جانب الخلافة العباسية وخطب للمستنصر بالله وضرب النقود باسمه(١٧٥). وظلت الخطبة

(١٧٠) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية، ص١٩٤ .

(١٧١) سنجار : مدينة تقع بنواحى الجزيرة على مقربة من الموصل .
ياقوت : معجم البلدان ، مجلد ٣ ، ص٢٦٢ .

(١٧٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٧٧ .
ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص٦٩ .

(١٧٣) الذهبى : دول الإسلام ، جـ١ ، ص٢٦٣ .

(١٧٤) هبة الله الشيرازى : سيرة المؤيد فى الدين ، ص١٣٥ ـ ١٣٦ .

(١٧٥) ابن كثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٧٦ .

تقام فى واسط للخليفة الفاطمى حتى تمكن الأمير منصور بن الحسين من إعادتها للخليفة العباسى فى شهر صفر سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٨م(١٧٦).

على أن البساسيرى لم ينعم طويلا بانتصاره فى سنجار ، بسبب ترك بعض أعوانه جانبه وانصراف فريق من جنده عنه(١٧٧) ، فضلا عما قام به عميد الملك الكندرى وزير السلطان السلجوقى طغرلبك من العمل على تفريق شمل أمراء العرب وإغرائهم بإسناد بعض الولايات إليهم ، فكان يعد أحدهم بإمارة الموصل ويعد غيره بإمارة البصرة أو واسط ، مما أدى إلى انصراف عدد منهم عن تأييد البساسيرى ، فأعلن كل من قريش بن بدران ودبيس بن مزيد عودتهما إلى طاعة السلطان السلجوقى مما اضطر البساسيرى إلى العودة إلى الرحبة وتبعه الأتراك البغداديون وجماعة من بنى عقيل(١٧٨).

أما عن طغرلبك ، فإنه عمد إلى تتبع أنصار البساسيرى فأوقع بهم ، كما أوقع بأهل سنجار وبلغ فى حملته نصيبين وديار بكر ، ثم ما لبث أن قدم إلى بغداد بعد أن عهد بولاية الموصل إلى أخيه إبراهيم ينال وذلك فى سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٨م(١٧٩).

لم ينعم طغرلبك بالاستقرار بسبب خروج أخيه إبراهيم ينال على طاعته ، وما بلغه عن مراسلته المؤيد فى الدين ليلتمس من الخليفة الفاطمى

---

(١٧٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٧٧ .

(١٧٧) هبة الله الشيرازى : سيرة المؤيد فى الدين ، ص١٤٠ .
نفس المؤلف : ديوان المؤيد فى الدين ، ص٤٥ .

(١٧٨) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٧٨ .

(١٧٩) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٨٠ .

إمداده بالأموال والخلع والولاية والألقاب ، حتى إذا ما تغلب على طغرلبك أقام الخطبة لنفسه فى البلاد التى ستؤول إليه بعد الخليفة الفاطمى، ولما وقف المؤيد فى الدين على ما تضمنته رسالة إبراهيم ينال تعهد بإجابة طلبه : « فى معنى المال والخلع والألقاب »(١٨٠).

كما واجه طغرلبك بعض الصعاب فى سبيل احتفاظه بالموصل ذلك أن البساسيرى وقريش بن بدران لما أيقنا من ضعف الحامية السلجوقية فى هذه المدينة تمكنا من استعادتها سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٩م(١٨١) غير أن طغرلبك ما لبث أن سار على رأس الجيش السلجوقى وبصحبته أخوه إبراهيم ينال لاسترداد مدينة الموصل ، فلما اقترب منها رحل عنها البساسيرى وقريش بن بدران(١٨٢) ، فاتجه طغرلبك إلى نصيبين ليتتبع أثارهما ويخرجهما من البلاد التى يستوليان عليها ، وبينما هو فى طريقه انصرف عنه أخوه إبراهيم ينال وسار إلى همذان فوصلها فى أواخر شهر رمضان سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٩م(١٨٣).

انتهز البساسيرى فرصة انشغال طغرلبك بإخماد ثورة أخيه إبراهيم ينال وخلو بغداد من الجند السلجوقى ، وزحف إليها على رأس أربعمائة

---

(١٨٠) هبة الله الشيرازى : سيرة المؤيد فى الدين ، ص١٧٥ ـ ١٧٦ .
نفس المؤلف : ديوان المؤيد فى الدين ، ص٤٦ .
(١٨١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٨٢ .
(١٨٢) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٨٣ .
(١٨٣) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٨٣ .
الذهبى : دول الإسلام ، جـ١ ، ص٢٦٤ .

فارس حاملا الرايات المستنصرية[١٨٤] التى كتب عليها : « الإمام المستنصر بالله أبو تميم معد أمير المؤمنين »[١٨٥] . كما سار معه قريش بن بدران على رأس مائتى فارس من بنى عقيل وتمكنا من الاستيلاء عليها فى الثامن من ذى القعدة سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٩م[١٨٦] دون مقاومة تذكر[١٨٧] ، وفى يوم الجمعة الثالث عشر من ذى القعدة أمر البساسيرى أن يخطب للمستنصر بالله الفاطمى بجامع المنصور ، ثم ما لبث أن أقيمت الخطبة للخليفة الفاطمى على جميع منابر بغداد وضربت السكة باسمه[١٨٨] ، وأنفذ إليه البساسيرى يبشره بفتح بغداد وإقامة الدعوة له .

أما فيما يتعلق بالخليفة القائم بأمر الله العباسى فإن البساسيرى كان قد عزم على أخذه من قريش بن بدران وإرساله إلى مصر[١٨٩] ، وحدث خلاف بينهما حول ذلك[١٩٠] ، فرأى قريش أن يبعث به مع ابن عمه الأمير محيى الدين مهارش بن المجلى العقيلى إلى حديثة عانة[١٩١] ، فأنزله بها مع أهله وحريمه وحاشيته[١٩٢] .

---

(١٨٤) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٩ ، ص ٣٩ .
الذهبى : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، جـ٣ ، ص ٣٦٦ .
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ٥ ، ص٨ .
(١٨٥) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ٢ ، ص١٧٧ .
(١٨٦) ابن الساعى : مختصر أخبار الخلفاء ، ص٨٨ .
Osborn : Islam under the Khalifs of Baghdad, P. 326 .
(١٨٧) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص٢٠٠ .
(١٨٨) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٨ ، ص١٩٦ .
(١٨٩) جمال سرور : المرجع نفسه ، ص٢٠١ ـ ٢٠٢ .
(١٩٠) ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص١٩٤ .
(١٩١) أبو الفدا : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص١٧٦ .
(١٩٢) أبو الفدا : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص١٧٧ ـ ١٧٨ .

لما استقر الأمر للبساسيرى فى بغداد أخذ فى العمل على إخضاع باقى بلاد العراق والأهواز لنفوذه ، ونشر الدعوة فيها للمستنصر بالله الفاطمى[193] ، فاستولى على واسط والبصرة وأقام فيهما الخطبة للخليفة الفاطمى[194] . ثم سار نحو الأهواز للاستيلاء عليها ، فلما علم بذلك صاحبها الأمير هزارسب بن بنكير استعان بالسلطان طغرلبك فأرسل إليه إمدادات ، تمكن بفضلها من التصدى للبساسيرى ، الذى لم يجد بدا من عقد الصلح مع هزارسب والعودة إلى واسط[195] .

لما فرغ السلطان طغرلبك من القضاء على حركة أخيه إبراهيم ينال ، عزم على المسير إلى العراق للقضاء على فتنة البساسيرى ، الذى قويت شوكته واستفحل خطره ، وإعادة الخليفة القائم بأمر الله إلى مقر خلافته بعد أن أرسل الخليفة إليه مستنجدا : « بحق الله أدرك الإسلام ، فقد ساد العدو اللعين (البساسيرى) وأخذ ينشر مذهب القرامطة[196] » ، فكتب طغرلبك إلى البساسيرى وقريش بن بدران يطلب منهما إعادة الخليفة العباسى إلى بغداد وذكر اسم السلطان فى الخطبة ونقشه على السكة فى مقابل عدم دخوله العراق[197] . كما أرسل طغرلبك ــ وهو فى طريقه إلى العراق ــ الإمام أبا بكر أحمد بن محمد بن أيوب المعروف بابن فورك إلى

---

(١٩٣) المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جـ٢ ، ص١٧٥ ــ ١٧٦ .

(١٩٤) الذهبى : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، جـ٣ ، ص ٣٧١ .

ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص٧٧ ــ ٧٨ .

(١٩٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٨٥ .

(١٩٦) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، ص١٧٢ .

(١٩٧) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ٢ ، ص١٧٨ .

قريش بن بدران يخبره بأنه مبعوث السلطان السلجوقى ، الذى أوفده لمصاحبة الخليفة القائم بأمر الله فى عودته إلى بغداد(١٩٨) .

غير أن البساسيرى رفض إجابة طلب طغرلبك ، كما سعى قريش بن بدران لدى ابن عمه الأمير محيى الدين مهارش ، صاحب الحديثة ليحول دون عودة الخليفة العباسى إلى بغداد(١٩٩) ، حتى لا يجد طغرلبك مبررا للعودة إلى العراق ، لكن الأمير مهارش لم يلب رغبة قريش بن بدران وبعث إليه برسالة جاء فيها ، كان بينى وبين البساسيرى عهود ومواثيق نقضها ، وأن الخليفة استخلفنى بعهود ومواثيق لا مخلص منها ،(٢٠٠) ، ثم ما لبث الأمير مهارش أن سار إلى بغداد وبصحبته الخليفة القائم بأمر الله فى الحادى عشر من ذى القعدة سنة ٤٥١هـ/ديسمبر١٠٥٩م(٢٠١) . أما البساسيرى فكان قد رحل عن بغداد إلى الكوفة عندما اقترب الجيش السلجوقى من هذه المدينة وذلك فى اليوم السادس من ذى القعدة ٤٥١هـ/ ديسمبر ١٠٥٩م(٢٠٢) .

لم يكد الأمر يستقر للخليفة العباسى فى بغداد إثر وصوله إليها فى أواخر شهر ذى الحجة ٤٥١هـ/يناير١٠٦٠م(٢٠٣) ، حتى عهد السلطان

---

(١٩٨) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٨ ، ص٢٠٤ .

(١٩٩) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص١٤ ــ ١٦ .
ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص٨٢ .

(٢٠٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٨٥ .

(٢٠١) ابن دحية : النبراس فى تاريخ بنى العباس ، ص١٤٠ .

(٢٠٢) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ٢ ، ص١٧٨ ــ ١٧٩ .
الذهبى : دول الإسلام ، جـ١ ، ص٢٦٥ .

(٢٠٣) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٨٦ .
الذهبى : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، جـ٣ ، ص ٣٧٥ .

طغرلبك إلى القائد خمارتكين الطغرائى بالسير على رأس ألفى فارس إلى الكوفة للقضاء على البساسيرى ، كما ضم إليه طائفة من الجند بقيادة ابن منيع الخفاجى وسار بنفسه فى أثرهم(٢٠٤) ، ولم تزل قواته تتعقب البساسيرى حتى أوقعت به الهزيمة عند الكوفة ، وقضت عليه فى ذى الحجة سنة ٤٥١هـ/يناير١٠٦٠م ، وحملت رأسه إلى بغداد(٢٠٥) ، فطيف بها ثم ما لبث أن صلب قبالة باب النوبى(٢٠٦) ، فعظم بذلك نفوذ السلطان طغرلبك وزاد الخليفة العباسى فى ألقابه « ركن الدين »(٢٠٧) .

لما فرغ السلطان طغرلبك من القضاء على فتنة البساسيرى واستقر نفوذه فى حاضرة الخلافة ، عزم على توطيد سلطان السلاجقة فى باقى بلاد العراق ، فسار على رأس الجيش السلجوقى إلى واسط ، حيث التقى به صاحبها هزارسب بن بنكير ويصحبته دبيس بن مزيد ، الذى أعلن الدخول فى طاعة السلطان السلجوقى(٢٠٨) . ثم عبر طغرلبك إلى الجانب الشرقى من دجلة وسار إلى قرب البطائح ، وبعد أن تمكن من إعادة النفوذ السلجوقى على ما بين واسط والبصرة عاد إلى بغداد فى صفر سنة ٤٥٢هـ/مارس١٠٦١م ويصحبته أمراء بلاد العراق ، فاستقبلهم الخليفة القائم بأمر الله بحفاوة بالغة وخلع عليهم بعد أن أعلنوا الطاعة والولاء(٢٠٩) .

---

(٢٠٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص٩٠ .

جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص٢٠٦ .

(٢٠٥) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٩ ، ص ١٨٢ .

(٢٠٦) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٨ ، ص٢١٢ .

(٢٠٧) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٤٦٥ .

(٢٠٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٨٨ ـ ٨٩ .

ابن خلدون : المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤٦٦ .

(٢٠٩) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٨٩ .

كذلك خلع السلطان طغرلبك على الأمير محمود بن الأخرم الخفاجى، وضم إليه إمارة بنى خفاجة وولاية الكوفة(٢١٠) فى نفس العام بعد أن أعلن طاعة السلطان ، وبذلك استطاع طغرلبك القضاء على القوى المناهضة للنفوذ السلجوقى فى بلاد العراق ، وتوطيد أركان الدولة السلجوقية فيها .

لم يكد يستتب الأمر لألب أرسلان الذى خلف السلطان طغرلبك فى عرش السلاجقة فى ذى الحجة سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م(٢١١)، حتى سار الأمير شهاب الدين قتلمش بن إسرائيل (ابن عم جعفرى بك) إلى الرى على رأس قواته ، واستولى عليها وأعلن نفسه سلطانا على السلاجقة(٢١٢). فلما علم بذلك ألب أرسلان سار إليه ويصحبته وزيره نظام الملك على رأس الجيش السلجوقى ، حيث التقى بقتلمش فى معركة بالقرب من الرى ، انتهت بانتصار ألب أرسلان ومقتل قتلمش سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م(٢١٣).

ولما أعلن « بيغو » عم ألب أرسلان ، الذى كان يلى هراة ، العصيان والاستقلال بالمناطق الخاضعة لنفوذه ، جهز له السلطان ألب أرسلان جيشا كبيرا سار به إليه ، فألحق بعمه الهزيمة ، وعاد إلى نيسابور بعد أن أعلن بيغو الطاعة لابن أخيه(٢١٤).

---

(٢١٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٨٩ .

(٢١١) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٩ ، ص ٢٦٦ .
اليافعى : مرآة الجنان ، جـ٣ ، ص٧٦ .

(٢١٢) بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص٢٧٣ .

(٢١٣) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٩٨ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص٤٦٨ ـ ٤٦٩ .

(٢١٤) الذهبى : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، جـ٣ ، ص ٣٨٠ .
عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ص٥٣ .

قضى السلطان ألب أرسلان معظم سنوات حكمه فى توطيد نفوذه والعمل على إعلاء شأن السلاجقة فى العالم الإسلامى ، وقد أتيحت له الفرصة ليحقق ما كان يطمح إليه ، حينما التقت جيوش البيزنطيين التى كانت تبلغ نحوا من مائتى ألف مقاتل مع الجيش السلجوقى الذى لم يكن يتجاوز خمسة عشر ألف رجل عند ملازكرد[٢١٥] فى معركة كبيرة[٢١٦] ، انتهت بانتصار ألب أرسلان والجيش السلجوقى انتصارا ساحقا ، وأسر إمبراطور الروم رومانوس ديوجين وذلك فى سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م[٢١٧] .

كان لهذا النصر الذى أحرزه ألب أرسلان على الروم أثر بالغ فى تدعيم نفوذ السلاجقة فى العراق ، ويتجلى لنا ذلك من الكتاب الذى أرسله الخليفة القائم بأمر الله إلى ألب أرسلان فقد جاء فيه : « الولد السيد الأجل ، المؤيد المنصور المظفر ، السلطان الأعظم مالك العرب والعجم ، سيد ملوك الأمم ، ضياء الدين غياث المسلمين ، ظهر الإيمان كهف الأنام ، عضد الدولة القاهرة ، تاج الملة الباهرة ، سلطان ديار المسلمين ، برهان أمير المؤمنين »[٢١٨] .

ظل السلطان ألب أرسلان محتفظا بسلطته فى بلاد العراق حتى لقى

---

(٢١٥) ملازكرد : بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم ، وتعرف باسم منازجرد ومنازكرد .
ياقوت : معجم البلدان ، مجلد٥ ، ص٢٠٢ .

(٢١٦) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٩ ، ص ٣٧٤ .
الذهبى : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، جـ٣ ، ص ٣٩٣ .

(٢١٧) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص٩٩ .
لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٧٢ .

(٢١٨) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص٥٣ .

مصرعه على يد يوسف الخوارزمى ، أحد الثائرين فى المشرق فى شهر ربيع الأول سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م(٢١٩)، فخلفه فى السلطنة ولى عهده جلال الدولة أبو الفتح ملكشاه(٢٢٠).

كان السلطان ملكشاه يدرك أن احتفاظ السلاجقة بسلطتهم فى العراق يتوقف على اتحادهم ومدى تماسكهم ، فعزم على التصدى لأى محاولة تهدف إلى الخروج عن سلطانه من داخل البيت السلجوقى أو خارجه على السواء ، فلما طمع عمه « قاورد » ، وسار على رأس قواته إلى الرى معلنا أنه أحق بالسلطنة من ابن أخيه(٢٢١)، خرج إليه ملكشاه على رأس الجيش السلجوقى وبصحبته وزيره نظام الملك ، فقضى على هذه الفتنة وقتل قاورد عند باب الكرج بالقرب من همذان سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م(٢٢٢).

وفى سنة ٤٧٢هـ/١٠٨٠م سير السلطان ملكشاه فريقا من الجيش السلجوقى بقيادة أبى بكر عبد الله بن نظام الملك إلى تكريت ، فاستولى عليها ودانت بالطاعة للسلاجقة(٢٢٣)، كما أنفذ الوزير فخر الدولة أبو نصر

---

(٢١٩) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، ص١٩١ .

البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٤٤ .

(٢٢٠) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٤٢٢ .

الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، جـ٣ ، ص٣١٨ .

(٢٢١) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٨ ، ص٢٧٨ .

(٢٢٢) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٩ ، ص ٤٠٩ .

العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، جـ٢٠ ، ص ٢٨٨ .

(٢٢٣) ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٣٢٣ .

ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص١٢٠ .

ابن جـهـير على رأس جـيش كـبـيـر إلى ديار بكر ، وكـان يلى حكمـهـا بنو مروان ، ثم أمده بفريق من الجيش السلجـوقى بقيادة الأمير ارتق بن أكسب فتمكنا من الاستيلاء عليها سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٥م(٢٢٤) .

وفى المحرم سنة ٤٧٨هـ/أبريل ١٠٨٥م، سار فخر الدولة بن جـهـير على رأس جند كـثـيف من الجـيش السلجـوقى نـحـو مـدينة آمـد ، فـتم له الاستـيلاء عليها وأقام فيـها الخطبة للسلطان السلجوقى ، ثم استـولى على ميافارقين فى جمادى الآخرة من نفس العام(٢٢٥) بعد أن انضم إليه سعد الدولة كوهرائين وقواته(٢٢٦) . وعـادا إلى بغداد بعد أن تم لهـمـا بسط النفوذ السلجوقى على ديار ربيعة ومضر والموصل وآمد وميافارقين(٢٢٧) .

وليس أدل على مـدى مـا وصل إليـه النفوذ السلجـوقى فـى بلاد العراق على عـهـد السلطان ملكشـاه ، مـن أنه لما توفـى بهـاء الدولة منصـور بن دبيس بن مزيد ، صاحب الحلة فى ربيع الأول سنة ٤٧٩هـ/يونيو١٠٨٧م، سار ابنه سيف الدولة إلى السلطان ملكشاه ليقره على الحلة ، فخلع عليه وولاه ما كان لأبيه(٢٢٨) .

---

(٢٢٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص١٣٣ ـ ١٣٤ .

(٢٢٥) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٩ ، ص١٤ .
الذهبى : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، جـ٣ ، ص ٤٢٣ .

(٢٢٦) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص١٣٨ .

(٢٢٧) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص١٣٧ ـ ١٣٨ .
العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، جـ٢٠ ، ص ٣٨٥ .

(٢٢٨) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص١٤١ .

ولما سار أحد أمراء العرب من بنى عامر على رأس عشرة آلاف مقاتل نحو البصرة وتمكن من دخولها سنة ٤٨٣هـ/١٠٩١م، بعد أن فارقها واليها ، توجه إليه سعد الدولة كوهرائين ، شحنة بغداد وبصحبته سيف الدولة صدقة بن مزيد ، صاحب الحلة ، واستطاعا أن يقبضا عليه بعد فراره إلى البحرين ، وأرسل إلى السلطان ملكشاه ، فشهر به فى بغداد ثم أمر به فصلب فى سنة ٤٨٤هـ/١٠٩٢م[٢٢٩] .

وبذلك استطاع السلطان السلجوقى ملكشاه ، بفضل جهود الجيش السلجوقى ، توطيد أركان دولته والاحتفاظ بسلطة السلاجقة فى العراق طوال عهده (٤٦٥ ـ ٤٨٥هـ/ ١٠٧٢ ـ ١٠٩٢م)، فلما توفى سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٣م[٢٣٠] تمزقت وحدة السلاجقة وضعف أمرهم[٢٣١] بسبب النزاع الذى نشب بين أبناء البيت السلجوقى ، مما أدى إلى نهوض الخلفاء العباسيين لاستعادة سلطة الخلافة. فبدأ بذلك عهد جديد فى العلاقات السلجوقية العباسية .

---

(٢٢٩) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص١٥٣ .

العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، جـ٢٠ ، ص ٤٢٣ .

(٢٣٠) اليافعى : مرآة الجنان ، جـ٣ ، ص١٣٩ .

السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٤٢٥ .

(٢٣١) الذهبى : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، جـ٣ ، ص ٤٤٥ .

Osborn : Islam under the Khalifs of Baghdad, P. 332 .

### ٤ ـ النزاع بين الأمراء السلاجقة على السلطة :

كانت وفاة السلطان ملكشاه إيذانا بانقسام خطير في البيت السلجوقي[٢٣٢]، مما أدى إلى ضعف سلطة السلاجقة وانحلال قوتهم[٢٣٣]، فاستغل الخلفاء العباسيون من عهد المسترشد بالله إلى أوائل عهد الناصر لدين الله ، النزاع والتنافس بين الأمراء السلاجقة على السلطة، وأخذوا يتحينون الفرص لاستعادة سلطان الخلافة وإعداد الجيش العباسي لتحرير البلاد من السيطرة السلجوقية .

بدأ النزاع على السلطة إثر وفاة ملكشاه عندما استأثرت تركان خاتون، أرملة ملكشاه ، بالسلطة باسم ابنها محمود بن ملكشاه[٢٣٤]، بعد أن بايعه القواد والأمراء والجند سلطانا للسلاجقة[٢٣٥]، واستطاعت بمعاونة الوزير تاج الملك الشيرازي أن تحمل الخليفة المقتدي بأمر الله على الاعتراف بسلطنة ابنها محمود[٢٣٦]، فأمر الخليفة أن يخطب له على منابر بغداد ، بعد أن منحه الخلع السلطانية ولقبه ناصر الدنيا والدين[٢٣٧]، وذلك في شوال سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م.

---

(٢٣٢) الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ، ص٢١٠ .
البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٧٥ .

(٢٣٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٤٢٨ ـ ٤٢٩ .

(٢٣٤) Browne : A Literary history of Persia, vol, II, P. 300 .
بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص٢٨٣ .

(٢٣٥) الراوندي : المصدر نفسه ، ص٢١٦ .

(٢٣٦) Browne : Account of a rare Manuscript History seljuqs, London, 1906, P. 35 .

(٢٣٧) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، جـ٩ ، ص٦٢ ـ ٦٣ .

وكانت تركان خاتون تخشى من منازعة بركيارق ـ أكبر أبناء ملكشاه ـ ابنها على السلطنة لذلك أمرت بالقبض عليه ، وسجن فى أصفهان ، لكن بركيارق تمكن بمعاونة أنصار الوزير السلجوقى نظام الملك(٢٣٨) ، من الخروج من السجن ، ثم ما لبث أن اجتمعت إليه العساكر وأسندوا إليه السلطنة فى أصفهان ، فأصبح للسلاجقة سلطانان فى وقت واحد ، أحدهما فى أصفهان ، والآخر تقام له الخطبة على منابر بغداد .

تطور النزاع بين السلطان محمود بن ملكشاه وقواته بقيادة الأمير أنر(٢٣٩) ، وبين أخيه بركيارق ومؤيديه ، إلى حرب دارت بين الطرفين فى أواخر سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٣م، انتهت بهزيمة جيش السلطان محمود ، والقبض على وزيره تاج الملك الشيرازى ، وقتله فى المحرم سنة ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م(٢٤٠) .

لما رأى تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان ـ الذى كان يلى دمشق وما جاورها من بلاد الشام(٢٤١) ـ قيام النزاع والتنافس بين ابنى أخيه على السلطنة ، عول على الاستيلاء عليها ، فسار إلى حلب وبسط سلطانه عليها، ثم استولى على أنطاكية والرها وحران والرحبة ونصيبين ، كما ضم الموصل وديار بكر وأذربيجان إلى حوزته وكان بركيارق إذ ذاك قد استولى

---

(٢٣٨) يطلق عليهم ابن الأثير : المماليك النظامية .
انظر : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص١٦٥ .

(٢٣٩) الأمير أنر : كان مولى للسلطان السلجوقى ملكشاه وأحد خواصه المقربين .

(٢٤٠) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص١٦٥ .

(٢٤١) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص١٦٦ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد ٣ ، ص٤٨٠ .

على كثير من بلاد إيران ، فلما علم بما عزم عليه عمه اتجه إلى أذربيجان للقضاء على هذا الخطر الذى يتهدده ، ولم يكد يقترب جيش بركيارق من قوات تاج الدولة تتش حتى انضم فريق من أمراء تتش إلى بركيارق ، فلما علم تتش بذلك أيقن أنه لا طاقة له بقتال ابن أخيه ، وعاد إلى بلاد الشام ، واستقامت أمور البلاد لبركيارق سنة ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م(٢٤٢).

كذلك قام النزاع بين بركيارق وخاله الأمير إسماعيل بن ياقوتى حاكم أذربيجان ، بعد أن حرضته تركان خاتون ووعدته بالزواج منها إذا ما استطاع القضاء على بركيارق(٢٤٣)، الذى آلت إليه سلطنة السلاجقة ، فجمع إسماعيل بن ياقوتى جيشا كبيرا من التركمان لمحاربة بركيارق ، لكنه منى بالهزيمة على مقربة من الكرج ، وفر إلى أصفهان ، ثم ما لبث أن لقى حتفه على أيدى أنصار بركيارق(٢٤٤).

لما قضى بركيارق على فتنة خاله إسماعيل بن ياقوتى ، اتجه إلى بغداد وبصحبته وزيره عز الملك الحسين ، حيث اعترف به الخليفة المقتدى بأمر الله سلطانا على السلاجقة ، وأمر بذكر اسمه فى الخطبة فى المحرم سنة٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، كما خلع عليه لقب ركن الدين ،(٢٤٥). ولما توفى الخليفة المقتدى وخلفه ابنه وولى عهده أبو العباس أحمد الملقب

---

(٢٤٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص١٦٧ .

(١٤٣) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، ص٢١٨ .

(٢٤٤) الذهبى : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، جـ٣ ، ص ٤٥٣ .

(٢٤٥) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص١٧٠ .

بالمستظهر بالله[٢٤٦]، اعترف الخليفة الجديد بسلطنة بركيارق وأرسل إليه الخلع والتقليد ، كما بايع السلطان بركيارق المستظهر بالله بالخلافة[٢٤٧].

لم يعترف تاج الدولة تتش بتولية ابن أخيه السلطنة وعاد إلى المطالبة بها ، وسار على رأس قواته للقضاء على بركيارق[٢٤٨]، فلما التقى الفريقان على مقربة من الرى دار بينهما القتال ، وحلت الهزيمة بتتش وقتل فى صفر سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م[٢٤٩]، وبذلك قضى بركيارق على خطر كبير كان يتهدد سلطانه .

لم تكد تستقر الأمور لبركيارق بعد القضاء على فتنة عمه تتش ، حتى واجه فتنة أخرى من قبل أخيه محمد بن ملكشاه والى آران وكنجه ، الذى أقام الخطبة لنفسه ، وقطع خطبة أخيه بركيارق ، ثم سار على رأس جيش كبير لمحاربته ، فحلت الهزيمة ببركيارق ، وولى هاربا إلى أصفهان ومنها اتجه إلى خوزستان[٢٥٠].

أدى انتصار محمد بن ملكشاه على أخيه بركيارق إلى اعتراف الخليفة العباسى المستظهر بالله بسلطنة محمد بن ملكشاه بعد أن طلب منه ذلك سعد الدولة كوهرائين ، شحنة بغداد وخطب له سنة٤٩٢هـ/١٠٩٨م، بلقب غياث الدنيا والدين[٢٥١].

---

(٢٤٦) ابن دحية : النبراس فى تاريخ بنى العباس ، ص١٤٥ .

(٢٤٧) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص٧٤ .

(٢٤٨) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ١٠ ، ص ١٧٢ .

(٢٤٩) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص١٧٦ .

Lane-Poole : The Mohammadan Dynasties , P. 152 .

(٢٥٠) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، ص٢٢٣ .

(٢٥١) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص١٩١ .

لم يقف بركيارق مكتوف الأيدى إزاء فتنة أخيه محمد ، فسار إلى بغداد فى أوائل سنة ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م[٢٥٢]، للمطالبة بإقامة الخطبة له على منابر بغداد[٢٥٣]، مما اضطر الخليفة العباسى إلى قطع خطبة السلطان محمد وإقامتها لبركيارق[٢٥٤] . غير أن بركيارق ما لبث أن فقد اعتراف الخلافة بسلطنته فى شهر رجب من نفس العام، وأعيدت الخطبة للسلطان محمد بن ملكشاه فى مساجد بغداد ، بعد أن ألحق الهزيمة بأخيه بركيارق .

على أن بركيارق ما لبث أن استقر رأيه على جمع شمل السلاجقة فخاطب أخاه محمدا فى إقرار الصلح بينهما[٢٥٥]، فوافق محمد على أن يحصل كل منهما لقب « سلطان » ، وأن يلى أمر الأقاليم الشمالية ، بينما تكون الأقاليم الجنوبية لبركيارق ، وأن تظل خراسان وما جاورها تحت حكم سنجر ، وتم ذلك فى سنة ٤٩٧هـ/ ١١٠٣م[٢٥٦] .

لم تنعم الدولة السلجوقية بالهدوء طويلا ، فقد توفى بركيارق فى السنة التالية وقام النزاع بين ملكشاه بن بركيارق وعمه السلطان محمد بن ملكشاه، وخاصة بعد أن اعترف الخليفة المستظهر بالله بسلطنة محمد بن ملكشاه خلفا لأبيه[٢٥٧]، وأصبح هناك سلطانان من السلاجقة تقام لهما الخطبة فى بغداد فى وقت واحد[٢٥٨] .

---

(٢٥٢) الذهبى : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، جـ٣ ، ص٤٧٢ .
(٢٥٣) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ١ ، ص١١١ ــ ١١٢ .
(٢٥٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص١٩٣ .
(٢٥٥) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٢٢٠ .
(٢٥٦) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ١٠ ، ص ٢٦٣ .
(٢٥٧) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٢٢٥ .
(٢٥٨) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٢٢٥ ــ ٢٢٦ .

لما توفى السلطان محمد بن ملكشاه سنة ٥١١هـ/١١١٧م[٢٥٩]، خلفه ابنه وولى عهده ، محمود ، الذى اعترف الخليفة المستظهر بالله بسلطنته وأمر بإقامة الخطبة له على منابر بغداد[٢٦٠]، غير أن عمه الملك سنجر حاكم خراسان خلع طاعة ابن أخيه ، الذى كان آن ذاك فى الرابعة عشرة من عمره وأعلن نفسه سلطانا للسلاجقة[٢٦١]، ثم تطور النزاع بين السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه وبين عمه سنجر إلى قيام الحرب بينهما ، فدارت بين الطرفين عدة معارك ، انتهت بانتصار سنجر ، الذى طلب من الخليفة العباسى المسترشد بالله الاعتراف بسلطته ، فأجاب طلبه وأمر بإقامة الخطبة له على منابر بغداد[٢٦٢]، ثم صالح سنجر ابن أخيه محمود وعينه نائبا عنه فى حكم العراق على أن يلقب كل منهما بلقب «سلطان»[٢٦٣]، وكتب بذلك إلى الخليفة العباسى وسائر أمراء الأقاليم[٢٦٤]، فصارت الخطبة تقام لسلطانين من السلاجقة فى وقت واحد[٢٦٥].

لم ينعم السلطان محمود بالهدوء بعد إقرار الصلح مع عمه السلطان سنجر ، فثار عليه أخوه الملك مسعود ، حاكم الموصل وأذربيجان فى ربيع

---

(٢٥٩) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ١٠ ، ص ٣٤٧ .
اليافعى : مرآة الجنان ، جـ٣ ، ص٢٠٠ .

(٢٦٠) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٩ ، ص١٩٣ – ١٩٦ .

(٢٦١) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، ص٢٥٨ .

(٢٦٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد ٣ ، ص٤٩٨ .

(٢٦٣) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص١٢٨ – ١٢٩ .

(٢٦٤) الراوندى : المصدر نفسه ، ص٢٥٩ .

(٢٦٥) ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ٩ ، ص٢٠٦ .

الأول سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م، مما أدى إلى نشوب القتال بينهما ، فحلت الهزيمة بالملك مسعود(٢٦٧) .

لم يكن سلاطين السلاجقة فى أوائل القرن السادس الهجرى فى حالة تساعدهم على الاحتفاظ بسلطتهم فى الدولة ، فاستغل الخليفة المسترشد بالله قيام المنازعات بينهم لاستعادة نفوذ الخلافة ، فأرسل نقيب النقباء أبا القاسم على بن طراد الزينبى إلى الحلة لأخذ البيعة من صاحبها ، دبيس بن صدقة بن مزيد ، وطلب منه تسليم الأمير أبى الحسن بن المستظهر بالله ، الذى كان قد التجأ إلى الحلة إثر خلافة المسترشد بالله(٢٦٨) ، فنفذ نقيب النقباء أمر الخليفة ، وأحضر الأمير أبا الحسن بن المستظهر بالله ، الذى حبس فى إحدى دور الخلافة(٢٦٩) .

تركزت سياسة الخليفة العباسى المسترشد بالله ومن جاء بعده من الخلفاء على استعادة نفوذ الخلافة على البلدان الخاضعة لها ، والقضاء على نفوذ السلاجقة فى العراق .

وقد حرص الخليفة المسترشد بالله حين سار طغرلبك إلى بغداد، وبصحبته الأمير دبيس بن مزيد ، صاحب الحلة ، للاستيلاء على دار السلطنة ، على التصدى لهما ، فخرج على رأس الجيش العباسى مرتديا البردة ، وبيده القضيب فى اليوم التاسع من صفر سنة٥١٢هـ/ يونيو ١١١٨م(٢٧٠) . ولما علم الملك طغرلبك بما عزم عليه المسترشد بالله ، عدل

---

(٢٦٦) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد ٣ ، ص٤٩٩ .

(٢٦٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٢٩١ ـ ٢٩٢ .

(٢٦٨) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٩ ، ص١٩٨ ـ ٢٠٥ .

(٢١٩) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٢٩٤ .

(٢٧٠) ابن الجوزى : المصدر نفسه ، ص٢٥٢ .

عن السير إلى بغداد[٢٧١] ، أما دبيس بن صدقة ، فقد انهزم حينما شاهد أعلام الخليفة ، وقبل الأرض بين يديه قائلاً : « أنا العبد المطرود ، فليعف أمير المؤمنين عن عبده »[٢٧٢] . ثم عاد الخليفة المسترشد بالله منتصراً إلى حاضرة الخلافة .

كان لانتصار الخليفة المسترشد بالله على الملك طغرلبك السلجوقى وحليفه دبيس بن صدقة أثر كبير فى زيادة الفرقة فى صفوف السلاجقة وانحياز بعضهم إلى جانبه ، فتحالف السلطان محمود مع الخليفة المسترشد بالله ضد السلطان سنجر ، يقول ابن الجوزى : « وتراسلا بالأيمان والعهود على أنهما يتفقان على سنجر ويمضيان إلى قتاله ، ويكون محمود فى السلطنة وحده »[٢٧٣] . غير أن السلطان سنجر تمكن من تدارك هذا الخطر وأنفذ إلى ابن أخيه السلطان محمود يشككه فى نوايا الخليفة ويحرضه على السير إلى بغداد لإعادة الخليفة العباسى إلى داره على ما جرت عليه عادة آبائه[٢٧٤] .

لما تلقى السلطان محمود رسالة عمه السلطان سنجر ، نقض اتفاقه المبرم مع المسترشد بالله ، وخاصة بعد أن أكد له برنقش الزكوى شحنة بغداد مخاوف السلطان سنجر[٢٧٥] قائلاً : « إنه (المسترشد بالله) قد قاد العساكر ولقى الحروب وقويت نفسه ، ومتى لم تعاجله بقصد العراق ودخول

(٢٧١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد ٣ ، ص٥٠٤ .
(٢٧٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٣١٨ .
(٢٧٣) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ١ ، ص٢٥٤ .
(٢٧٤) ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ٩ ، ص٢٥٤ ـ ٢٥٥ .
(٢٧٥) ابن خلدون ، المصدر نفسه ، مجلد ٣ ، ص٥٠٤ .

بغداد ازداد قوة وجمعا ومنعك عنه ، وحينئذ يتعذر عليك ما هو الآن بيده،[٢٧٦] ، وسار نحو حاضرة الخلافة[٢٧٧] ، فلما علم الخليفة المسترشد بالله بسير السلطان محمود إلى بغداد ، تأهب للتصدى له بعد أن أخفق رسل الخليفة فى إقناع السلطان السلجوقى بترك هذا الأمر ، فسار على رأس الجيش العباسى إلى الجانب الغربى من المدينة مظهراً غضبه[٢٧٨] ، بينما نزل السلطان محمود فى الجانب الشرقى من بغداد .

لما التقى الجيش العباسى بجند السلطان السلجوقى جرت بينهما عدة مناوشات دخل على أثرها فريق من عسكر السلطان محمود دار الخلافة ونهبوا قصر التاج ، فأمر الخليفة بضرب الكوسات والبوقات ونادى بأعلى صوته « يالهاشم »، وكان فى دار الخلافة ألف رجل مختفون فى السراديب فظهروا[٢٧٩] ، وتمكن الخليفة من أسر جماعة من أمراء السلطان محمود ، بينما نهب العامة دار وزير السلطان ، ودور بعض الأمراء السلاجقة ، وقتل منهم عدد كبير فى الدروب والطرقات ، ثم ما لبث الخليفة المسترشد بالله أن عبر إلى الجانب الشرقى ومعه ثلاثون ألف مقاتل من أهل بغداد والسواد[٢٨٠] ، وأمر بحفر الخنادق عند أبواب بغداد ، وعلى شاطئ دجلة ، فلما أتم الخليفة استعداداته للوثوب على عسكر السلطان السلجوقى ، غدر به الأمير أبو الهيجاء الكردى صاحب إربل ، الذى كان ضمن قوات الخليفة ،

---

(٢٧٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٣٢١ .

(٢٧٧) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص٢١٦ .

(٢٧٨) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد ٣ ، ص٥٠٤ .

(٢٧٩) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٣٢١ .

(٢٨٠) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٣٢٢ .

وانحاز بجنده إلى السلاجقة ، وفى أثناء ذلك وصل عماد الدين زنكى على رأس قواته قادماً من واسط تلبية لأوامر السلطان السلجوقى ، فكان ذلك مما حمل المسترشد على قبول دعوة السلطان إلى الصلح(٢٨١) . ثم ما لبث السلطان محمود أن قدم اعتذاره للخليفة المسترشد بالله مما حدث ورحل إلى همذان سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م(٢٨٢) .

لما توفى السلطان محمود السلجوقى فى شوال سنة ٥٢٥هـ/ ١١٣٠م(٢٨٣) ، انتهز الخليفة المسترشد بالله فرصة النزاع الذى نشب بين أبناء البيت السلجوقى على سلطنة السلاجقة ، وعمد إلى إثارة الشقاق بينهم لإضعاف شأنهم جميعًا ، فكتب إلى السلطان سنجر : « بأن لا يأذن لأحد منهم بالخطبة التى ينبغى أن تكون له وحده »(٢٨٤) . ثم ما لبث أن أقر الملك سلجوقشاه بن محمد على عرش السلاجقة ، عندما وصل إلى بغداد بصحبة أتابكة قراجة الساقى ، صاحب فارس وخوزستان(٢٨٥) ، بينما رفض إقامة الخطبة للسلطان مسعود(٢٨٦) ، وتأهب للتصدى له حين عزم على السير إلى بغداد لإرغامه على تنفيذ طلبه ، فخرج على رأس قواته

---

(٢٨١) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ١٠ ، ص٥ .
الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، ص٣٠٢ .
(٢٨٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٣٢١ ـ ٣٢٢ .
(٢٨٣) ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ١٠ ، ص٢٠ .
(٢٨٤) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٣٣٥ .
(٢٨٥) الذهبى : دول الإسلام ، جـ٢ ، ص٤٧ .
(٢٨٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص٢٠٣ .

وبصحبته سلجوقشاه بن محمد وأتابكه قراجه الساقى ، غير أن السلطان مسعود عدل عن عزمه ، واتفق مع أخيه سلجوقشاه على طاعة الخليفة المسترشد بالله وتنفيذ رغباته[٢٨٧] ، على أن يعاونهما الخليفة بجيشه ضد السلطان سنجر[٢٨٨] ، ثم ما لبث أن قدم السلطان مسعود إلى بغداد ، فاستقبله الخليفة وقال له بعد الخلع : « تلق هذه النعمة بشكرك واتق الله فى سرك وجهرك[٢٨٩] .

أما السلطان سنجر فكان قد عزم على السير إلى العراق وبصحبته طغرل الثانى بن محمد لتوليته سلطنة السلاجقة ، فلما علم الخليفة المسترشد بالله بما عزم عليه السلطان سنجر ، اتفق مع السلطان مسعود على الخروج لقتاله ، وأمر الخليفة بقطع خطبة السلطان سنجر من العراق ، وسار على رأس الجيش العباسى لملاقاته ، ولم يكد يصل الخليفة إلى خانقين حتى اضطر إلى العودة إلى حاضرة الخلافة للدفاع عنها ضد عماد الدين زنكى ، ودبيس بن مزيد ، اللذين سارا نحو بغداد للاستيلاء عليها بإيعاز من السلطان سنجر[٢٩٠] ، فلما التقى الجيش العباسى بقوات زنكى ودبيس ، لحقت بهما الهزيمة وقتل عدد كبير من جنودهما ، وفر زنكى إلى تكرى[٢٩١] ، بينما ولى دبيس هربا نحو الحلة[٢٩٢] .

---

(٢٨٧) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد ٣ ، ص٥٠٦ .
(٢٨٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٣٣٦ .
(٢٨٩) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ١٠ ، ص٢٥ .
(٢٩٠) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٣٣٧ .
(٢٩١) ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ١٠ ، ص٢٦ .
(٢٩٢) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٣٣٧ .

لم يمض غير قليل على فرار عماد الدين زنكى حتى أنفذ رسوله ابن الشهرزورى مبعوثا من قبله إلى الخليفة المسترشد بالله ومعه التحف والهدايا والخيل والسلاح يطلب إليه الصفح والرضا عنه معبراً عن الطاعة والولاء ، فرد عليه الخليفة برسالة جاء فيها : ﴿ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[٢٩٣] . ولم يزل الرسول يشفع لزنكى حتى رضى عنه الخليفة وقبل عذره واشترط أن يكون غازى بن عماد الدين زنكى على أهبة الاستعداد ، ومعه ألف فارس لتنفيذ أوامر الخليفة [٢٩٤] .

ازداد نفوذ الخليفة المسترشد بالله وقوى شأنه بعد انتصاره على عماد الدين زنكى ودبيس بن مزيد ، ويتجلى لنا ذلك من إلغائه إقامة الخطبة باسم السلطان مسعود السلجوقى على منابر بغداد ، عندما نكث بعهوده ومواثيقه مع الخلافة[٢٩٥]، ولم يكتف الخليفة بذلك ، بل سار على رأس الجيش العباسى قاصداً همذان لمحاربة السلطان السلجوقى[٢٩٦]، بعد أن تلقى الخليفة عدة رسائل من بعض أمراء الأطراف يعلنون فيها طاعتهم ويعدون بمساعدته فى حربه ضد مسعود ، فسار الخليفة المسترشد بالله ومعه أمتعته وأمواله ، فلما التقى بالسلطان مسعود عند دايمرج بالقرب من همذان تخاذلت العناصر التركية فى الجيش العباسى وانضمت إلى السلطان

---

(٢٩٣) سورة النمل : الآيتان ٣٦ و ٣٧ .

(٢٩٤) ابن العمرانى : الأنباء فى تاريخ الخلفاء ، ص٢١٨ .

(٢٩٥) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٤٣٢ .

(٢٩٦) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ١٠ ، ص٤٤ .

السلجوقى، ولم يبق مع الخليفة سوى خمسة آلاف مقاتل[٢٩٧] بعد انضمام فريق من جيشه إلى جانب مسعود[٢٩٨]، غير أن المسترشد بالله ظل يقاتل بشجاعة فائقة حتى انهزم معظم عسكره ، ووقع أسيراً[٢٩٩].

فلما وصل نبأ هزيمته إلى بغداد فى يوم عيد الفطر سنة ٥٢٩هـ/يوليو١١٣٥م، هاجم أهلها الحامية السلجوقية ، واقتتل الطرفان قتالاً شديداً ، يقول ابن الجوزى : « فلما كان يوم عيد الفطر نفر أهل بغداد ووثبوا على الخطيب وكسروا المنبر والشباك ومنعوه من الخطبة ، وخرجوا إلى الأسواق يحثون على رؤوسهم التراب ، ويبكون ويصرخون ، فاقتتل أصحاب الشحنة والعوام وخرج النساء حاسرات يندبن فى الأسواق »[٣٠٠]، أما الخليفة المسترشد بالله فظل أسيراً فى الخيمة التى نصبت له بمعسكر السلطان[٣٠١] مسعود حتى اغتاله نفر من الإسماعيلية فى الرابع عشر من ذى القعدة سنة ٥٢٩هـ/أغسطس ١١٣٤م[٣٠٢].

لما ولى الراشد بالله الخلافة العباسية سنة ٥٤٩هـ/ ١١٣٤م[٣٠٣]، عزم على مواصلة سياسة أبيه فى القضاء على السيطرة السلجوقية ، واستعادة نفوذ الخلافة ، فقام على رأس فريق من الجيش العباسى لمحاربة الجند

---

(٢٩٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٣٤٨ .

(٢٩٨) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ١٠ ، ص٤٤ ـ ٤٥ .

(٢٩٩) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص٢٤٨ .

(٣٠٠) انظر : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ١٠ ، ص٤٦ ـ ٤٧ .

(٣٠١) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، ص٣٣٠ .

(٣٠٢) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص١٠٦ ـ ١٠٨ .

(٣٠٣) ابن العمرانى : الأنباء فى تاريخ الخلفاء ، ص٢٢٢ .

البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص١٦٢ .

السلجوقى بقيادة برنقش الزكوى ، شحنة بغداد ، واستطاع بمعاونة عامة أهل بغـداد طرد السـلاجـقـة وإبعـادهم عن هذه المدينة سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م(٣٠٤) .

لم يكتف الخليفة الراشد بالله بطرد الحامية السلجوقية من بغداد ، بل أمر بقطع خطبة السلطان مسعود وإقامتها للملك داود بن محمود بن محمد ، الذى قدم إلى حاضرة الخلافة فى صفر سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م، واتفق مع الخليفة العباسى على حرب مسعود(٣٠٥)، بعد أن انضم إليهما عماد الدين زنكى صاحب الموصل بجيشه . وفى أثناء ذلك كان السلطان مسعود قد قدم على رأس قواته إلى بغداد(٣٠٦)، وظل يحاصر المدينة أكثر من خمسين يوماً(٣٠٧)، مما أدى إلى شغب العيارين والعامة، الأمر الذى أثار الاضطراب فى صفـوف جيـش الخليفة(٣٠٨) ، وازداد الأمـر سـوءاً بتـرك بعض الأمراء جانب الخليفة وتفرقهم عنه ، فاضطـر إلى ترك بغداد والسير إلى الموصل بصـحـبـة عـمـاد الدين زنكى ، بينمـا رحل الملك داود إلى خوزستان(٣٠٩) .

---

(٣٠٤) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ١٠ ، ص٥٤ ـ ٥٥ .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٣٥٢ .

(٣٠٥) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص١٠٨ .

(٣٠٦) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، ص٣٣١ .

(٣٠٧) ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ١٠ ، ص٥٧ ـ ٥٨ .
حافظ أحمد حمدى : الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى ، القاهرة ١٩٥١ ، ص٤٣ ـ ٤٤ .

(٣٠٨) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٨ ، ص٣٥٤ .

(٣٠٩) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد ٣ ، ص٥١٢ .

عمد الخليفة الراشد بالله إلى استرداد سلطانه ، فسار من الموصل إلى أذربيجان ثم إلى مراغة(٣١٠) ، حيث اجتمع هناك مع الملك داود السلجوقى والأمير منكوبرس صاحب فارس وبعض الأمراء الأتراك الذين انضموا إليهم فى التصدى للسلطان مسعود ومحاربته(٣١١) .

لما علم السلطان مسعود بخبر اجتماع الخليفة الراشد بالله مع حلفائه وعزمهم على محاربته ، سار إليهم على رأس قواته وأوقع بهم الهزيمة ، بينما اتجه الخليفة الراشد ، الذى لم يشترك فى هذا القتال(٣١٢) ، إلى أصفهان(٣١٣) ، حيث لقى حتفه على يد نفر من الإسماعيلية فى منتصف رمضان سنة ٥٣٠هـ/مايو ١١٣٦م(٣١٤) .

أخذ الخليفة المقتفى لأمر الله بعد أن آلت إليه الخلافة يرقب المنازعات بين السلاجقة ، ويتحين الفرصة للخلاص من القيود التى فرضت عليه إثر خلافته ، فلما توفى السلطان مسعود سنة ٥٤٧هـ/١١٥٣م، هاجم دار شحنة بغداد ودور أصحاب السلطان السلجوقى بحاضرة الخلافة واستولى على ما فيها من أموال(٣١٥) . كما أمر وزيره عون الدين بن هبيرة بالاستيلاء على

---

(٣١٠) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٤٣٦ .
(٣١١) العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، جـ٢١ ، ص٨٠ .
(٣١٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٣١٦ .
(٣١٣) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٤٧ .
(٣١٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص٢٦١ .
اليافعى : مرآة الجنان ، جـ٣ ، ص٢٦٠ .
(٣١٥) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ١٠ ، ص ٥٢٣ .

إقطاعات الأمراء السلاجقة وكبار موظفيهم ، والأمراء المحليين من زعماء القبائل الخارجة على طاعة الخلافة(٣١٦).

أدت الإجراءات الشديدة التى اتخذها الخليفة المقتفى لأمر الله ضد السلاجقة فى حاضرة الخلافة إلى استنجاد الأمراء السلاجقة الذين فقدوا إقطاعاتهم ، بالملك محمد شاه السلجوقى ، وعبروا عما جرى لهم بقولهم : « أرزاقنا قد قطعت ، وأعراقنا قد قلعت ، وديارنا قد أزيلت ، وولاتنا عزلت، ولا بد من مداواة هذا الداء ، قبل إعضاله، وتداركه قبل استفحاله »(٣١٧). غير أن محمد شاه طلب منهم التريث، ومداراة الخليفة وعدم مخالفة أمره(٣١٨)، يقول الذهبى : « وأما بغداد فعظم خليفتها المقتفى وخافته الملوك»(٣١٩).

لم يكتف الخليفة المقتفى لأمر الله بما اتخذه من إجراءات ضد السلاجقة، بل رفض إجابة طلب محمد شاه إقامة الخطبة له ببغداد(٣٢٠)، وأمر بإقامتها لأحد ملوك السلاجقة الضعفاء، وهو سليمانشاه، وجعل ملكشاه ولى عهده فى السلطنة بعد أن أخذ عليهما العهود والمواثيق بالنصح للخليفة، والموافقة ولزوم الطاعة وعدم الاقتراب أو التعرض للعراق بحال(٣٢١)، وفى مقابل ذلك أجاز لهما إقطاع ما يفتحان من بلاد خراسان ،

---

(٣١٦) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٢١٦ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد ٣ ، ص٥١٦ ـ ٥١٧ .
(٣١٧) البندارى : المصدر نفسه ، ص٢١٦ .
(٣١٨) البندارى : المصدر نفسه ، ص٢١٧ .
(٣١٩) الذهبى : دول الإسلام ، جـ٢ ، ص٦٣ .
(٣٢٠) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص١٣١ .
(٣٢١) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ١٠ ، ص١٦٤ .

كما أمد سليمانشاه بثلاثة آلاف فارس لمعاونته فى التصدى لأطماع الملك محمد شاه[٣٢٢].

لما علم محمد شاه بخبر اتفاق الخليفة المقتفى لأمر الله مع سليمانشاه وملكشاه ، عول على محاربتهما ، فسار على رأس قواته لملاقاة جيش سليمانشاه ، ودارت بين الطرفين معركة انتهت بهزيمة السلطان سليمانشاه وأسره بالقرب من الموصل سنة ٥٥١هـ/ ١١٥٦م[٣٢٣]، أما الملك محمد شاه فسار نحو بغداد لإرغام الخليفة المقتفى لأمر الله على إقامة الخطبة له على منابرها ، بعد أن رفض الخليفة إجابة طلبه فى هذا الصدد ، فلما وصل محمد شاه إلى بغداد حاصرها سنة ٥٥١هـ/ ١١٥٦م. فأعلن الخليفة النفير العام ، وجند الأجناد ، وفرق السلاح والعتاد على كل قادر على القتال[٣٢٤]، فنهض أهل بغداد ملبين النداء وتأهبوا لمواجهة السلاجقة .

على الرغم من أن الملك محمد شاه ظل يحاصر بغداد أكثر من ثلاثة أشهر ، فقد استطاع جيش الخلافة بفضل استعداداته العسكرية أن يوقع الهزيمة بقوات محمد شاه ، الذى اضطر إلى العودة إلى همذان سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م[٣٢٥]. يقول ابن القلانسى : « ورحلوا (السلاجقة) عن

---

(٣٢٢) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، ص٣٨٢ ـ ٣٨٣ .

الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص١٤٢ ـ ١٤٣ .

(٣٢٣) الذهبى : دول الإسلام ، جـ٢ ، ص٦٧ .

(٣٢٤) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ١٠ ، ص١٦٩ .

(٣٢٥) الذهبى : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، جـ٤ ، ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧ .

بغداد مفرقين مغلولين خاسرين بعد المضايقة والتناهى فى المحاصرة والمصابرة»[٣٢٦] .

كان لانتصار الجيش العباسى على السلاجقة سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م، أثر كبير فى القضاء على نفوذهم فى حاضرة الخلافة وإضعاف شأنهم فى كافة بلدان الخلافة ، بينما قوى أمر الخلافة[٣٢٧] ، ويتجلى لنا ذلك من اتخاذ الخليفة المقتفى لأمر الله موقفا متشدداً نحو السلاجقة عندما رفض مقابلة بعض رسل أمراء الأطراف وعلى رأسهم رسول السلطان السلجوقى محمد شاه بن محمود ـ الذين قدموا إلى بغداد سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م، لتقديم فروض الطاعة والولاء ، وظلوا بحلوان لمدة ثمانية عشر يوما ، لم يحظوا خلالها بمقابلة الخليفة المقتفى لأمر الله ، ثم عادوا إلى بلادهم مخذولين[٣٢٨] .

توفى الخليفة المقتفى لأمر الله سنة ٥٥٥/ ١١٦٠م[٣٢٩]، بعد قضائه على محاولات السلاجقة الاحتفاظ بسلطتهم فى العراق ، يقول ابن دحية : « وخرج الخليفة (المقتفى لأمر الله) بنفسه يقاتل من ناوأه ويقتل من عاداه، ويهزم غير واحد ، ودفع بنفسه ، وكذلك وزيره ابن هبيرة وحمل على الأعداء عدة حملات »[٣٣٠] ، كما نجح الخليفة المقتفى فى استعادة نفوذ الخلافة ، يقول السيوطى : « من أيام المقتفى عادت بغداد والعراق إلى يد

---

(٣٢٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص٣٤٣ .

(٣٢٧) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٤٤٠ .

(٣٢٨) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ١٠ ، ص١٨٩ .

(٣٢٩) اليافعى : مرآة الجنان ، جـ٣ ، ص٣١٠ .

(٣٣٠) ابن دحية : النبراس فى تاريخ بنى العباس ، ص١٥٧ .

الخلفاء ، ولم يبق له منازع ، وقبل ذلك من دولة المقتدر ، إلى وقته كان الحكم للمتغلبين من الملوك وليس للخليفة معهم إلا اسم الخلافة »[٣٣١].

لما ولى المستنجد بالله يوسف الخلافة بعد وفاة أبيه المقتفى لأمر الله سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م[٣٣٢]، أرسل إلى السلطان السلجوقى سليمانشاه ، يأمره بالطاعة والإذعان وإقامة الخطبة له فى سائر البلاد التى تحت سيطرته ، فأجاب سليمانشاه طلب الخليفة وكتب إلى جميع أمراء البلاد الخاضعة لنفوذه بذلك . كذلك عمد الخليفة المستنجد بالله إلى منع السلاجقة من التطلع لاستعادة نفوذهم فى حاضرة الخلافة فلما طمع سليما نشاه فى السير إلى بغداد والاستقرار فى دار سلطنة السلاجقة ، رفض المستنجد بالله إجابة طلبه ، لما يترتب على ذلك من عودة السيطرة السلجوقية على حاضرة الخلافة[٣٣٣].

ولما قبض عسكر السلاجقة على سليمانشاه وقضوا عليه سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦١م[٣٣٤]، وقلدوا أرسلان شاه السلطنة ، أنفذ السلطان الجديد أتابكه آيلدكز إلى بغداد يطلب إقامة الخطبة له ، وإعادة السيطرة السلجوقية فى حاضرة الخلافة إلى ما كانت عليه أيام السلطان مسعود ، فرفض الخليفة المستنجد بالله إجابة طلبه : « وأهين رسوله وأعيد إليه على أقبح حالة »[٣٣٥].

---

(٣٣١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٤٤١ .

(٣٣٢) ابن العمرانى : الأنباء فى تاريخ الخلفاء ، ص٢٢٦ .

(٣٣٣) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٢٦٩ – ٢٧٠ .

(٣٣٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٩ ، ص٧٢ .

(٣٣٥) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٩ ، ص٧٣ .

لم يحاول السلاجقة طوال عهد الخليفة المستنجد بالله الاقتراب من بغداد أو استعادة سلطانهم عليها بالقوة ، فلما توفى المستنجد بالله سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م، خلفه ابنه المستضيء بأمر الله(٣٣٦)، الذى لم يكن هناك ما يقلقه من جانب السلاجقة سوى محاولتين لاستعادة نفوذهم فى بغداد : الأولى لم تكتمل لمرض قائدها، ففى سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م، خرج أرسلان شاه على رأس قواته لغزو بغداد بتحريض من بعض أمرائه الذين حسنوا له الأمر قائلين : « إنك إذا استخلصت أذربيجان وأجلست فيها من أصحابك من تثق إليه ، تعود إلى همذان وتقصد بغداد وتأخذها ... فإذا أخذت بغداد وخطب لك على منبر الخلافة ، يخلو لك جو الخلافة من منازع ومن عدو مغالب مقارع،(٣٣٧)، فوافقهم السلطان أرسلان شاه على هذا الرأى ، وعزم على السير إلى بغداد ، فلما وصل إلى زنجان اعتراه مرض شديد ، طلب على أثره أن يحمله أصحابه إلى همذان ، وعادت جيوشه دون أن تحقق غرضه(٣٣٨) .

أما المحاولة الثانية التى قام بها السلاجقة فكانت من قبل الملك أرسلان شاه بن طغرلبك بن محمد ، صاحب خوزستان ، الذى سار على رأس جيشه نحو بغداد ، فلما اقترب منها ، أرسل يطلب الإذن له بدخولها ، فلم يجب أحد طلبه ، فما كان منه إلا أن اتجه إلى البندنيجين(٣٣٩)، فخربها

(٣٣٦) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ١٠ ، ص ٦٠٢ .
اليافعى : مرآة الجنان ، جـ٣ ، ص٣٧٩ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد ٣ ، ص٥٢٥ ـ ٥٢٦ .
(٣٣٧) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص١٦٨ ـ ١٧٠ .
(٣٣٨) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٢٧٦ ـ ٢٧٧ .
(٣٣٩) البندنيجين : بلدة مشهورة فى طرف النهروان من أعمال بغداد .
ياقوت : معجم البلدان ، مجلد ١ ، ص٤٩٩ .

ونهبها وقتل وسبى الحريم ، فخرج إليه الوزير عضد الدين على رأس الجيش العباسى، وانضم إليه جند من الحلة وواسط ، فلما التقى الطرفان دارت بينهما عدة مناوشات ، انتهت بانسحاب السلاجقة إلى خراسان سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م(٣٤٠) .

لم يعمل الخليفة الناصر لدين الله ، الذى خلف أباه المستضىء بأمر الله فى بداية عهده على توجيه جيشه لمحاربة السلاجقة بعد أن أرسل إليه الأتابك نصرة الدين محمد البهلوان ، الذى كان يلى همذان معلنا ولاءه وطاعته ، وجاء فى رسالته إلى الخليفة : « أنه ما تم له هذا الملك والحكم على هذه البلاد إلا ببركات ما ينطوى من طاعة الدار العزيزة ، وما ينتهى إليه من الانقياد للأوامر الشريفة »(٣٤١) . فرد عليه الناصر لدين الله بالرضا الكامل وأنفذ إليه الخلع .

كذلك سار عثمان مظفر الدين قزل أرسلان بن يلدكز الذى خلف أخاه نصرة الدين محمد فى أتابكية السلاجقة سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م(٣٤٢) ، على نهجه فى ولائه للخليفة العباسى .

ولما نشب النزاع بين السلطان طغرلبك السلجوقى وبين عمه قزل أرسلان ، بعث قزل أرسلان إلى الخليفة الناصر لدين الله يحذره من طغرل ويطلب إليه أن يمده بفريق من الجيش العباسى للتصدى لأطماع طغرل ،

---

(٣٤٠) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ١٠ ، ص٢٦٤ .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٩ ، ص١٤١ .
(٣٤١) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص١٧١ ـ ١٧٢ .
(٣٤٢) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٢٧٧ ـ ٢٧٨ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد ٣ ، ص٥٢٩ .

ومن قوله : « ومتى لم تحسم مادة هذا الفساد ، يفضى الأمر إلى حالة لا ينادى وليدها ، ويعجز عنه أنصار الدولة وعبيدها ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجهز العساكر من صوب بغداد ، ويصل الملوك (يقصد نفسه) من صوب أذربيجان ، كان ذلك مما يفت فى عضد الخصم ، وملك العراق كله يعود إلى أولياء الدولة »[٣٤٣] .

وقد تأكدت شكوك الأتابك قزل أرسلان عند الخليفة عندما أنفذ السلطان طغرل رسولا إلى بغداد يحمل رسالة يطلب فيها تجهيز دار السلطنة لينزل فيها عندما يصل إلى المدينة ، وإقامة الخطبة له على منابرها[٣٤٤] ، فلما وصلت هذه الرسالة إلى الناصر لدين الله أمر بنقض دار السلطنة وهدمها وتسويتها بالأرض وتعفية آثارها ، وذلك سنة ٥٨٣/١١٨٧م[٣٤٥] ، ثم ما لبث الخليفة أن أعد جيشاً كبيراً سيره إلى همذان بقيادة وزيره جلال الدين عبيد الله بن يونس ، لإخماد فتنة طغرل ، فلما التقى الطرفان عند «داج مرج» بالقرب من همذان ، دار بينهما قتال شديد لم يشهد جيش العراق مثله[٣٤٦] ، انتهى بهزيمة الجيش العباسى وأسر الوزير جلال الدين سنة ٥٨٤/١١٨٨م[٣٤٧] .

عمد الخليفة الناصر لدين الله العباسى بعد تلك الهزيمة التى حلت

---

(٣٤٣) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٢٧٧ ــ ٢٧٨ .
الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص١٧٦ ــ ١٧٨ .
(٣٤٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٩ ، ص١٨٩ .
(٣٤٥) الذهبى : دول الإسلام ، جـ٢ ، ص٩٣ .
(٣٤٦) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، ص٤٨١ ،
(٣٤٧) الحسينى : المصدر نفسه ، ص١٧٨ .

بالجيش العباسى إلى إعادة تجهيز الجيش وإعداده على أكمل وجه ، وسيره مرة أخرى لقتال السلاجقة بعد أن أسند قيادته إلى الأمير مجاهد الدين خالص[٣٤٨] ، فلما علم السلطان طغرل السلجوقى باقتراب الجيش العباسى من همذان وأيقن أنه لا قبل له بمواجهته ، رحل عن المدينة إلى أصفهان ، ودخل الجيش العباسى مدينة همذان دون قتال[٣٤٩] . ثم ما لبث أن انضم إليه الأتابك قزل أرسلان ، وتسلم المدينة من جيش الخلافة ، وجرت له مراسيم التقليد وخلع عليه[٣٥٠] .

استقر رأى السلطان طغرل السلجوقى بعد تلك الهزائم التى حلت به على أن يبعث إلى الخليفة الناصر لدين الله ، رسالة يطلب فيها العفو والدخول فى طاعته ، ولم يكتف بذلك ، بل أنفذ ابنه الصغير ألب أرسلان إلى بغداد سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م، ليعلن للخليفة العباسى الطاعة والولاء ، فدخلها وهو متشح بكفن وبيده سيف مشهور يرمز إلى استسلام أبيه المطلق لكل ما يحكم به الناصر لدين الله عليه فى سبيل منحه العفو ، ونزل ألب أرسلان بباب النوبى وقبل العتبة الشريفة[٣٥١] .

لما أيقن الخليفة الناصر لدين الله من ضعف أمر السلاجقة وانحلال قوتهم ، عزم على تقويض نفوذهم فى بلاد العراق ، وذلك بالاستعانة بأمراء الأطراف المقيمين بالقرب من همذان فى محاربة السلطان طغرلبك

---

(٣٤٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٩ ، ص١٩٧ .

(٣٤٩) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص١٧٨ .

عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ص١٤٨ .

(٣٥٠) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، ص٤٨٢ - ٤٩٣ .

(٣٥١) الحسينى : المصدر نفسه ، ص١٨٠ .

السلجوقى ، فأنفذ إلى خوارزمشاه علاء الدين تكش ، حاكم الدولة الخوارزمية يطلب منه محاربة طغرل(٣٥٢) ، مقابل إقطاعه كل ما يأخذه من ممتلكات السلاجقة(٣٥٣) .

سار خوارزمشاه على رأس جيشه قاصداً همذان لمحاربة طغرل ، فلما التقى الطرفان بالقرب من باب خراسان ، دارت بينهما معركة حامية الوطيس ، هزم فيها السلطان طغرل وقتل فى جمادى الآخرة سنة ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م(٣٥٤) .

**فزالت بذلك دولة سلاجقة العراق ، وتحررت الخلافة العباسية من السيطرة السلجوقية ، واستعادت سلطتها على كافة بلدانها .**

---

(٣٥٢) الذهبى : دول الإسلام ، جـ٢ ، ص١٠٢ .

(٣٥٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٩ ، ص٢٣٠ .

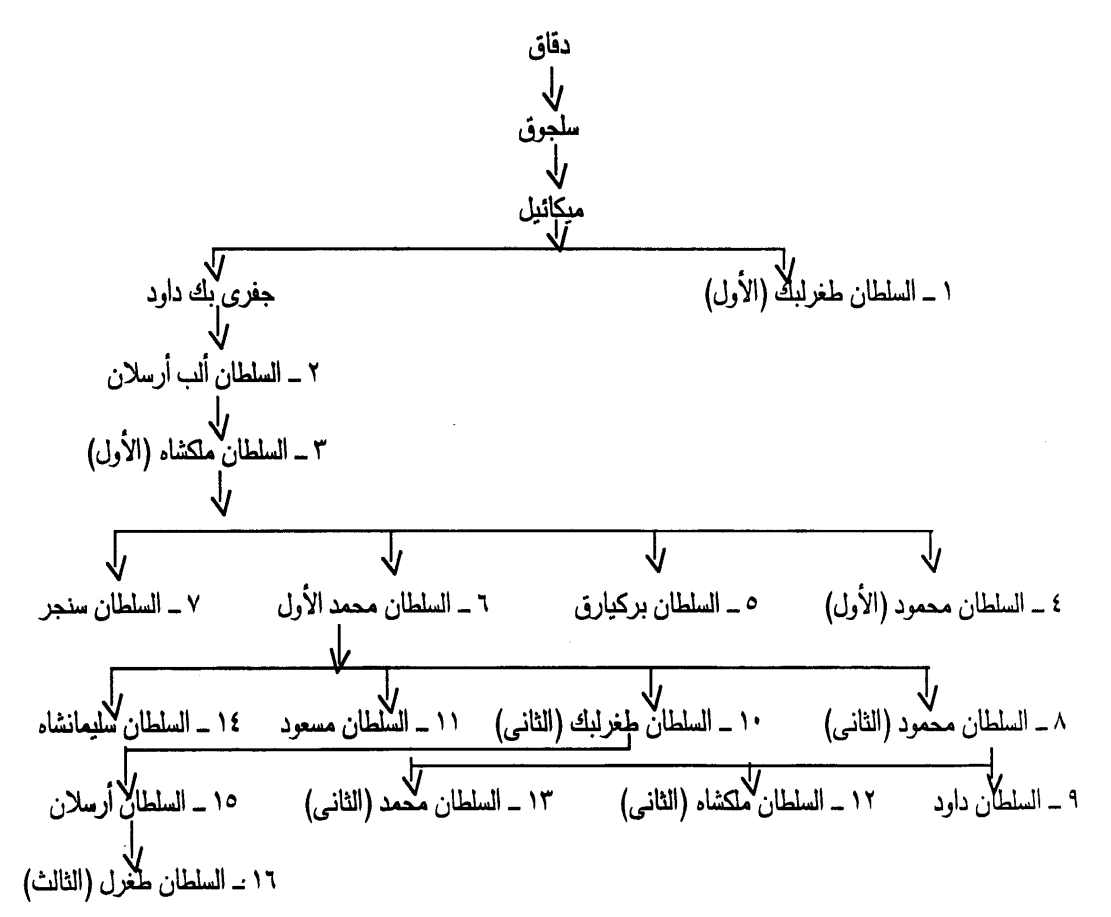
(٣٥٤) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص١٨٩ ـ ١٩٤ .
الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، جـ٤ ، ص٣٠١ .

# جدول

## بأسماء حكام الدولة السلجوقية بفارس والعراق

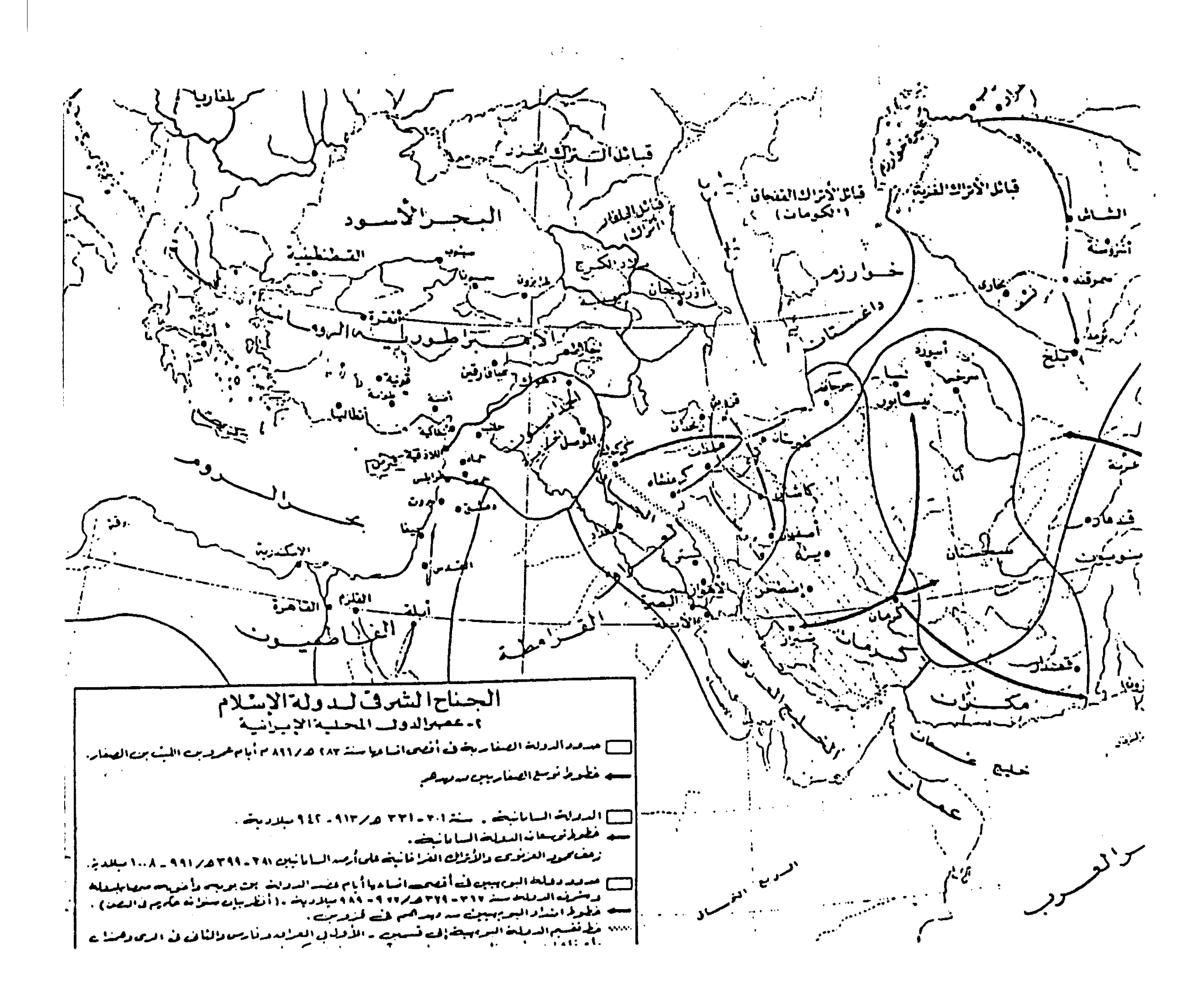
| هجرى | ميلادى | اسماء الامراء |
|---|---|---|
| ٤٢٩ | ١٠٣٧ | ركن الدين طغرلبك أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق |
| ٤٥٥ | ١٠٦٣ | عضد الدولة أبو شجاع ألب أرسلان بن داود |
| ٤٦٥ | ١٠٧٢ | جلال الدولة (معز الدين) أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان |
| ٤٨٥ | ١٠٩٢ | ناصر الدين محمود بن ملكشاه |
| ٤٨٧ | ١٠٩٤ | ركن الدين أبو المظفر بركيارق |
| ٤٩٨ | ١١٠٤ | غياث الدين أبو شجاع محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان |
| ٥١١ | ١١١٧ | سنجر بن ملكشاه |
| ٥١١ | ١١١٧ | مغيث الدين أبو القاسم محمود بن محمد ملكشاه |
| ٥٢٥ | ١١٣٠ | غياث الدين أبو الفتح داود بن محمود |
| ٥٢٦ | ١١٣١ | ركن الدين أبو طالب طغرل الثانى بن محمد |
| ٥٢٧ | ١١٣٢ | أبو الفتح غياث الدين مسعود بن محمد |
| ٥٤٧ | ١١٥٣ | معين الدين ملكشاه الثانى بن محمود بن محمد |
| ٥٤٨ | ١١٥٣ | غياث الدين محمد الثانى بن محمود الثانى |
| ٥٥٥ | ١١٦٠ | سليمانشاه بن محمد الأول |
| ٥٥٦ | ١١٦١ | ركن الدين أرسلانشاه بن طغرلبك الثانى |
| ٥٧٣ | ١١٧٧ | ركن الدين طغرل الثالث بن أرسلانشاه خوارزمشاه |

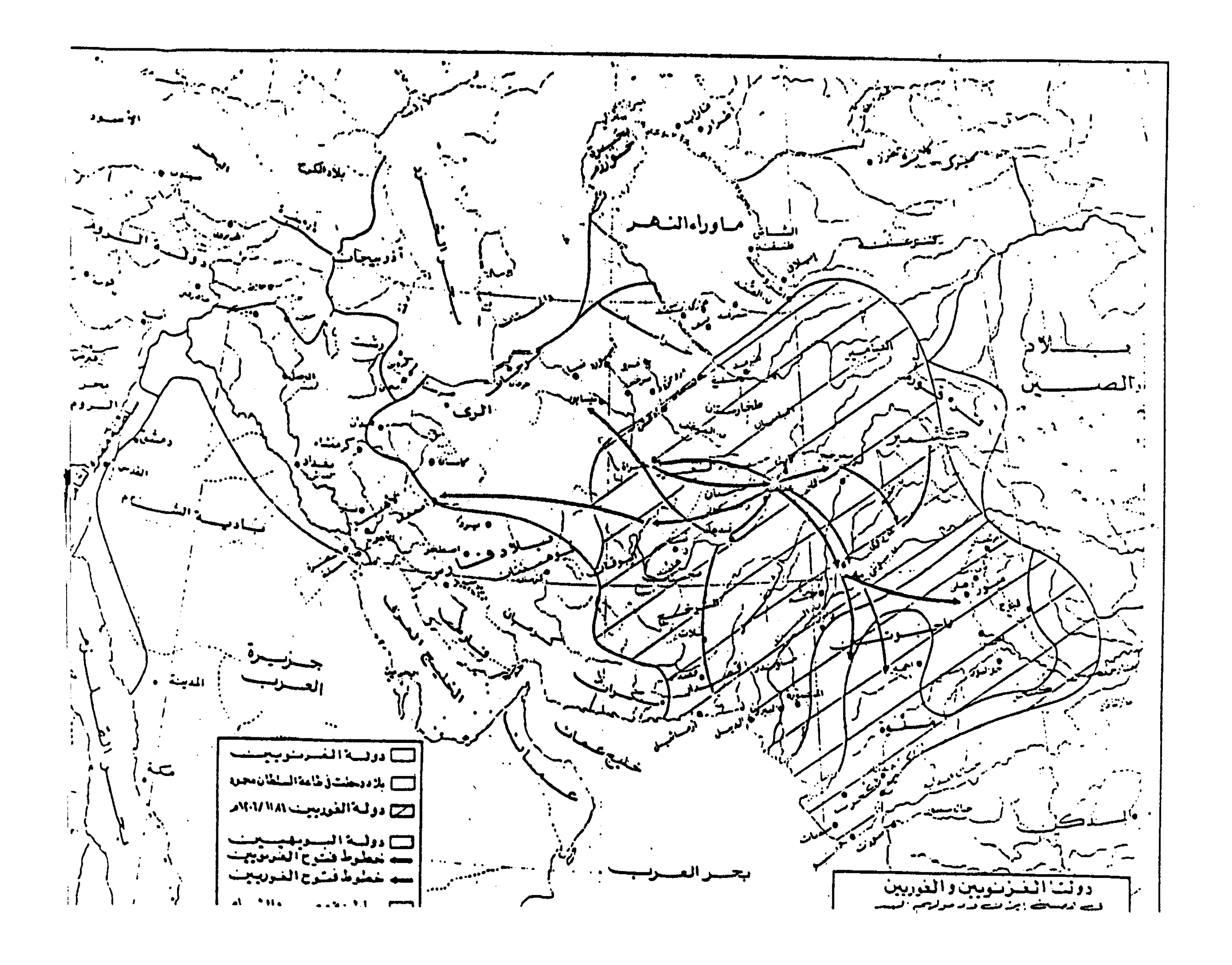
## مشجرهم وتسلسل توليهم الحكم (٤٢٩ ـ ٥٩٠هـ/١٠٣٧ ـ ١١٩٣م)



# جدول خلفاء العصر العباسى من نهاية القرن الثانى إلى أوائل القرن السادس بعد الهجرة

| هجرى | ميلادى | أسماء الخلفاء |
|---|---|---|
| ١٩٨ | ٨١٣ | المأمون |
| ٢١٨ | ٨٣٣ | المعتصم |
| ٢٢٧ | ٨٤٢ | الواثق |
| ٢٣٢ | ٨٤٧ | المتوكل |
| ٢٤٧ | ٨٦١ | المنتصر |
| ٢٤٨ | ٨٦٢ | المستعين |
| ٢٥١ | ٨٦٦ | المعتز |
| ٢٥٥ | ٨٦٩ | المهتدى |
| ٢٥٦ | ٨٧٠ | المعتمد |
| ٢٧٩ | ٨٩٢ | المعتضد |
| ٢٨٩ | ٩٠٢ | المكتفى |
| ٢٩٥ | ٩٠٨ | المقتدر |
| ٣٢٠ | ٩٣٢ | القاهر |
| ٣٢٢ | ٩٣٤ | الراضى |
| ٣٢٩ | ٩٤٠ | المتقى |
| ٣٣٣ | ٩٤٤ | المستكفى |
| ٣٣٤ | ٩٤٦ | المطيع |
| ٣٦٣ | ٩٧٤ | الطائع |
| ٣٨١ | ٩٩١ | القادر |
| ٤٢٢ | ١٠٣١ | القائم |
| ٤٦٧ | ١٠٧٥ | المقتدى |
| ٤٨٧ | ١٠٩٤ | المستظهر |
| ٥١٢ | ١١١٨ | المسترشد |
| ٥٢٩ | ١١٣٤ | الراشد |
| ٥٣٠ | ١١٣٥ | المقتفى |
| ٥٥٥ | ١١٦٠ | المستنجد |
| ٥٦٦ | ١١٧٠ | المستضىء |
| ٥٧٥ | ١١٧٩ | الناصر |


الجناح الشرقي لدولة الإسلام
٢- عصر الدول المحلية الإيرانية
حدود الدولة الصفارية في أقصى اتساعها سنة ٢٨٢ هـ/ ٨٩٦ م أيام عمرو بن الليث بن الصفار.
خطوط توسع الصفاريين نحو الغرب
الدولة السامانية . سنة ٣٠١ - ٣٣١ هـ/ ٩١٣ - ٩٤٢ ميلادية .
خطوط توسعات الدولة السامانية .
زحف محمود الغزنوي والأتراك القراخانية على أرض السامانيين ٣٨١ - ٣٩٩ هـ/ ٩٩١ - ١٠٠٨ ميلادية.
حدود دولة البويهيين في أقصى اتساعها أيام عضد الدولة بن بويه وأخويه معز الدولة وركن الدولة سنة ٣١٢ - ٣٧٩ هـ/ ٩٢٢ - ٩٨٩ ميلادية . (أنظر بيان سنوات حكمهم في النص) .
خطوط امتداد البويهيين نحو الغرب .
خط تقسيم الدولة البويهية إلى قسمين - الأول في العراق وفارس والثاني في الري
البحر الأسود
قبائل الترك الخزر
قبائل الأتراك القبجاق (الكومان)
قبائل الأتراك الغزية
الإمبراطورية الرومانية
خوارزم
بحر الروم
الفاطميون
القرامطة
كرمان
مكران
سجستان
الخليج العربي
خليج عمان
بحر العرب


دولتا الغزنويين والغوريين
دولة الغزنويين
بلاد دخلت في طاعة السلطان محمود
دولة الغوريين ١١٨١/١٢٠٦م
دولة البويهيين
خطوط فتوح الغزنويين
خطوط فتوح الغوريين
ماوراء النهر
بلاد الصين
جزيرة العرب
بحر العرب
خليج عمان
الخليج العربي
بادية الشام
الري
بغداد
المدينة
مكة
الهند





# المصادر والمراجع



# أهم المصادر والمراجع


## أولاً : المصادر العربية :

* **ابن الأثير : على بن أحمد بن أبى الكرم (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٨م)**

(١) الكامل فى التاريخ ، ٩ أجزاء ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧٨م .

* **الأشعرى : على بن إسماعيل (ت٣٢٤هـ/٩٣٥م) :**

(٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، استانبول ١٩٢٩م .

* **الإصطخرى : أبو إسحق إبراهيم بن محمد (ت١ ٣٤هـ/ ٩٥٢م) :**

(٣) المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، القاهرة ١٩٦١م .

* **الأصفهانى : أبو الفرج (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) :**

(٤) الأغانى ، ٢١ جزءاً ، دار الكتب المصرية ١٩٢٧ ـ ١٩٣٦م .

(٥) مقاتل الطالبين ، القاهرة ١٩٤٩م .

* **البغدادى : أبو منصور عبد القاهر (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م) :**

(٦) الفرق بين الفرق ، مطبعة المعارف بالقاهرة ، ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م.

* **البغدادى : الحافظ أبو بكر أحمد بن على (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) :**

(٧) تاريخ بغداد، منشورات دار الكتاب العربى، بيروت ١٩٧٨م، ١٤ جزءاً.

* **البلاذرى : أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) :**

(٨) فتوح البلدان ، القاهرة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م .

* **البندارى : الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهانى (ت فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى) :**

(٩) تاريخ دولة آل سلجوق ، مطبعة الموسوعات ١٩٠٠ .

* البيرونى : أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) :
(١٠) الآثار الباقية عن القرون الخالية ، بغداد ، مطبعة المثنى ، د. ت.
(١١) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
(١٢) كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر ، حيدر آباد الدكن ١٩٥٨م .

* البيهقى : أبو الفضل محمد بن حسين البيهقى (ت ٤٧٠هـ/ ١٠٦٦م) :
(١٣) تاريخ البيهقى ، نقله إلى العربية يحيى الخشاب وصادق نشأت ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ١٩٥٦م .

* الثعالبى : أبو منصور عبد المالك الثعالبى (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م) :
(١٤) لطائف المعارف ، تحقيق إبراهيم الإبيارى وحسن كامل ، دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٠م .
(١٥) ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المدنى ، القاهرة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م .

* الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر بن يعقوب (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) :
(١٦) البخلاء ، ليدن ١٩٠٠م .

* الجهشيارى : أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ/ ٩٤٢م) :
(١٧) الوزراء والكتاب ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، مصطفى السقا ، عبد الحفيظ شلبى ، القاهرة ١٩٣٨م .

* ابن الجوزى : جمال الدين أبو الفرج (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠-١٢٠١م) :
(١٨) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٥٨هـ .
(١٩) مناقب بغداد ، مصر ١٣٤٢هـ .

(٢٠) تلبيس إبليس ، القاهرة ١٩٢٨م .

* ابن حزم : أبو محمد على بن أحمد (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) :

(٢١) الفصل فى الملل والنحل ، (٥ أجزاء) ، طبعة ١٨٩٩م .

* الحسينى : صدر الدين أبو الحسن على بن أبى الفوارس (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م) :

(٢٢) أخبار الدولة السلجوقية ، نشر محمد إقبال ـ لاهور ، جامعة البنجاب ١٩٣٣م .

* حمد الله المستوفى : حمد الله بن أبى بكر بن أحمد بن نصر المستوفى القزوينى (ت٧٥٠هـ/ ١٣٦١م) :

(٢٣) تاريخ كزيدة ، ملحق بتاريخ بخارى للنرشخى ، نقله إلى العربية أمين عبد المجيد بدوى ، ونصر الله مبشر الطرازى ، دار المعارف بمصر .

* الحنبلى : أبو الفلاح عبد الحى بن العماد (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) :

(٢٤) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، القاهرة ١٣٥٠م .

* ابن حوقل : أبو القاسم محمد البغدادى (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) :

(٢٥) صورة الأرض ، ليدن ١٩٣٨م .

* ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت حوالى ٣٠٠هـ/٩١٢م):

(٢٦) كتاب المسالك والممالك ، مجموعة المكتبة الجغرافية العربية ، دى غويه ١٨٨٩م .

* الخزرجى : جمال الدين أبو الحسن على طاهر(ت٦١٣هـ/١٢١٦م) :

(٢٧) أخبار الدول المنقطعة ، دار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ تاريخ .

* ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥-١٤٠٦م) :
(٢٨) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٥ مجلدات ، بيروت ١٩٧٩م .
(٢٩) مقدمة ابن خلدون ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، د. ت .

* ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) :
(٣٠) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، ٨ مجلدات ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧١م .

* الخوارزمى : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) :
(٣١) كتاب مفاتيح العلوم ، مطبعة الشرق ، القاهرة ١٣٤٢هـ/ ١٩٥٢م .

* ابن دحية : عمر بن أبو على حسن بن على (ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م) :
(٣٢) النبراس فى تاريخ بنى العباس ، بغداد ١٩٤٦م .

* الدينورى : أبو حنيفة أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) :
(٣٣) الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، راجعه جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٠م .

* الذهبى : شمس الدين أبو عبد الله (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) :
(٣٤) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، دار الكتب المصرية .
(٣٥) دول الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٤م .

* الراوندى : محمد بن على بن سليمان (ت٥٩٩هـ/ ١٢١٠م) :
(٣٦) راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية ، ترجمة أحمد الشواربى وعبد النعيم حسنين وفؤاد الصياد ، القاهرة ١٩٦٠م .

* ابن الساعى : أبو طالب على بن أنجب تاج الدين (ت٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م) :
(٣٧) مختصر أخبار الخلفاء ، المطبعة الأميرية بمصر ١٣٠٩هـ .

*** سبط بن الجوزى : أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قرازغلى (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)**

(٣٨) مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، حيدر أباد ، الهند ١٣٧٢هـ .

*** السبكى : تاج الدين عبد الوهاب بن على (ت٧٧١هـ/ ١٣٦٩م) :**

(٣٩) طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحى وعبد الفتاح محمد الحلو ، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م .

*** السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م) :**

(٤٠) تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة ، القاهرة ١٣٥١هـ .

(٤١) بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت (د.ت) .

*** أبو شجاع : محمد بن الحسن بن عبد الله بن إبراهيم الوزير ظهر الدين أبو شجاع (ت٤٨٨هـ/ ١٩١٦م) :**

(٤٢) ذيل كتاب تجارب الأمم ، نشر آمدروز ـ مطبعة التمدن، القاهرة ١٣٠٤هـ .

*** الشهرستانى : أبو الفتح محمد عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) :**

(٤٣) الملل والنحل ، تحقيق عبد العزيز محمدالوكيل ، مؤسسة الحلبى ، القاهرة ١٩٦٨م .

*** ابن طباطبا : محمد بن على بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/ ١٣١٩م) :**

(٤٤) الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٢م .

*** الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) :**

(٤٥) تاريخ الرسل والملوك ، دار المعارف ١٩٦٧م .

* ابن طيفور : أبو الفضل أحمد بن طاهر (ت ٣٨٠هـ/ ٨٩٣م) :
(٤٦) تاريخ بغداد ، القاهرة ١٩٤٩م .

* عبد الحميد : يحيى بن سعيد الكاتب (١٣٣هـ/ ٧٥٠م) :
(٤٧) رسالة عبد الحميد أبى عبد الله بن مروان ( رسائل البلغاء ) ، تحقيق محمد كرد على، ١٣٣١هـ .

* ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد محمد (ت٣٢٧هـ/ ٩٣٩م) :
(٤٨) العقد الفريد ، شرحه وضبطه أحمد أمين ، أحمد زين ، و إبراهيم الإبيارى ، القاهرة ١٩٤٠م .

* العتبى : أبو نصر محمد بن عبد الجبار (ت٣٢٨هـ/ ١٠٢٦م)
(٤٩) تاريخ اليمينى ، جزءان ، القاهرة ١٢٨٦هـ .

* العروضى السمرقندى : أحمد بن عمر بن على النظامى (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٥م) :
(٥٠) جهار مقالة ، شرح وتحقيق محمد بن عبد الوهاب القزوينى ، تعريب يحيى الخشاب وعبد الوهاب عزام ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٩م .

* عريب : ابن سعد القرطبى (ت٣٦٦هـ/ ٩٧٦م)
(٥١) صلة تاريخ الطبرى ، كتاب ذيول تاريخ الطبرى ، دار المعارف ١٩٧٧م .

* ابن العمرانى : محمد بن على بن محمد المعروف بابن العمرانى (ت٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)
(٥٢) الأنباء فى تاريخ الخلفاء ، ليدن ١٩٧٣م .

* العينى : بدر الدين محمود بن أحد العينى (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥٢م)
(٥٣) عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، دار الكتب المصرية .

*** الفارقى : أحمد بن يوسف بن على بن الأزرق (مولده سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م) :**

(٥٤) تاريخ الفارقى ، تحقيق بدوى عبد اللطيف عوض ، بيروت ١٩٧٤م.

*** أبو الفدا : عماد الدين (ت٧٣٢هـ/ ١٢٣١م) :**

(٥٥) المختصر فى أخبار البشر ، جزءان ، القاهرة ١٣٢٥هـ .

*** ابن الفقيه : أبو بكر أحمد بن محمد (ت٢٩٠هـ/ ٩٠٣م) :**

(٥٦) مختصر كتاب البلدان ، الطبعة الأوربية ـ ليدن ١٨٩٢هـ .

*** ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩هـ)**

(٥٧) عيون الأخبار ، مصر ١٩٢٥ ـ ١٩٣٠م .

*** القرمانى : أبو العباس أحمد جبلى بن يوسف (ت١٠١٩هـ/١٦١٦م) :**

(٥٨) أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، بغداد ١٢٨٢هـ .

*** القزوينى : زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) :**

(٥٩) آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ١٩٦٠م .

*** القفطى : جمال الدين أبو الحسن على يوسف (ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) :**

(٦٠) إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .

*** ابن القلانسى : أبو على حمزة بن أسعد بن على (ت٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) :**

(٦١) ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨م .

*** ابن كثير : الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى (ت٧٧٤هـ/١٣٨٢م) :**

(٦٢) البداية والنهاية ، ١٤ جزءاً ، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٦٤م .

* الكرديزى : أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك (ت٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م) :

(٦٣) زين الأخبار ، ترجمته عن الفارسية عفاف السيد زيدان ، دار الطباعة المحمدية ١٩٨٢م .

* أبو المحاسن : جمال الدين يوسف بن تغرى بردى (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) :

(٦٤) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٣٣م .

* المسعودى : أبو الحسن على بن الحسين (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٦م) :

(٦٥) التنبيه والأشراف ، راجعه عبد الله إسماعيل الصاوى ، القاهرة ١٩٣٨م .

(٦٦) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٣٥٧هـ .

* مسكويه : أبو على أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) :

(٦٧) كتاب تجارب الأمم ، نشر آمدروز ، القاهرة ١٩١٤م .

* المقدسى : شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت٣٨٨هـ/ ٩٩٧م) :

(٦٨) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٩ .

* المقريزى : تقى الدين أحمد بن على (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م) :

(٦٩) المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ، جزءان ، بولاق ١٢٧٠هـ.

(٧٠) النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم ، مصر ١٩٣٩م.

* ميرخواند : محمد بن خواند شاه بن محمود البلخى (ت٩٠٣هـ/ ١٥١٧م) :

(٧١) روضة الصفا ، القسم الرابع من المجلد الرابع ، ترجمة وتعليق أحمد عبد القادر الشاذلى ، راجعه السباعى محمد السباعى ، الدار المصرية للكتاب ١٤٠٨هـ.

*** ابن ميسر : محمد بن على بن يوسف بن حلب (ت٦٧٧هـ/١٢٧٨م) :**
(٧٢) تاريخ مصر ، طبعة هنرى ماسيه ، القاهرة ١٩١٩م .

*** ابن النديم : محمد بن إسحق (ت٣٨٣هـ/ ٩٩٣م) :**
(٧٣) كتاب الفهرست ، القاهرة ١٣٤٨هـ .

***النرشخى : أبو بكر محمد بن جعفر (٢٧٦-٣٤٨هـ/٨٩٩-٩٥٩م) :**
(٧٤) تاريخ بخارى ، عربه من الفارسية وقدم له وحققه أمين عبد المجيد ونصر الله الطرازى ، دار المعارف بمصر .

*** نظام الملك : أبو على حسن بن على (ت٤٨٥هـ/ ١٠٩٧م) :**
(٧٥) سياست نامه ، ترجمة يوسف حسين بكار ، دار الثقافة ، قطر ١٤٠٧هـ .

*** النويرى : شهاب الدين أحمد عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) :**
(٧٦) نهاية الأرب فى فنون الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٤٠٥م.

*** هبة الله الشيرازى : المؤيد فى الدين هبة الله (ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م):**
(٧٧) ديوان المؤيد فى الدين ، نشر محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤١ .
(٧٨) سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة ، نشر محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٩م .

*** هلال بن الصابئ : أبو الحسين هلال بن المحسن بن أبى إسحق الصابى (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م) .**
(٧٩) تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ، تحقيق عبد الستار فراج ، القاهرة ١٩٥٨م .
(٨٠) رسوم دار الخلافة ، نشر ميخائيل عواد ، بغداد ١٩٦٤م .

*** الهمذانى : محمد بن عبد الملك الهمذانى (ت٥٢١هـ/١١٢٧م) :**
(٨١) تكملة تاريخ الطبرى ، كتاب ذيول تاريخ الطبرى ، دار المعارف ١٩٧٧م .

* **اليافعى : أبو عبد الله محمد بن أسعد بن على (ت٧٦٨هـ/١٣٦٧م) :**
(٨٢) مرآة الجنان وحيرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن ١٣٣٨هـ .
* **ياقوت : شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) :**
(٨٣) معجم البلدان ، ٥ مجلدات ، بيروت ١٩٧٩م .
(٨٤) معجم الأدباء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٢هـ .
* **اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن واضح (ت٢٨٠هـ/٨٩٣م) :**
(٨٥) تاريخ اليعقوبى ، مطبعة النجف ، بغداد ١٣٥١هـ .

## ثانيًا : المراجع العربية والمعرّبة :

* **إبراهيم على طرخان :**
(١) النظم الإقطاعية فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٨م .
* **أحمد أمين :**
(٢) ظهر الإسلام ، القاهرة ١٩٤٥م .
* **أحمد محمود الساداتى :**
(٣) تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، جزءان ، مكتبة الآداب ١٩٥٧م .
* **بارتولد (فاسيلى فلاديميروفتش) :**
(٤) تاريخ الترك فى أسيا الوسطى ، نقله إلى العربية أحمد السعيد سليمان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٨م .
(٥) تركستان ، ترجمة صلاح الدين هاشم ، الكويت ١٩٨١م .

* باستانى باريزى :
(٦) يعقوب بن الليث ، ترجمة محمد فتحى الريس ، دار الرائد العربى ، ١٩٧٦م .

* براون (إدوارد) :
(٧) تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى ، نقله إلى العربية إبراهيم أمين الشواربى ، مصر ١٩٥٤م .

* بروكلمان ( كارل ) :
(٨) تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله إلى العربية نبيه فارس ومنير بعلبكى ، بيروت ١٩٤٨م .

* تامارا تالبوت رايس :
(٩) السلاجقة ، تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة لطفى الخورى ، إبراهيم الداقوقى ، بغداد ١٩٦٨م .

* جورجى زيدان
(١٠) تاريخ التمدن الإسلامى ، مطبعة دار الهلال ، القاهرة ١٩٥٨م .

* جوستاف لوبون :
(١١) حضارة الهند ، ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ١٩٤٨م .

* حافظ أحمد حمدى :
(١٢) الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى ، مطبعة الاعتماد بمصر ، القاهرة ١٩٥١م .

* حسن إبراهيم حسن :
(١٣) تاريخ الإسلام السياسى ، ٤ أجزاء ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٥م .

(١٤) إنتشار الإسلام فى الهند ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مايو ١٩٤٤م .

* حسن أحمد محمود :

(١٥) الإسلام والحضارة العربية فى أسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى ، دار الفكر ، بيروت (د. ت) .

(١٦) العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، دار الفكر العربى ١٩٧٣م.

* حسن الباشا :

(١٧) الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٧م .

* دى بور :

(١٨) تاريخ الفلسفة فى الإسلام ، نقله إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريدة ، القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٥م .

* زامبور :

(١٩) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ، ترجمة زكى محمد حسن وحسن أحمد محمود ، القاهرة ١٩٤٩ ـ ١٩٥٢م .

* زاهية قدّورة :

(٢٠) الشعوبية وأثرها الاجتماعى والسياسى ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٧٢م .

* زكى محمد حسن :

(٢١) الفنون الإيرانية فى العهد الإسلامى ، دار الكتب ١٩٤٠م .

* عاطف منصور :

(٢٢) الكتابات غير القرآنية على السكة فى شرق العالم الإسلامى ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

* عباس إقبال :
(٢٣) إيران بعد الإسلام ، منذ بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ، ترجمة علاء الدين منصور ، القاهرة ١٩٩٠م .

* عبد الرحمن بدوى :
(٢٤) الإلحاد فى الإسلام ، مصر ١٩٤٥م .

* عبد العزيز الدورى :
(٢٥) العصر العباسى الأول ، بغداد ١٩٤٥م .
(٢٦) دراسات فى العصور العباسية المتأخرة ، مطبعة السريان ، بغداد ١٩٤٥م .

* عبد الفتاح السرنجاوى :
(٢٧) النزعات الاستقلالية فى الخلافة العباسية ، دار الكتب الأهلية ، القاهرة ١٩٤٥م .

* عبد المنعم النمر :
(٢٨) تاريخ الإسلام فى الهند ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ١٩٨١م .

* عبد النعيم حسنين :
(٢٩) سلاجقة إيران والعراق ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٠م .

* عبد الوهاب عزام :
(٣٠) نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية ، القاهرة ١٩٣٨م .

* فامبرى (ارمنيوس) :
(٣١) تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر ، ترجمة أحمد محمود الساداتى ، القاهرة ١٩٦٥م .

* فيليب حتى :

(٣٢) تاريخ العرب ، نقله إلى العربية فيليب حتى ، إدوارد جرجس ، جبرائيل نور ، الجزء الثانى ، بيروت ١٩٥٣م .

* لسترنج :

(٣٣) بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، بغداد ١٩٥٤م .

* متز ( آدم ) :

(٣٤) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، نقله إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريدة ـ مجلدان ـ بيروت ١٩٦٧م .

* محمد أمان صافى :

(٣٥) أفغانستان والأدب العربى عبر العصور ، القاهرة ١٩٨٨م .

* محمد جمال الدين سرور :

(٣٦) الحياة السياسية فى الدولة العربية الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٠م .

(٣٧) سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٧م .

(٣٨) تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، دار الفكر العربى ١٩٦٧م .

* محمد ضياء الدين الريس :

(٣٩) الخراج والنظم المالية فى الدولة الإسلامية ، القاهرة ١٩٦١م .

* محمد على حيدر :

(٤٠) الدويلات الإسلامية فى المشرق ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٣م .

* محمد محمود إدريس :

(٤١) تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول ، المطبعة التجارية الحديثة ، ١٩٨٥م .

* محمود عرفة محمود :
(٤٢) النقود فى مصر والدول المستقلة فى الشرق الإسلامى خلال القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

* محمود فهمى حجازى:
(٤٣) اللغة العربية عبر القرون ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٧٨ .

## ثالثًا : المراجع الأجنبية :

1 - **Arafa, Mahmoud :** A Rare Saljuki Dinar Struck in Nisabur in 431 A. H. in Name of Tugril Beg, Annales Islamologiques, Institut Français D'Archéologie Orientale, 38, Le Caire, 2004 .

2 - **Arnold , Thomas** : The Caliphate , Oxford, 1924 .

3 - **Aziz , Ahmed** : Studies in Islamic Culture in the Indian Environment, Oxford, 1964 .

4 - **Bosworth , C. E :** The Ghaznavids, Their Empire in Afghanistan and Eastern Iran (993 - 1040 A. D.) / Edinburgh, 1963 .

5 - **Bowen , Harold :** The Last Buwayhids, Journal of the Royal Asiatic Society, April, 1929 .

6 - **Browne, Edward :** A Literary History of Persia From the Earliest Times Until Firdawsi, London 1909 .

7 - -------------------- : Account of a Rare Manuscript History of Seljuqs, London , 1906 .

8 - **Creswell, K. A. C.** : Early Moslem Architecture , 2 vols., Oxford 1928 - 1938 .

9 - **Dunbar , G.** : A History of India from the Earliest to the Present Day , New Delhi, 1940 .

10 - **Elliot , H. M. and Dowson J. :** The History of India as Told by its own Historians, (Mohammad Period), 8 vols, London 1867 - 1877 .

11 - **Habib, H. :** Sultan Mahmoud of Ghaznin, New Delhi, 1967 .

12 - **Ishwari, Prasad :** A Short History of Moslem Rule in India, Allahabad 1933 .

13 - **Kabir, Mafizullah :** The Buwayhid Dynasty of Baghdad, Calcutta 1964 .

14 - **Lane - Poole, Stanley :** Medieval India Under Mohammadan Rule, A. D. 712 - 1764, Illustrated Edition, A Universal Publication, 1971 .

15 - ------------------- : The Mohammadan Dynasties , London, 1895 .

16 - **Le Strange , G. :** Baghdad during the Abbassid Caliphate , Oxford, 1900 .

17 - **Miles, G. C. :** Numismatic History of Rayy, New York, 1938 .

18 - **Mitchiner, Michael :** The World of Islam, Oriental Coins and their Values, London, 1977 .

19 - **Moreland :** A Short History of India, London, 1890

20 - **Muir, Sir William :** The Caliphate, its Rise, Decline, and Fall, London, 1924 .

21 - **Munshi :** The Struggle for Empire, Bombay, 1969 .

22 - **Nazim , M. :** The Life and the Times of Mahmoud of Ghazna with the Tale by Sir Thomas Arnold, Cambridge, 1931 .

23 - **Nicholson , Reynold** : A Literary History of the Arabs, London, 1923 .

24 - **Osborn, Robert Durie** : Islam Under the khaliphs of Baghdad, London, 1977 .

25 - **Smith, C. I. E. :** The Oxford History of India from the Earliest Times to the End of 1911, Oxford, 1923 .

26 - **Wellhausen , J. :** Arab Kingdom and its Fall, Calcatta, 1927 .

*27 - The Cambridge History of India, 5 vols, Cambridge, 1922 - 1929 .*

* * *



## فهرست موضوعات الكتاب


**المقدمة** .................... ٧

**الفصل الأول**

**عوامل ظهور الدول المستقلة**

**١ ــ الثورات الدينية الفارسية** .................... ١٦

* تطور حركة الشعوبية .................... ١٩

* ظهور النحل الفارسية القديمة .................... ٢١

* أثر الشعر فى الترويج للزندقة .................... ٣٠

**٢ ــ نفوذ الفرس ونكبة البرامكة** .................... ٣٢

* ازدياد النفوذ الفارسى فى الدولة الإسلامية .................... ٣٣

* مكانة البرامكة فى خلافة الرشيد .................... ٣٦

* نكبة البرامكة وآثارها السياسية .................... ٤١

**٣ ــ استبداد الأتراك بأمور الخلافة** .................... ٤٣

* ازدياد نفوذ الأتراك فى عهد المعتصم .................... ٤٣

* علاقة الأتراك بالمتوكل على الله .................... ٤٦

* صراع الأتراك مع العناصر الأخرى وأثره .................... ٤٨

* محاولة المعتضد بالله استعادة هيبة الخلافة .................... ٥٣

**الفصل الثاني**

**الدولة الطاهرية**

**تمهيد :** النزاع بين الأمين والمأمون وأثره فى قيام الدولة الطاهرية .................... ٥٩

**١ ــ قيام الدولة الطاهرية** .................... ٦٨

* علاقة طاهر بن الحسين بالخلافة .................... ٦٩

* تولية عبد الله بن طاهر مصر .................... ٧٠

**٢ ــ دور الطاهريين فى توطيد سلطان الخلافة بالشرق** .................... ٧١

* القضاء على فتنة مازيار بن قارن بطبرستان .................... ٧٤

* التصدى لحركة الخوارج بسجستان ........ ٧٥
* مواجهة الحركات الثورية للعلويين ........ ٧٧
**٣ ـ الدور الحضارى للدولة الطاهرية** ........ ٨٢
* تنظيم الشئون الإدارية والمالية ........ ٨٢
* ازدهار الصناعات الغذائية والمعدنية ........ ٩١
* دور الطاهريين فى الحياة الثقافية ........ ٩٧
***** شجرة أنساب الأمراء الطاهريين وسنوات حكمهم** ١٠٣

**الفصل الثالث**

**الدولة الصفارية**

**١ ـ ظهور الصفاريين وقيام دولتهم** ........ ١٠٧
* بداية ظهور الصفاريين ........ ١٠٧
* ظهور العيارين ودورهم فى علو شأن الصفاريين ........ ١٠٩
**٢ ـ جهود يعقوب بن الليث فى توطيد سلطان الصفاريين** .... ١١٥
* الحروب التى دارت بين الصفاريين والأتراك ........ ١١٦
* اتساع سلطان الصفاريين فى المشرق ........ ١١٩
* الحروب الصفارية الطاهرية ........ ١٢٥
**٣ ـ علاقة الصفاريين بالخلافة العباسية** ........ ١٢٩
* المراسلات العباسية الصفارية ........ ١٢٩
* العلاقات الودية بين الصفاريين والخلافة ........ ١٣٥
* الحروب التى دارت بين الصفاريين وجيوش الخلافة ........ ١٣٧
***** شجرة أنساب الصفاريين وسنوات حكمهم** .... ١٤٩

**الفصل الرابع**

**الدولة السامانية**

**١ ـ قيام الدولة السامانية** ........ ١٥٣

* اتصال السامانيين بالدولة الإسلامية ........ ١٥٣
* علاقة السامانيين بالخلافة العباسية ........ ١٥٥
* دور السامانيين فى توطيد سلطان الخلافة فى المشرق ........ ١٦٣
**٢ ـ الصعوبات التى واجهت السامانيين ........ ١٦٥**
* توطيد سلطان السامانيين على سجستان ........ ١٧٠
* تطلع حكام الولايات للإستقلال ........ ١٧٤
* خروج أخوة نصر بن أحمد على طاعته ........ ١٧٩
**٣ ـ الدور الحضارى للدولة السامانية ........ ١٨٥**
* الإهتمام بالطب والإغداق على الأطباء ........ ١٨٦
* مراكز الحركة الأدبية والعمارة والفنون ........ ١٨٧
***** شجرة أنساب الأمراء السامانيين وسنوات حكمهم ١٩٦**

## الفصل الخامس
## الدولة البويهية

**١ ـ ظهور بنى بويه واتساع نفوذهم ........ ٢٠١**
* اتصال بنى بويه بمرداويج بن زيار ........ ٢٠٣
* تولية على بن بويه إقليم فارس من قبل الخلافة ........ ٢٠٥
* إمتداد سلطان البويهيين إلى بلاد العراق ........ ٢١١
**٢ ـ استئثار أمراء بنى بويه بالسلطة دون الخلفاء ........ ٢١١**
* علاقة معز الدولة بالخليفة المستكفى بالله ........ ٢١٢
* مصادرة بهاء الدولة أموال الخليفة الطائع ........ ٢١٧
**٣ ـ دور البويهيين في الصراع المذهبي ........ ٢١٩**
* إنحياز البويهيين للديلم على حساب الأتراك ........ ٢٢٠
* النزاع والتنافس بين الأتراك والديلم ........ ٢٢٣
**٤ ـ علاقة البويهيين بالقوى المعارضة ........ ٢٢٦**
* الحروب بين البويهيين والحمدانيين ........ ٢٢٦

* العلاقات بين البويهيين وحكام الإمارات العربية ........................ ٢٣٤
**٥ ــ دور البويهيين فى النهضة الثقافية فى بلاد المشرق** ...... ٢٤٣
* الإهتمام بالحركة الثقافية فى الرى وأصبهان ........................ ٢٤٣
* تشجيع طائفة المحدثين والفقهاء والنحاة والأدباء ................. ٢٤٥
***** شجرة أنساب البويهيين وسنوات حكمهم** .......... ٢٤٨

## الفصل السادس
## الدولة الغزنوية

**١ ــ سبكتكين وقيام الدولة الغزنوية** ........................ ٢٥٣
* البتكين وعلاقته بالسامانيين ........................................ ٢٥٤
* تولية سبكتكين إمارة الغزنويين ...................................... ٢٥٥
**٢ ــ إمتداد سلطان الغزنويين إلى بلاد الهند** ...................... ٢٥٦
* دور سبكتكين فى إنشاء حكومة بشاور ................................ ٢٥٦
* غزوات محمود بن سبكتكين فى بلاد الهند................................ ٢٦١
* إنتشار الإسلام بالهند والقضاء على الوثنية .......................... ٢٦٥
**٣ ــ خلفاء السلطان محمود الغزنوى** ................................ ٢٧٠
* مسعود الغزنوى وجلوسه على العرش .................................... ٢٧١
* فتوحات السلطان مسعود بالهند ........................................... ٢٧٣
* النزاع بين خلفاء مسعود على الحكم وأثره فى إنهيار الدولة ........ ٢٧٩
**٤ ــ الدور الحضارى للغزنويين فى بلاد الهند** ....................... ٢٨٣
* انتشار الإسلام فى الهند ................................................ ٢٨٣
* أثر الغزنويين على العادات الاجتماعية ................................ ٢٨٦
* ازدهار العلوم والفنون والآداب .......................................... ٢٨٨
***** شجرة أنساب الغزنويين وسنوات حكمهم** .......... ٢٩٣

## الفصل السابع
## دولة السلاجقة


**١ ـ ظهور السلاجقة وقيام دولتهم** ........ ٢٩٧
* نشأة السلاجقة ودخولهم فى الإسلام ........ ٢٩٧
* النزاع بين السلاجقة والغزنويين وقيام دولتهم ........ ٢٩٩
* امتداد نفوذ السلاجقة إلى بلاد المشرق ........ ٣٠٥
**٢ ـ علاقة السلاجقة بالخلافة العباسية** ........ ٣٠٧
* العلاقات الودية بين السلاجقة والخلافة العباسية ........ ٣١٠
* استعانة الخلافة العباسية بالسلاجقة لتوطيد سلطانها ........ ٣١٣
* الاستئثار بالسلطة فى حاضرة الخلافة وولاياتها ........ ٣١٤
* الدور الثقافى للسلاجقة ........ ٣٢٢
**٣ ـ الصعاب التى واجهت النفوذ السلجوقى** ........ ٣٢٩
* فتنة أبى الحارث البساسيرى ........ ٣٣٦
* خروج إبراهيم ينال على سلطة أخيه طغرلبك ........ ٣٣٨
* انتصار ألب أرسلان على البيزنطيين فى ملاذكرد ........ ٣٤٤
**٤ ـ النزاع بين الأمراء السلاجقة على السلطة** ........ ٣٤٦
* الحروب بين محمود وبركيارق ابنى ملكشاه ........ ٣٤٦
* النزاع بين بركيارق وخاله إسماعيل بن ياقوتى ........ ٣٤٨
* التنافس على السلطنة بين ملكشاه وعمه محمد ........ ٣٤٩
* ضعف السلاجقة وزوال دولتهم ........ ٣٥٥
***** شجرة أنساب السلاجقة وسنوات حكمهم** ........ ٣٧٠
***** الخلفاء العباسيون وسنوات حكمهم** ........ ٣٧٣
* **المصادر والمراجع** ........ ٣٧٩
* **المصادر العربية** ........ ٣٧٩
* **المراجع العربية والمعربة** ........ ٣٨٨
* **المراجع الأجنبية** ........ ٣٩٣
* **الفهرست** ........ ٣٩٧

